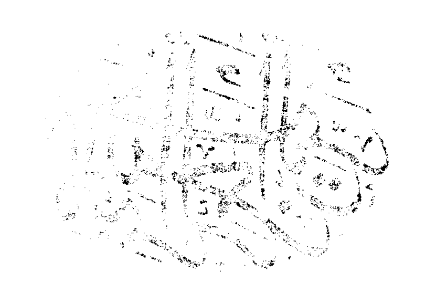
المشرق والمغرب

دراسات
في تاريخ العالم العربي
الحديث والمعاصر

دكتور
عبد المنعم إبراهيم الدسوقي الجميعي
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر
بجامعة القاهرة ــ فرع الفيوم

الطبعة الأولى
١٤١٢ هـ ــ ١٩٩١ م


بسم الله الرحمن الرحيم



مقـــدمـــة

بين ثنايا هذا الكتاب مجموعة من الدراسات فى تاريخ العالم العربى الحديث والمعاصر ، مشرقه ومغربه ، وهى وان تنوعت فى موضوعاتها وازمنتها وامكنتها فانها ترتبط باطار واحد هو استعراض للتاريخ الحديث فى بعض البلدان العربية منذ بدايته فى العصر العثمـــانى وحتى الوقت الحالى بما طرأت عليه من عوامل قوة أضاءت له الطريق الى الأمـــام ، وعوامل ضعف أوقفت تطوره ، وقللت من شأنه .

وقد اشتمل تاريخ المشرق العربى من هذه الدراسات على خمسة موضوعات هى القضية الفلسطينية منذ نشأتها وحتى الانتفاضة المباركة لأطفال الحجارة ، والجذور التاريخية للقضية اللبنانية وواقعها المعاصر ، وتاريخ سورية الحديث والمعاصر ، وتاريخ المملكة العربية السعوديـــة الحديث والمعاصر ، وتاريخ العراق الحديث منذ وقوعه تحت الحـــكم العثمانى ، وحتى انتصاراته فى حربه مع ايران .

أما عن تاريخ المغرب العربى فقد شـــمل موضوعات ثلاثة هى : تاريخ الجزائر الحديث منذ العصر العثمانى وامتدادا للاحتلال الفرنسى والذى ينتهى بكفاح الشعب الجزائرى وتضحياته من أجل الاستقلال واقامة حكومة وطنية على ارضه ، وتاريخ ليبيا الحـــديث منذ العصر العثمانى وامتدادا للاحتلال الايطالى له والذى ينتهى بكفاح الشعب الليبى حتى تحقق له الاستقلال ، ويزامن ذلك دور الجامعة العربية فى مساندتها لهذه القضـــية .

كما تناولت هذه الدراســـات تاريخ المغـــرب (مراكش) الحديثة والمعاصر وكفاح المغاربة ضد الفرنسيين والأسبان وانتهت بدراسة عن نشأة الجامعة العربية وانشطتها على الساحتين الدولية والعربية .

اســـأل الله تعالى أن يجعل هذه الدراســـات من العلم النافع وأن يعصمنا من الزلل ، كما اسأله العون والسداد فى القول والعمل .

د. عبد المنعم الجميعى

ابها فى { ٧ من رمضان ١٤١٠ هـ
٢ من أبريـــل ١٩٩٠ م

(١)

القضية الفلسطينية
منذ نشأتها وحتى الانتفاضة

تؤكد كافة الأسـانيد التاريخية أن فلسطين بلد عربى ، وان ادعاء الصهاينة ان ارض فلسطين لهم من اقدم العصـور ادعـاء باطل . فلقد كانت فلسطين منذ عام ٣٥٠٠ قبل الميلاد تعرف بأرض كنعان نسبة الى قبيلة « كنعان » العربية التى نزحت اليها من جزيرة العرب ، ومعنى ذلك أن العرب أقدم من اليهود فى سكنى فلسطين اذ لم يأت اليهود اليها الا فى عـام ٢٠٠٠ قبل الميـلاد ، ثم تعرضوا فيها للابـادة والقتل عـلى يد « بختنصر » البابلى وقد سجل القرآن الكريم ذلك فى سورة الاسراء[١] بحيث لم يبق منهم فى فلسطين سوى اعداد قليلة .

وقد استمرت الهجرات العربية الى فلسطين حتى جاءت الفتوحات الاسـلامية فأصبحت فلسطين عربية اسـلامية ، ودان أهلها للحـكم الاسـلامى[٢] ومعنى ذلك ان اطماع اليهود فى فلسطين تقوم على ادعاء مزيف باطل مؤداه أن هذه البلاد بلادهم منذ أقدم العصور ، وانهم خرجوا منها كرهـا .

وعلى كل حال فقد وزع اليهود فى شتى انحاء العالم ، وكانوا جزءاً لا يتجزأ من المجتمع الذى يعيشون فيه ، ولم تشهد فلسطين قبل القرن الثالث عشر الهجرى / التاسع عشر الميلادى هجرات يهودية للاستيطان الا فى عـام ١٤٣٢ م عندما اضطر بعض يهود اسبانيا والبرتغـال الى

---

(١) انظر من الآية الرابعة الى الآية الثامنة .

(٢) أحمد عزت عبد الكريم : دراسـات فى تاريخ العرب ، بيروت ، دار النهضة العربية ١٩٧٠ ص ٤٢٩ وما بعدها .

الهجرة لفلسطين فرارا من محاكم التفتيش ، ولم يزد عدد هؤلاء ، وعدد أحفادهم عن ثلاثة آلاف كانوا يعيشون علـى الهبات والتبرعات[٣] فيما عدا ذلك لم يكن يقصد فلسطين من اليهود سوى كبار السن الذين كانت تهفو نفوسهم الى زيارة هذه البلاد[٤] .

ولم تلبث أن نشأت الحركة الصهيونية[٥] فى القـرن المـاضى فى أعقاب الاضطهادات التى تعرض لها اليهود فى روسيا عقب مقتل القيصر نيقولا الثانى عام ١٨٨١ م واتهام اليهود بتدبير مقتله ، والاضطهادات التى تعرضوا لها فى بولونيا ورومانيا وغيرهما بسبب عدم ولائهم للدول التى يعيشون فيها كمواطنين وبسبب سيطرتهم عـلى مقدرات هـذه الدول وارتكابهم للعديد من الجرائم ضـد شعوبها[٦] فتأسست الجمعيات فى روسيا ورومانيا لانشاء مستعمرات فى فلسطين يستوطنها اليهود المهاجرون اليها من شرق أوربا مثل جمعية أحباء صهيون التى تأسست فى روسـيا لتنظيم وتمويل عمليات الاستيطان فى فلسطين ، وصار لهذه الجمعية العديد من الفروع فى المـانيا والنمسا وانجلترا وغيرها[٧] .

والحركة الصهيونية حركة عنصرية دينية سياسية استعمارية ترمى الى جمع شتات اليهود ، وتوطينهم فى فلسطين بحجة انها أرض الميعاد .

ولفظة صهيونية مشتقة من صهيون ، وهو أحد الجبال المحيطـة بالقدس . والمعروف أنهذه الحركة توسعية عدوانية ليس فقط بالنسبة لفلسطين بل ، وبالنسبة للبلاد العربية المجاورة لها ويؤكد ذلك أن الوطن

---

(٣) حول تفاصيل ذلك انظر روجيه جارودى : اسرائيل والصهيونية السياسية ص ٤١ .

(٤) محمود منسى : تصريح بلفور ، القاهرة ، دار الفـكر العـربى ص ١٩ .

(٥)تنسب الصهيونية Zionism الى جبل صهيون الذى تقوم عليه مدينة القدس .

(٦) اسماعيل ياغى ومحمود شاكر : تاريخ العالم الاسلامى الحديث والمعاصر ح ١ الجناح الآسيوى ص ١٠٢ — ١٠٣ .

(٧) منسى : المرجع السابق ص ٢٠ .

الصهيونى المزعوم فى نظر المتطرفين من الصهاينة يمتد من نهر الفرات فى العراق الى نهر النيل فى مصر[٨] .

ومع ذلك فان الصهيونية لم تعرف كحركة سياسية الا فى القرن التاسع عشر الميلادى[٩] خاصة بعد عقد المؤتمر الصهيونى الأول فى مدينة بال Bale بسويسرا فى عام ١٣١٥هـ / ١٨٩٧م بدعوة من الصحفى النمساوى تيودور هرتزل Theodor Hertzel المنشىء الأول للصهيونية السياسية العالمية[١٠] وصاحب كتاب الدولة اليهودية الذى صدر فى فبراير ١٨٩٦م .

وقد سبق عقد هذا المؤتمر دعاية مكثفة له من أجل كسب التأييد العالمى لليهود[١١] وبحضور ٢٠٤ من أقطاب اليهود وقادتهم انعقد المؤتمر بغرض تدارس المشكلة اليهودية وموضوع انشاء وطن قومى لليهود .

ولقد كان من أهم نتائج هذا المؤتمر تأسيس المنظمة الصهيونية والعلم الصهيونى ، والنشيد القومى ، هذا الى جانب العمل على بذل المساعى لدى حكومات الدول للعمل على تحقيق أهداف الصهيونية ومن أهمها تهجير اليهود المشتتين فى انحاء العالم الى فلسطين لانقاذهم من الاضطهاد الذى يتعرضون له فى أوربا وانشاء دولة لهم هناك .

وهكذا تبلورت الفكرة الصهيونية فى هذا المؤتمر ، ودخلت فى معترك السياسة الدولية لكسب تعاطف العالم نحوها . ثم توالت بعد ذلك عقد المؤتمرات الصهيونية من أجل تحقيق أهداف اليهود فى فلسطين وأمانيهم باقامة وطن لهم فى فلسطين وقد تركزت خططهم على النحو التالى :

---

(٨) ياغى وشاكر : المرجع السابق ، ص ١٠٢ .

(٩) أحمد عزت عبد الكريم : المرجع السابق ص ٤٣٤ .

(١٠) محمد خليفة التونسى : بروتوكولات حكماء صهيون — ترجمة عباس محمود — بيروت ، دار الكتاب ١٤٠٤ هـ ص ٣٣ .

(١١) الشناوى : الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها ج ٢ القاهرة ، الانجلو المصرية ١٩٨٠ ص ٩٧٣ — ٩٧٤ .

١ — تشجيع استعمار فلسطين بواسطة المهاجرين اليهود خاصة من الزراع والعمال .

٢ — توجيه أنظار يهود العالم نحو فلسطين .

٣ — بذل المساعى اللازمة للحصول على التصريحات المؤيدة لهم من الدول الكبرى[١٢] .

وقد انتهز هرتزل فرصة ظروف الأزمة المالية التى كانت تمر بها الدولة العثمانية ، وفرصة تكالب الدول الاستعمارية عليها ، وحروبها المريرة مع روسيا فعرض على السلطان عبد الحميد حل أزمته المالية فى نظر السماح لليهود بالهجرة الى فلسطين[١٣] الا أن السلطان رفض طلبه ، وكرر هرتزل محاولته مرتين ، ولكن عبد الحميد حسم الموقف بقوله « انى لا استطيع ان أتخلى عن شبر واحد من الأرض ، فهى ليست ملك يمينى بل ملك شعبى ، لقد ناضل فى سبيل هذه الأرض ورواها بدمه ، فليحتفظ اليهود بملايينهم ، واذا مزقت امبراطوريتى يوما فانهم يستطيعون آنذاك ان يأخذوا فلسطين بلا ثمن »[١٤] .

ونتيجة لأطماع اليهود بدأ السلطان عبد الحميد يهتم بالأوضاع فى فلسطين فأدخل تعديلا للوضع الادارى لبيت المقدس ليصبح متصرفية تابعة للباب العالى مباشرة بعد أن كان سنجقية تابعة لباشا دمشق .

وهكذا صمد عبد الحميد الثانى أمام كل الاغراءات التى حاول بها اليهود زعزعته عن موقفه . ونتيجة لضغوط الدول الكبرى وافقت الدولة العثمانية على السماح لليهود بدخول فلسطين من اجل الزيارة فقط بشرط الا تطول مدة اقامتهم عن ثلاثين يوما ثم سمحت لهم بعد ذلك باطالة مدة اقامتهم الى ثلاثة شهور ، ونظرا لماطلة اليهود ، ومحاولتهم البقاء داخل

---

(١٢) قاسم حسن : العرب والمشكلة اليهودية ، بغداد ، المؤسسة التجارية ١٩٦٤ ص ٩٣ — ٩٤ .

(١٣) الشناوى : المرجع السابق حـ ٢ ص ٩٨٨ .

(١٤) عبد الحميد الثانى : مذكراتى السياسية ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ١٤٠٢ هـ ص ٢٤ وما بعدها .

فلسطين أكثر من المدة المقررة لهم ، عـين السلطان عبد الحميد « محمد شريف رءوف باشا » المشهور بشدته متصرفا على القدس ، وأمره بتطبيق قانون الثلاثة الشهور بصرامة[١٥] .

ولم تلبث الأمور أن تطورت لصالح اليهود نتيجة لضعف الدولـة العثمانية ، وانشغالها بالمؤامرات الخارجية والداخلية التى تسلطت عليها فضعفت الرقابة عـلى اليهـود فى فلسطين واستغلوا ذلك فى انشـاء مستعمرات خاصة بهم ، وانشاء أول مدرسـة عبرية للبنات فى يافا[١٦] وعلى كل حـال فانه نتيجة لفشل هرتزل فى اقناع الدولة العثمانية بالهجرة اليهودية الى فلسطين بدأ يتجه نحو بريطانيا ويعقد آماله عليهم ، فشجع اليهود على السعى لاتخاذ بريطانيا مركزا رئيسيا لنشاطهم ، ومقرا للكثير من منشآتهم المهمة[١٧] .

ونتيجة لذلك تحولت بريطانيا الى مركز للزعامة الصهيونيـة وتولى « حاييم وايزمان » زعامة الحركة الصهيونية هناك وكون جماعة سياسية كان منها « هربرت صموئيل » وبدأ فى الاتصال برجال الدولة البريطانية .

والسؤال المطـروح هو لـماذا كثف زعماء الحـركة الصهيونيـة نشاطهم فى بريطانيا بالذات ؟

الواقـع ان الحركة الصهيونية العالميـة ركزت نشاطها خصوصا قبيل الحرب العالمية الأولى تجاه بريطانيا من أجل اقامة دولة لليهود فى فلسطين لأن زعماء هذه الحركة كانوا عـلى بينة من تطلع الاستراتيجية البريطانية نحو فلسطين المتاخمة لقنـاة السويس وقد أكد ذلك الزعيم الصهيونى « حاييم وايزمان » بقوله « انه اذا ما وقعت فلسطين فى منطقة النفوذ البريطانى ، ثم شجعت بريطانيا استيطان اليهود فى فلسطين واقامة مجتمع يهودى يعتمد على بريطانيا ، وامكن ادخال مليون يهودى هناك فى

---

(١٥) الشناوى : المرجع السابق جـ ٢ ص ٩٧٥ — ٩٧٩ .
(١٦) نفسـه .
(١٧) محمود حسن صالح : تصريح بلفور ، بيروت ، دار الفـكر العربى د.ت ص ٢٧ — ٢٨ .

فترة تمتد من عشرين الى ثلاثين عاما فان هؤلاء اليهود سيطورون هذا القطر ويكونون حرسا فعالا يحمى قناة السويس . يضاف الى ذلك أن اليهود وجدوا بين الوزراء الانجليز من يتحمس لقضيتهم أمثال جورج لويد رئيس الوزراء ، وآرثر بلفور وزير الخارجية وفيما يلى نعرض لتصريح بلفور وأسبابه :

مقدمـــات صدور تصريح بلفور : Balfour Declaration

لمـــا أطلت الحرب العالمية الأولى برأسها ، وكشرت عن أنيابها فى عام ١٣٣٣هـ / ١٩١٤م انضمت تركيا الى جانب المـــانيا وحلفائها ضـــد انجلترا وفرنسا وحلفائهما مما أزعج بريطانيا وجعـــلها تحاول كسب ود العـــرب لضمهم اليها من أجـــل تحقيق أهدافها ، ونجحت فى ذلك الى حد كبير .

أما عن اليهود فقد اتخذوا موقفا وسطا بين المعسكرين المتنازعين ، فبعضهم أعلن تأييده للمعســـكر الالمـــانى التركى واتصـــلوا بالسلطان العثمانى ، وعرضوا عليه القيام بتسديد ديون الدولـــة العثمانية وتجنيد جيش من يهود بولونيا للمحاربة بجانب الأتراك مقابل التنازل عن فلسطين يضاف الى ذلك قيام هؤلاء بالاتصال بالامبراطور الالمـــانى « وليم الثانى » ووعودهم له بالمساندة فى نظير توسطه للحصول من السلطان العثمانى على تصريح باقامـــة شركة يهوديـــة تحت حماية المـــانيا فى فلسطين ، ولكنهم لم يجدوا استجابة واضحة منه[١٨] .

أما الجانب الثانى فقد اتجه نحو بريطانيا ، وحاول أن يؤكد لها بأن موافقتها على انشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين يساعد على ترسيخ النفوذ البريطانى فى بلاد الشرق الأوسط والهند .

وعلى كل حال فبعد أن استطاع القائد الانجليزى « اللنبى » دخول فلسطين فى عـــام ١٣٣٥هـ / ١٩١٧م وضعت بريطانيا السير « هربرت صمويل » Herbert Samuel أحد أقطاب الصهيونية والانجليزى

---

(١٨) منسى : المرجع السابق ص ٢٥ .

الجنسية مندوبا لها فى فلسطين ، وقد عمل هذا المندوب على تقريب وجهات النظر بين الانجليز واليهود بشأن فلسطين ، يضاف الى ذلك تمكن الزعيم الصهيونى « حاييم وايزمان » من الاتصال باللورد آرثر جيمس بلفور ، واثارة اهتمامه بشئون اليهود وضرورة توطينهم فى أرض فلسطين ، ونتيجة لذلك طلب بلفور من زعماء الحركة الصهيونية تقديم مشروع يوضح مطالبهم فى فلسطين .

اسباب صدور تصريح بلفور BalFour :

تعددت الأقوال حول أسباب صدور هذا التصريح وان كانت فى مجملها تدور حول ما يلى :

١ — محاولة بريطانيا كسب عطف يهود العالم وخاصة يهود امريكا فى حربها مع المانيا حتى يضغطوا على الحكومة الأمريكية لدخول الحرب بجانب الانجليز ، وحتى تضمن بريطانيا فتح أسواق المال العالمية لها أثناء الحرب[١٩] .

٢ — تطلع بريطانيا الى الحصول على اختراع عالم الكيمياء اليهودى « حاييم وايزمان » رئيس المنظمة الصهيونية فى بريطانيا والخاص باخراج وسيلة قليلة التكاليف لانتاج مادة الاسيتون Aceton التى كانت تستعمل كمذيب للبارود ، والتى كانت بريطانيا فى حاجة لها أثناء الحرب ، ومن هنا لجأت الى ارضاء اليهود وحبذت فكرة انشاء وطن قومى لهم فى فلسطين .

٣ — تطلع بريطانيا الى مساندة العناصر الصهيونية فى المانيا والنمسا لها كى يقوم هؤلاء بدورهم المخرب من داخل هذه الدول المعادية لبريطانيا ، بالاضافة الى سحب أموالهم من بنوك هذه الدول حتى يهتز اقتصادها[٢٠] .

(١٩) فيشر : تاريخ أوربا فى العصر الحديث — ترجمة أحمد نجيب هاشم ووديع الضبع — القاهرة ، دار المعارف ، الطبعة الثانية ص ٥٣٢ .

(٢٠) عن تفاصيل أثر تصريح بلفور على اليهود الألمان انظر :
Stein, Leonard : The Balfour Declaration London, 1961 pp. 569 — 570 .

٤ — خشية بريطانيا من ان يسبقها الألمان فى كسب ود اليهود واصدار وعد لهم بالاستيطان فى فلسطين[٢١] .

٥ — رغبة بريطانيا جذب اليهود فى صفها حتى يصبحوا أعوانا لها فى منافسة فرنسا لها فى بلاد الشام .

٦ — زرع دولة غريبة فى قلب الوطن العربى حتى تكون مصدر قلق واستنزاف دائم لأبناء الأمة العربية .

٧ — محاولة ابقاء روسيا فى الحرب بعد قيام الحركة الشيوعية فيها — **خصوصا** — وان اليهود كانوا يسيطرون على الصناعات الروسية ، ولهم دور قيادى فى الأحداث هناك .

٨ — رغبة بريطانيا فى حماية مركزها فى مصر وتأمين طرق مواصلاتها هناك ، وذلك عن طريق مساندة اليهود لهم فى فلسطين[٢٢] .

التصريح من الناحية القانونية :

وتصريح بلفور من الناحية القانونية لم يكن سوى رسالة صادرة من وزير خارجية بريطانيا الى اللورد روتشيلد Rothschild أحد أثرياء اليهود ، وأبرز زعماء الانجليز من الصهاينة نصها :

عزيزى اللورد روتشلد :

يسرنى جدا ان انقل لكم باسم حكومة جلالة الملك هذا التصريح المشوب بالعطف على الأمانى اليهودية الصهيونية الذى دفع الى الحكومة ووافقت عليه .

« ان حكومة صاحبة الجلالة تنظر بعين العطف الى اقامة وطن قومى

---

(٢١) حسن صبرى الخولى : سياسة الاستعمار والصهيونية تجاه فلسطين فى النصف الأول من القرن العشرين ، المجلد الأول ، القاهرة ، دار المعارف ١٩٧٣ ص ٢٠٩ .

(٢٢) ياغى وشاكر : المرجع السابق جـ ١ ص ١٠٦ .

فى فلسطين للشعب اليهودى ، وسوف تبــذل اقصى جهدها لتحقيق هذه الغاية ، هذا مع العلم أن حكومة جلالة الملك لن تفعل شيئا ينطوى على اى مساس بالحقوق المدنية والدينية للطوائف غير اليهودية فى فلسطين ، ولا بحقــوقهم أو مركــزهم الســياسى الذى يتمتعــون بــه فى البلدان الأخــرى »[٢٣] .

وعند تحليلنا للتصريح يتضح أنه يحتوى على شقين :

يتضمن الشق الأول عطف الحكومة البريطانية عــلى فكرة تأسيس وطن قومى لليهود فى فلسطين وبــذل جهودها من اجــل تحقيق هــذه الغاية . حقيقة ان التفسيرات تعددت حول مضمون التصريح على السنة الزعماء البريطانيين[٢٤] بأسلوب يرضى العــرب أحيانا ويتحاشى سخط اليهود احيانا اخرى فقال بعضهم ان هذا التصريح لا يعنى البدء فى انشاء وطن قومى لليهود مباشرة وانه لم يعد اليهود بشىء محدود ملموس وقال البعض الآخر انه منح اليهود كل شىء[٢٥] .

والى جانب ذلك فان الكنيسة الانجليزيــة اعربت عن معارضتها لهذا التصريح ورات بأن ايجــاد مركز لليهــود فى فلسطين سيكون معــاديا للمسيحيــة[٢٦] .

أما عن الشق الثانى من التصريح فيتضمن مساندة بريطانيا للحقوق

---

(٢٣) عن تفاصيل هذا الوعد وما سبقه من مراســلات بين بلفور واليهود انظر :
محمد عبد الرعوف ســليم : تاريخ الحــركة الصهيونية الحديثــة ١٨٩٧ — ١٩١٨ القسم الثانى ، القاهرة ، معهد البحوث والدراســات العربية ١٩٧٤ ص ٢٥ — ٣٤ .

(٢٤) محمود منسى : المرجع السابق ص ١٠٢ — ١٠٦ .

(٢٥) عن تفاصيل هذه المناقشات انظر :
Hansard's Parliamentary Debates : official Reports, FiFth Series Vol. X p. 382 .

(٢٦) محمود منسى : الشرق العربى أثناء الحــرب العالمية الأولى ص ٢٦٦ .

المدنية والدينية للطوائف غير اليهودية المقيمة فى فلسطين وتجنب ذكر كلمة عرب وهذا يعنى وضع عرب فلسطين فى عداد الأقليات على حين كانت نسبتهم فى ذلك الوقت تزيد على ٩٠٪ فى حين وصف الأقلية اليهودية التى كانت تعيش فى فلسطين بأنها الشعب اليهودى . ومن هنا فالتصريح يتناقض فى عباراته خصوصا وان اليهود لم يكونوا سوى أفراد مشتتين فى جميع انحاء العالم على حين كان العرب هم اصحاب فلسطين يضاف الى ذلك أن هذا التصريح لم يكن له سند فى القانون أو العرف الدولى وليس له فى التاريخ ما يؤيده من سوابق خاصة وأن فلسطين كانت عند صدور هذا الوعد جزءا من ممتلكات الدولة العثمانية ولم يبت فى وضعها بصفة دولية ومن هنا فان الحكومة البريطانية قد اعطت لليهود مالا تملكه ، وخولت لنفسها حق التصرف فى بلد ليست لها عليه أية ولاية .

ومع كل ذلك فقد قضت السياسة المرحلية فى تنفيذ تصريح بلفور فى طريقها فى غير هوادة لاقامة الوطن القومى اليهودى فى فلسطين كخطوة لانشاء الدولة اليهودية ، وتعاونت الحركة الصهيونية مع الحركة الاستعمارية وغدت بريطانيا اداة طيعة فى يد الصهاينة(٢٧) .

موقف العرب من تصريح بلفور :

فى الوقت الذى قوبل فيه تصريح بلفور من اليهود بفرح بالغ وحماسة شديدة ، فان العرب استاءوا عند سماعهم بهذا التصريح استياءا شديدا ، اذ رأوا فيه اعتداءا على قطر عربى وسلبا لحقوق اهله ، وتسليمه لليهود ومن هنا سارعوا فى الاتصال بالحكومة البريطانية تجاه عرب فلسطين .

وعلى الرغم من ان بريطانيا قد اكدت انها لن تسمح باسكان اليهود فى فلسطين الا بالقدر الذى يتفق مع حقوق العرب وحريتهم السياسية والاقتصادية ، فان العرب وقد تزايدت ريبتهم نحو نوايا بريطانيا فى فلسطين خاصة وأن هذا التصريح تجاهل ما سيلحق بالعرب من جراء

---

(٢٧) من تصدير الدكتور الشناوى لكتاب تصريح بلفور .

فتح أبواب الهجرة اليهودية الى فلسطين ، وتسهيل انتقال أراضيهم لليهود ، يضاف الى ذلك أن هذا التصريح قد عمد الى تجاهل عرب فلسطين الذين كانوا يمثلون ٩٣٪ من اجمالى السكان فلم يذكروا حتى بالاسم بل أشار اليهم بالجماعة غير اليهودية .

ونتيجة لذلك انعقدت العديد من المؤتمرات العربية التى أعلنت رفضها لتصريح بلفور ، وهجرة اليهود الى فلسطين وطالبت بالغاء الانتداب البريطانى على فلسطين ، واعطاء أهل فلسطين حق تقرير المصير فعلى سبيل المثال عقد مؤتمر فى القاهرة عام ١٣٥٧هـ / ١٩٣٨م باسم المؤتمر البرلمانى العالمى ، وقرر بطلان تصريح بلفور لأنه اعتداء على حقوق العرب ، وعلى ما أعلنه الرئيس الأمريكى ولسن من مبادىء فى عام **١٣٣٦هـ / ١٩١٧م** هذا الى جانب انه الغاء لما التزمت به عصبة الأمم من مبادىء[٢٨] .

كما أعرب الوطنيون السوريون المقيمون فى مصر عن معارضتهم لتصريح بلفور ، وعقدوا عدة اجتماعات للاعراب عن احتجاجهم عليه ، كما أرسلوا مبعوثين من قبلهم الى الشريف حسين فى مكة للاستفسار عن السياسة البريطانية الخاصة بفلسطين ، وما يجب ان يتخذ حيالها[٢٩] ونتيجة لذلك طلب الشريف حسين ايضاح الأمر من بريطانيا فاخبرته بمضمون التصريح وأعربت له عن أن الانجليز سيعملون ما فيه الخير العرب[٣٠] .

يضاف الى ذلك أن الوطنيين السوريين المقيمين فى مصر أرسلوا ببرقية احتجاج على التصريح الى بلفور بتاريخ ١٤ من نوفمبر ١٩١٧م

---

(٢٨) احسان ابو رحاب : خطب للدفاع عن فلسطين ، القاهرة ١٩٣٨م ص ٣٢ .
(٢٩) عن تفاصيل ذلك انظر :
محمد عبد الرءوف سليم : المرجع السابق ص ١٥٦ ، ١٥٧ .
(٣٠) حسن صبرى الخولى : المرجع السابق حـ ١ ص ٢٩١ .
والجدير بالذكر أن الزعيم الصهيونى وايزمان تمكن من انتزاع اتفاق خطير من الأمير فيصل بن الحسين ممثل المملكة الحجازية فى ذلك الوقت تضمن اتخاذ جميع الاجراءات التى من شأنها تقديم الضمانات لتنفيذ تصريح بلفور وتشجيع الهجرة اليهودية .

بينوا فيها ان فلسطين جزء لا يتجزأ من بلاد الشام ، ولا يمكن فصلها سياسيا او اجتماعيا عنها[٣١] .

ولم يقتصر أمر الاحتجاج على وعد بلفور على عرب المشرق بل امتد نطاقها الى افراد الجاليات الاسلامية فى أوربا حيث قدموا احتجاجاتهم الى الحكومة البريطانية موضحين عدم شرعية الادعاءات الصهيونية فى فلسطين .

وهكذا وقف العرب موقف المعارضة من التصريح ، ومن الانجليز والصهاينة .

موقف اليهود من تصريح بلفور :

عد معظم اليهود[٣٢] تصريح بلفور خطوة نحو تحقيق تنبؤات كتبهم المقدسة ونهاية لآلامهم ، وان عودتهم الى فلسطين اصبحت مسألة واقعية وكان من نتائج ذلك ما يلى :

١ — جمع هذا التصريح اليهود حول هدف واحد هو اقامة وطن قومى لهم فى فلسطين ، فحتى هذا الوقت لم تكن الصهيونية تفكر فى اقامة الدولة اليهودية ، ومن الثابت ان اليهود ترددوا فى المكان الذى ستقام عليه دولتهم ، وكانت جماعة منهم تعارض فكرة استيطان ارض فلسطين ، ولم تتوقف معارضتها الا بعد تصريح بلفور .

٢ — نشطت المجهودات الصهيونية بعد صدور التصريح فى العمل على اقامة الدولة اليهودية بفلسطين على حساب العرب اصحاب البلاد الأصليين ، واتخاذهم من التصريح سندا قانونيا لهم فى معظم تحركاتهم ، وقد اسفر عن ذلك القبول الرسمى البريطانى بتشكيل لجنة صهيونية تجسد التشكيل المدنى الذى يعمل جنبا الى جنب مع الادارة العسكرية فى حكم فلسطين[٣٣] .

---

(٣١) ولتفاصيل ذلك انظر : منسى : تصريح بلفور ص ١٢٦ .
(٣٢) عن تحفظ بعض اليهود على التصريح وردود فعل الأوساط اليهودية انظر :
د. محمد عبد الرءوف سليم : المرجع السابق ص ٥٧ — ٦١ .
(٣٣) نفسه ، ص ١٧٩ وما بعدها .

صك الانتداب البريطانى على فلسطين ١٣٤١ هـ/ ١٩٢٢م :

نص ميثاق عصبة الأمم فى مادته الثانية على ما عرف بصك الانتداب . وفى مؤتمر سان ريمو تم وضع فلسطين تحت الانتداب البريطانى مع الالتزام بتنفيذ وعد بلفور ، مما نقل الأوضاع داخل فلسطين من التزام بريطانى الى التزام دولى .

وقد اشتمل قرار الانتداب على ١٢٨ مادة منها سبع مواد تتعلق بمسألة الوطن القومى لليهودى فى فلسطين واتاحة الفرصة ليهود العالم بالهجرة اليها ، وتسهيل حصولهم على الجنسية فيها[٣٤] **وانشاء** الوكالة اليهودية للتعاون مع حكومة الانتداب البريطانى فى تسيير أمور اليهود الوافدين الى فلسطين[٣٥] .

وفى ظل ذلك خضعت فلسطين لادارة عسكرية قامت بمساعدة اليهود فى فتح أبواب الهجرة لهم ، وسرعان ما الغت بريطانيا هذه الادارة العسكرية وابدلتها بادارة مدنية وضعت على رأسها وزيرها اليهودى « هربرت صمويل » الذى ساند الحركة الصهيونية ، وقام بتنفيذ ما ورد فى تصريح بلفور ، ففتح أبواب فلسطين للهجرة اليهودية ونتيجة لذلك سارت عملية التهويد فى عدة خطوط متوازية هى :

١ — اغراق فلسطين بأفواج متلاحقة من يهود العالم حتى تكون لهم الغالبية العددية .

٢ — استخدام كافة الوسائل لنقل ملكية الأراضى من العرب الى اليهود .

٣ — السيطرة على اقتصاديات فلسطين بهدف فتح مجالات عديدة للعمل أمام اليهود ، وخنق عرب فلسطين اقتصاديا .

---

(٣٤) عمو رشدى : الصهيونية وربيبتها اسرائيل ، القاهرة ، النهضة المصرية ١٩٦٥ ص ٨٥ — ٨٦ .

(٣٥) أحمد فراج طايع : صفحات مطوية عن فلسطين ، القاهرة ، مطابع الشعب د.ت ص ٢٠ — ٢١ .

٤ ــ العناية بالمؤسسات الدينية والثقافية والاجتماعية لليهود فى فلسطين[٣٦] .

وهكذا يتضح أن صك الانتداب جاء فى الأصل منافيا للهدف الذى أنشىء من أجله نظام الانتداب وهو مساعدة الشعوب فى تطوير نفسها بواسطة دولة كبيرة متقدمة يضاف الى ذلك أن بريطانيا قد وضعت وعد بلفور موضع التنفيذ العملى مما كان له أكبر الأثر فى منشأ كل الاضطرابات التى حدثت فى عهد الانتداب البريطانى لفلسطين .

كفاح الشعب الفلسطينى للحفاظ على عروبة بلاده :

نشط كفاح عرب فلسطين للحفاظ على عروبة بلادهم بعد صدور تصريح بلفور ، فتعددت الاجتماعات وتألفت فى مدن فلسطن جمعيات تحت اسم « الجمعيات الاسلامية المسيحية »[٣٧] دلالة على تضامن الفلسطينيين « مسلمين ومسيحيين » ضد خطة بريطانيا والصهيونية الخاصة بتهويد فلسطين ، كما تكونت لجنة تنفيذية للاشراف على الحركة الوطنية ومواجهة الدعاية الصهيونية على اختلاف أجهزتها ببسط قضيتهم وحقوقهم فى بلادهم كما حددت اللجنة مهمتها داخل فلسطين بمواجهة كل محاولة تحاول الانتقاص من الحقوق العربية أو تساعد على تحقيق فلسطين تعبيرا عن السخط على السياسة البريطانية[٣٨] .

وتبلور برنامج كفاح عرب فلسطين فى الأهداف الرئيسية التالية :

١ ــ الغاء تصريح بلفور .

٢ ــ رفض الاعتراف بالانتداب البريطانى على فلسطين .

٣ ــ استقلال فلسطين .

٤ ــ تأسيس حكومة فلسطينية نيابية[٣٩] .

---

(٣٦) ياغى وشاكر : المرجع السابق ص ١١٠ .
(٣٧) حسن صبرى الخولى : المرجع السابق ص ٥١٥ .
(٣٨) عباس العقاد : الصهيونية وقضية فلسطين ، بيروت ، ١٩٦٣ ، ص ١٦٦ .
(٣٩) أحمد عزت عبد الكريم : المرجع السابق ص ٤٤٥ .

ونتيجة لخطورة الموقف الناجم عن غضبة عـرب فلسطين حاولت بريطانيا تهدئة الأمور فى محاولة منها لتحويل الحركة الوطنية عن غايتها وذلك عن طريق تشكيل لجان للتحقيق تارة ، ودعوة زعماء العـرب الى مؤتمرات لبحث الأمر تارة أخرى ولكن ذلك كله لم يأت بنتيجة عملية سوى استياء العرب من السياسة البريطانية المؤيدة للصهيونية .

ونتيجة لتفاقم الأمور وقع صدام فى القدس بين العرب واليهود فى ابريل عام ١٩٢٠ سقط فيه عدد من القتلى والجرحى من الجانبين ، وقد أعقب هذا الصدام قيام مظاهرة عربية نادت بوحدة فلسطين وسوريـة والاستقلال ، وسقوط الصهيونيـة والانتداب ، ولحسم الموقف شـكلت بريطانيا لجنة عسـكرية لمحاكمة المحرضين عـلى هذه المظاهرة حكمت بالسجن على بعض الزعماء العرب[٤٠] ، وفى عام ١٩٢١ قامت ثورات خطيرة فى فلسطين أسفرت عن قتل واصابة العديد من اليهود والعرب ولتمييع الموقف دعت بريطانيا زعماء الفلسطنيين العرب الى لندن لمفاوضة الحكومة البريطانية بشأن تأسيس حكومة فلسطينية ونتيجة لاصرار العرب على الغاء وعد بلفور ، ووقف الهجرة اليهودية حاولت بريطانيا تهدئـة نفوس العرب فأصدر ونستون تشرشل وزير المستعمرات البريطانى بيانا رسميا فى ٣ يونيو ١٩٢٢م عرف باسم « الكتاب الأبيض » حاول فيـه بث الطمأنينة فى نفوس العرب والقضاء على مخاوفهم ، كما انه أكد أيضا عزم بريطانيا على تحقيق رغبة الصهيونية فى فلسطين ، ففى حين انكر أن الهدف من تنفيذ تصريح بلفور جعل فلسطين برمتها يهودية فقد دافـع عن اليهود فى فلسطين مدعيا عـدم رغبتهم فى أن يكون لهم أى قسط فى ادارة شئون البلاد العامة .

وعلى كل حال فانه يمـكن تلخيص بنود هـذا الكتاب فى النقـاط الآتيـة :

١ — أن تصريح بلفور « غير قابل للتغيير » مما سبب صدمة للأمانى العربية ، وأكد تصميم بريطانيا على انشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين .

---

(٤٠) حسن صبرى الخولى : المرجع السابق ص ٥١٧ .

٢ — أن الوجود اليهودى فى فلسطين ستساندهُ بريطانيا وتؤيده .

٣ — عزم بريطانيا على انشاء الحكم الذاتى فى فلسطين[٤١] .

وقد رفض العرب هذا الكتاب ، وهاجموا العديد من نقاطـه التى ترمى الى افناء عرب فلسطين فى حين رحب به الصهاينة فى أول الأمـر للمكاسب التى حققتها لهم .

وعلى كل حـال فقد تدفق عدد من المهاجرين اليهود على فلسطين كما زادت مساحة الأراضى التى امتلكوها بتشجيع من السلطات البريطانية وهكذا كان الكتاب الأبيض تأكيدا لسياسـة بريطـانيا المناصرة لليهود واجحافا بحقوق العرب .

كل ذلك ادى الى اندلاع ثورة عـرب فلسطين فى عام ١٩٢٩ والتى استمرت خمسة عشر يوما وعرفت بثورة البراق .

ثورة البراق (حادث المبكى) ١٩٢٩م :

تجددت الاضطرابات فى فلسطين بما يعرف بحادث البراق عند العرب والمبكى عند اليهود حيث ادعى اليهود أن حائط المبكى أثر من آثار هيكلهم الزائل فى حين يعده المسلمون من الآثار الاسلامية المقدسة حيث ربط فيه النبى محمد صلى الله عليه وسلم جواده الذى عرج به الى السماء لذلك فهو تراث اسلامى وذخر من ذخائر المسلمين التى ورثوها جيلا بعد جيل والى أن يرث الله الأرض ومن عليها[٤٢] .

وكان اليهود قبيل وعد بلفور ، وقبيل استفحال نفوذهم فى فلسطين يذهبون الى هذا الحائط ، ويبـكون عنده تاريخهم الغابر ولـما استفحل نفوذهم خرقوا هذه التقـاليد التى جروا عليها من زمن بعيد وبدأوا فى اقامة « ساترا » على الحائط ورفضوا ازالته ، مما أدى الى اثارة ثائرة العرب .

(٤١) الخولى : المرجع السابق ص ٥٢١ .

(٤٢) أحمد عبد الغفور عطار : عروبة فلسطين والقدس ، بيروت ، ١٤٠٠ هـ ص ٨٢ .

ونظرا لتفاقم الموقف قام الانجليز بازالة هذا الســاتر ، وكان من الممكن ان يتوقف الأمر عند هذا الحد ، ولكن اليهود استغلوا هذا الموقف فى الدعاية بأن حريتهم الدينية قد أهدرت ، وقــاموا بمظاهرات صاخبة اصطدموا خلالها بالعرب مما ادى الى سقوط مئات من القتلى والجرحى من الفريقين ، ونظرا لذلك شكلت الحكومة البريطانية لجنـــة للتحقيق فى عام ١٩٣٠م اوصت بالحد من هجرة اليهود الى فلسطين ، والحد من انتقال الأراضى الفلسطينية الى ايدى اليهود ، كما دعت بريطانيا زعماء العــرب الفلسطينيين الى لندن للتفاوض ، ولكن المفاوضات فشلت نتيجة لاصرار تمسك الانجليز بوعد بلفور والانتداب على فلسطين .

الكتاب الأبيض ١٩٣٠م :

رأت بريطانيا ان واجبها كدولة منتدبة على فلسطين أن تحاول تهدئة الأمور فأصدرت فى عام ١٩٣٠ ما يعرف بالكتاب الأبيض الذى حاولت فيه ازالة المخاوف العربية ، واهم ما جاء فى هذا الكتاب هو :

١ — ان الوطن القومى لليهود فى فلسطين لا يراد به فرض الجنسية اليهوديـــة على فلسطن اجمالا .

٢ — وأن بريطانيا لا تخل بواجبها تجاه الفلسطينيين ارضاء لآراء المتطرفين الصهاينـــة .

٣ — وانها لا تسمح بزيادة الهجـــرة اليهوديـــة الى فلسطين بما لا تتحمله موارد هذه البلاد الاقتصادية .

٤ — وانه ليس من حق الوكالة اليهودية المشاركة فى حكم البـــلاد بل من حقها اسداء النصح والمعونة فقط .

٥ — وأن بريطانيا ستمنح الفلسطينيين نوعا من الحـــكم الذاتى فى الوقت المناسب .

٦ — وانها ستوقف الهجرة اليهوديـــة الي فلسطين فى الحـــالات الضروريـــة[٤٣] .

---

(٤٣) ســـالم الكســـوانى : المركز القـــانونى لمدينـــة القـــدس ص ١٣٣ — ١٣٤ .

وعند تحليلنا لنصوص هذا الكتاب نجد انه اذا كان قد وقف بجانب عرب فلسطين فى بعض المسائل فيما يختص بمسألة الهجرة والأرض فانه لم يغير شيئا فى جوهر السياسة البريطانية تجاه فلسطين من حيث تمسكها باقامة وطن لليهود فى فلسطين واتخاذها من صك الانتداب وسيلة تسوغ به سياستها المساندة لليهود .

ثـــورة ١٩٣٦ م :

بعد أن يئس عرب فلسطين من الوصول الى حل يحقق لهم مطالبهم العادلة بالطرق السلمية نتيجـــة لتأييد بريطـــانيا لليهود اعـــلن الشعب الفلسطينى ثورته ضد الانجليز انفسهم فتألفت لجنة سرية عربية فى حيفا فى نوفمبر ١٩٣٥ برئاسة **الشيخ عز الدين القسام** ، كان هدفها الجهـــاد لتحرير فلسطين عن طريق ارهاب الانجليز والفتك بدورياتهم وقد نجحت هذه الجماعة فى الفتك بعدد غير قليـــل من الانجليز ونتيجة لذلك جردت الحكومة البريطانية حملة عســـكرية ضخمة ضد أفـــراد هذه الجماعة ، استشهد فيها الشيخ القسام وعدد من أفراد جماعتـــه بمنطقة جنين فى نوفمبر ١٩٣٥ [٤٤] مما أثار ثائرة الفلسطينيين الذين حولوا جنازة الشهداء الى مظاهرة شعبية ضخمة هتفوا فيها ضد الانجليز . ولمـــا قام الانجليز بالتحـــرش بالمشيعين هاجمهم المشيعون بضراوة وتعقبوهم حتى مركز البوليس الذين دمروا ابوابـــه ونوافذه ، وفى أعقـــاب ذلك تفاقم الموقف واشتعلت نـــيران ثورة ١٩٣٦ ضد الانجـــليز حيث اتحـــدت الأحزاب الفلسطينية فى هيئة عربية عليا دعت الى الاضراب العام فى فلسطين كلها ، وقطعت خطوط المواصلات ، وهاجمت المستعمرات البريطانية . وعلى الرغم من محاولات بريطانيا قمع هذه الثـــورة بالقوة [٤٥] فقد اســـتمر أوارها مشتعلا مائة وستة وسبعين يوما هجر اليهود خلالها مستعمراتهم ، وتجمعوا فى المدن الفلسطينية الكبرى . وقد أصر عرب فلسطين خلال هذه الثورة على ما يلى :

١ — وقف الهجرة اليهوديـــة الى فلسطين تماما .

(٤٤) محمود السمرة : فلسطين الفكر والكلمة ص ٢٢ .
(٤٥) أحمد عزت عبد الكريم : المرجع السابق ص ٤٥١ .

٢ — منع انتقال الأراضى الى اليهود .

٣ — انشاء حكومة وطنية وحياة برلمـــانية .

ولقد كان لهذه الثورة صداها فى بلدان العـــالم عامة والوطن العربى خاصة فقد أخذت الصحف العالمية تتابع أحداث الثورة وتنشر تحقيقاتها ، كما توالت احتجاجات الحكومات العربيـــة على السياسة البريطانيـــة فى فلســـطين ، وتوافد المتطوعون من الأقطـــار العربيـــة لنصرة اخوانهم الفلسطينيين ولم تهدأ الثورة الا بعد أن تدخل رؤساء بعض الحكومـــات العربية فى الأمر بعد اقناعهم لبريطانيا لبحث مطالب الشعب الفلسطينى بروح العدل[٤٦] ووعدت بريطانيا ببحث المطالب العربية ، وعادت الحكومة البريطانية الى سياسة تشكيل اللجان ، والمراوغة لكسب الوقت وتسكين الأمور فشكلت « لجنة بيل » لدراسة أسباب الاضطرابات وتقديم توصياتها على أساس تنفيذ صك الانتداب والوفاء بالتزامات بريطانيا نحو العـــرب واليهـــود .

وقد تقدمت اللجنة بتقريرها فى عام ١٩٣٧ موضحة فيه الأسباب التى ادت الى تلك الاضطرابات متمثلة فى رغبة العـــرب فى نيل اســـتقلالهم القومى ، ورفضهم لفكرة انشاء وطن قومى لليهود ، وزيادة هجرة اليهود الى فلسطين مع استمرار انتقال ملكية الأراضى اليهم .

واقترحت اللجنة كعـــلاج للمشـــكلة تقسيم فلسطين الى ثـــلاث مناطق هى :

١ — دولة يهودية فى الأراضى التى يكون اليهود أكثر سكانها وهى تشمل اجود الأراضى الفلسطينية من حدود لبنان الى جنوبى يافا وتشمل عكا وحيفا وصفد وطبرية والناصرة وتل ابيب وترتبط الدولة الجديدة مع بريطانيا برباط التحالف .

٢ — دولة عربية وتشمل ما تبقى من ارض فلسطين تنضم الى شرق الأردن ، ويجرى التبادل بين السكان فى كل من هاتين الدولتين .

---

(٤٦) حسن صبرى الخولى : المرجع السابق ص ٥٩٧ .

٣ — توضع الأماكن المقدسة أى بيت المقدس ، وبيت لحم وممر يصل بينهما من جهة وبين يافا من جهة أخرى تحت الانتداب البريطانى الذى يشرف كذلك على الأماكن المقدسة حول بحيرة طبرية والناصرة .

٤ — اقترحت اللجنة أن تدفع الدولة اليهودية وبريطانيا مساعدات للدولة العربية ، وأن تعقد معاهدة جمركية بين الدولتين العربية واليهودية لتوحيد الضرائب بينهما الى حد كبير[٤٧] .

وبهذا التقسيم ظهر لأول مرة فى تاريخ المشكلة الفلسطينية وثيقة رسمية تمكن اليهود من اقامة وطن قومى فى فلسطين .

وقد رحبت الحكومة البريطانية بتقرير اللجنة خاصة وانه يحقق لها توطيد سيطرتها على هذه البلاد ، ووعدت بعرضه على عصبة الأمم لنيل موافقتها عليه .

وفى حين رفض العرب تقرير « لجنة **بيل** » رفضا تاما فقد رحب به معظم زعماء اليهود خاصة وانه يمكنهم من انشاء دولة يهودية فى جزء من فلسطين يتخذونه ذريعة للاستيلاء على الجزء الآخر .

وامعانا فى تحدى بريطانيا لشعور العرب عرض المشروع على عصبة الأمم فى جنيف لدراسته ثم سرعان ما تخلت بريطانيا عن هذا المشروع نظرا لاستمرار الثورات العربية ، وللصعاب السياسية والادارية والمالية التى ينطوى عليها التقسيم ورأت أن تواصل الاضطلاع بمسئوليتها فى حكم فلسطين[٤٨] .

مؤتمر الدائرة المستديرة ١٣٥٧هـ / ١٩٣٩م :

بعد أن عدلت بريطانيا عن فكرة التقسيم ، عملت على ارضاء العرب فدعت مندوبين من عرب فلسطين ، ومن الدول العربية ، ومندوبين من اليهود الى الاجتماع فى لندن على مائدة واحدة ، وقد رفض عرب فلسطين

(٤٧) أحمد عزت عبد الكريم : المرجع السابق ص ٤٥٢ وما بعدها .
(٤٨) محمد طه بدوى : المجتمع العربى والقضية الفلسطينية ص ٣٨٧ — ٣٨٨ .

فكرة الاجتماع بمندوبى اليهود فى مكان واحد ، مما جعل الانجليز يجتمعون بكل فريق على حدة وقد انفض المؤتمر فى مطلع ١٣٥٨هـ دون أن يصـل الى أى اتفاق[٤٩] خصوصا بعد أن ظهر البون الشاسع بين الحكومـة العربية والمطالب الصهيونية ونتيجة لذلك اصـدرت الحكومة البريطانية الكتاب الأبيض فى ١٧ مايو ١٩٣٩ متضمنا خطتها السياسية الجديدة نحو القضية الفلسطينية .

الكتاب الأبيض ١٣٥٨هـ / ١٩٣٩م :

بعد أن فشلت بريطانيا فى انجاح مؤتمر المـائدة المستديرة أعلنت أنها ستقدم حلا عادلا للقضية بعد موافقة مجلس العموم البريطانى عليها[٥٠] فأصدرت الكتاب الأبيض الثالث فى عـام ١٩٣٩م والتى أوضحت فيـه سياستها الجديدة بشأن فلسطين ، وحاولت أن تظهر فيه بمظهر المنصف بين العرب واليهود ، ومن هنا حاولت أن تكون عباراته مطاطة وغير محددة وتحتمل أكثر من معنى فأعلنت ان التزامها لليهود فى تصريح بلفور لا يعنى تحويل فلسطين الى دولة يهودية بل ينبغى أن تقوم فيها دولة فلسطينية مستقلة ترتبط برباط التحالف مع بريطانيا ، ويتم انشاؤها بعد انقضـاء فترة انتقال مدتها عشر سنوات يتوطد خلالها الأمن والنظـام فى فلسطين توطيدا كافيا ، ويرأسها حاكم انجليزى يعاونه ستة أعضاء من العرب ، ويهوديـان .

وعن الهجرة اليهودية اقر الكتاب الأبيض استمرارها خلال السنوات الخمس القادمة بخمسة وسبعين الفا[٥١] وبعدها يقفل باب الهجرة الى فلسطين تماما ، ولا يصرح به الا بعد موافقة عرب فلسطين أنفسهم[٥٢] وبذلك ظنت بريطانيا انها أوفت بوعودها لليهود بمساعدتهم على انشـاء وطن قومى كما انها أرضت العرب بتحديد هجرة اليهود الى فلسطين .

---

(٤٩) ياغى وشاكر : المرجع السابق ص ١١٤ .
(٥٠) لتفاصيل ذلك انظر :
عادل غنيم : الحركة الوطنيـة الفلسطينية من ثورة ١٩٣٦ حتى الحرب العالمية الثانية ، القاهرة ، مكتبة الخانجى ١٩٨٠ ص ٢٣٣ .
(٥١) نفســه .
(٥٢) عمر رشدى : الصهيونية وربيبتها اسرائيل ص ١٥٠ .

أما بشأن الأراضى وانتقالها الى اليهود فقد صدر تشريع عام ١٩٤٠ قسم فلسطين الى ثلاث مناطق :

١ — منطقة يسمح فيها ببيع الأراضى العربية لليهود دون قيد أو شرط . وقد لوحظ أن هذه الأراضى تشمل أجود المناطق الساحلية وأخصبها .

٢ — منطقة يتوقف فيها البيع الا بتصريح خاص من حكومة فلسطين .

٣ — منطقة يحظر فيها البيع البتة حتى يتسنى للعرب المحافظة على ما يتبقى بأيديهم من الأراضى[٥٣] .

وقد رفض اليهود توصيات الكتاب الأبيض رفضا باتا ، وكذلك رفضها عرب فلسطين وأعلنوا عدم تعاونهم مع الحكومة البريطانية فى تنفيذها لأنها لم تحقق مطالبهم الأساسية وهى الغاء تصريح بلفور ، واعادة فلسطين الى وجهها العربى الصحيح ، يضاف الى ذلك أن مندوبى الدول العربية التى شاركت فى مؤتمر المائدة المستديرة بلندن[٥٤] قد رفضت هذه التوصيات نظرا لما يحيط بها من غموض[٥٥] .

ونتيجة لذلك وجدت الحكومة البريطانية نفسها فى موقف صعب ملىء بالمتناقضات والأخطار ، وفى الوقت نفسه بدأ اليهود تنظيم هجرتهم غير المشروعة الى فلسطين على مدى أوسع منذى قبل الى أن نشبت الحرب العالمية الثانية[٥٦] .

نشوب الحرب العالمية ودخول القضية الفلسطينية فى معترك جديد :

وبنشوب الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ وظهور نتائجها دخلت القضية الفلسطينية فى طور جديد تمثل فيما يأتى :

١ — دخول الولايات المتحدة الأمريكية كعامل جديد فى المشكلة بجانب بريطانيا بتأثير من الصهيونية العالمية .

---

(٥٣) أحمد عزت عبد الكريم : المرجع السابق ص ٤٥٦ .
(٥٤) وهذه الدول هى مصر ، والعراق ، والسعودية ، واليمن ، وشرق الأردن .
(٥٥) أحمد عزت عبد الكريم : المرجع السابق ص ٤٥٦ .
(٥٦) ياغى وشاكر : المرجع السابق ص ١١٥ .

٢ ــ انشاء جامعة الدول العربية ، وتحويل القضية الفلسطينية الى قضية عربيــة .

٣ ــ تحويــل مركز الثقــل المساند للصهيونيــة من بريطانيا الى أمريكا[٥٧] بعد محاولات الانجليز الحد من هجرة اليهود الى فلسطين .

٤ ــ الاتجاه بالقضية الى المحيط الدولى واحتلالها شطرا كبيرا من اهتمام الرأى العام العالمى .

٥ ــ استغلال اليهود ظروف الحرب لصالحهم ، ونشر دعايتهم عن الاضطهاد النازى الذى تعرضوا له ، وعن أهمية ايجاد حل لمشكلتهم .

ونتيجة لهذه الأمور مجتمعة استطاع اليهود استدرار عطف الولايات المتحــدة عليهم لدرجــة انهــا أعلنت عن عزمها فيما عــرف بتصريح « **بلتيمور** »[٥٨] على اقامة دولة يهودية فى فلســطين واطــلاق الهجرة اليهــا[٥٩] .

يضاف الى ذلك قيــام الرئيس الأمريكى « ترومان » بتأييد اليهــود فى فلسطين وتأييد هجرتهم اليها فأرسل الى المستر « اتلى » رئيس وزراء بريطانيا فى ٣١ من اغسطس ١٩٤٥ يؤيد فتح أبواب فلســطين لليهود النازحين من المــانيا ويطالب بهجرة مائة الف يهودى اليها .

ونتيجــة لذلك رأت بريطانيا أن تشرك الولايات المتحــدة فى هذه القضية ، وقد رحبت أمريكا بهذه الدعوة ورأت الدخول الى جانب بريطانيا لتحقيق اهــداف الصهيونيــة فى فلسطين[٦٠] ومن هنا تشــكلت اللجنــة البريطانية الأمريكية فى عام ١٩٤٦ لبحث هذه المشكلة . وتقصى الحقائق حول القضية الفلسطينية .

---

(٥٧) لتفاصيل ذلك انظر : أحمد طربين : فلسطين فى خطط الصهيونية والاستعمار ــ أمريكة فى خدمة الدولة اليهودية ١٩٣٩ ــ ١٩٤٧ القاهرة ــ معهد البحوث والدراسات العربية ، ١٩٧٣ ، الفصل الأول .

(٥٨) نسبة الى فندق بلتمور Biltmore بنيويورك .

(٥٩) محمد طه بدوى : المرجع السابق ص ٣٩٠ .

(٦٠) عمر رشدى المرجع السابق ص ٩٤ .

وقد أصدرت هذه اللجنـــة تقريرها فى ٢٠ من أبريل ١٩٤٦ بتأييد المطالب الصهيونية عمليا فرأت ضرورة السماح لمئة الف يهودى بالهجرة الى فلسطين ، كما اعترفت بأن فلسطين وحدها لا تستطيع حـــل مشكلة اليهود المشردين من الاضطهاد النازى .

وقد احتج العرب على تقرير هذه اللجنة ، وعقد مجلس الجامعة العربية اجتماعا فى « بلودان » عام ١٩٤٦م أوضح فيـــه رفضـــه لقرار اللجنة البريطانية الأمريكية ، ورفضـــه لقـــرار التقسيم كحـــل للمشكلة الفلسطينيـــة .

وعلى كل حال فبعد مشاورات مستمرة بـــين بريطانيا والولايـــات المتحدة اعلنت الحكومـــة البريطانية عن مشروع جديد لحـــل القضـــية الفلسطينية عرف « بمشروع موريسون » ويقترح هـــذا المشروع تقسيم فلسطين الى اربع مناطق اداريـــة منطقة عربيـــة ، ومنطقة يهوديـــة ، ومنطقتين تحت الادارة البريطانية هما « القدس » و « النقب »[٦١] على أن تقوم فى المنطقتين العربية واليهودية حكومات محليـــة تمارس مظـــاهر التشريع والادارة ويكون أمر العلاقات الخارجية والدفاع والجمارك بيـــد الحكومة البريطانيـــة .

وقد رفض العرب هذا المشروع جملة وتفصيلا ، وتقدموا بمشروع طالبوا فيه باقامة دولة موحدة فى فلسطين وايقاف الهجرة اليهودية اليها ، واحترام حرمة الأماكن المقدســـة ، ولكن بريطانيا اصرت على أن مشروع **موريسون** هو الحل الأمثل بالنسبة لقضية فلسطين[٦٢] .

القضية الفلسطينية أمام هيئة الأمم المتحدة ١٣٦٦هـ :

ونظرا لتعقد الأمور بالنسبة للقضية الفلسطينية انتقلت المشـــكلة برمتها الى هيئة الأمم المتحدة التى قررت تأليف لجنـــة تحقيق من ممثلى احدى عشرة دولة محـــايدة هى : **استراليا ، وكندا ، وتشيكوسلوفاكيا ،**

---

(٦١) احمد طربين : المرجع السابق ص ٣٦١ .
(٦٢) محمد طه بدوى : المرجع السابق ص ٣٩٢ .

وجواتيمالا ، والهند ، وهولندا ، وايران ، وبيرو ، والسويد ، وأورجواى ، ويوغوسلافيا .

وقد انتهت اللجنة من وضع تقريرها فى الحادى والثلاثين من أغسطس ١٩٤٧ والذى أوصت به الأغلبية ويرمى الى تقسيم فلسطين الى دولة عربية ، واخرى يهودية ، ومنطقة دولية فى القدس تكون تحت رقابة الأمم المتحدة والى انهاء الانتداب البريطانى على فلسطين ، ومنح فلسطين الاستقلال ، والعمل على حل مشكلة اليهود المشردين فى أوربا .

وقد صدر قرار التقسيم فى التاسع والعشرين من نوفمبر عام ١٩٤٧م[٦٣] باغلبية ٣٣ صوتا مقابل ١٣ صوتا وامتناع عشر دول عن التصويت . وفى أعقاب ذلك أعلنت بريطانيا عن استعدادها لسحب قواتها من فلسطين فى ١٤ من مايو[٦٤] ، كما عينت الأمم المتحدة لجنة للاشراف على تنفيذ قرار التقسيم[٦٥] .

وهكذا كان قرار الأمم المتحدة الخاص بتقسيم فلسطين ، وفى حين هلل له اليهود ، صدم العرب به صدمة كبيرة ، وانفجرت ثورتهم ، واشتبكوا مع اليهود فى مصادمات واسعة داخل فلسطين مما جعل الوضع بالغ الخطورة وادى الى نزاع دموى رهيب كان له رد فعل داخل أروقة الأمم المتحدة وادى الى انعقاد مجلس الأمن لمناقشة الأوضاع داخل فلسطين ، ومناشدته لجميع الحكومات والشعوب وبنوع خاص فى داخل فلسطين وما حولها لاتخاذ الوسائل الممكنة لتخفيف حدة النزاع القائم فى فلسطين[٦٦] كما طلب المجلس من الجمعية العامة للأمم المتحدة بحث القضية الفلسطينية من جديد .

---

(٦٣) شاكر الدبس : الدول العربية فى منظمة الأمم المتحدة ، دمشق ١٩٤٨ ص ١١٥ .

(٦٤) أحمد عزت عبد الكريم : المرجع السابق ص ٤٦٥ .

(٦٥) شاكر الدبس : المرجع السابق ص ١١٦ .

(٦٦) شاكر الدبس : المرجع السابق ص ١١٨ — ١١٩ .

وقد احتج اليهود على ذلك ، واكدوا عزمهم على اعلان دولتهم فى قسمهم الذى منحهم اياه مشروع التقسيم .

وعلى كل حال فقد ازدادت الأمور تعقيدا واضطرابا داخل فلسطين ، وبدأت حرب العصابات بين العرب واليهود ارتكب اليهود خلالها المذابح الرهيبة فى « دير ياسين » وغيرها والتى راح ضحيتها الكثير من النساء والأطفال .

ومضى اليهود فى ترويع عرب فلسطين لاجبارهم على الهجرة منها ، ونتيجة لذلك تدفق المتطوعون من البلدان العربية لمساندة اخوانهم فى فلسطين[٦٧] .

وخلال ذلك أعلنت بريطانيا أنها ستنهى انتدابها على فلسطين ١٤ من مايو ١٩٤٨ ، وفى حين أخذت القوات البريطانية فى الرحيل عن فلسطين حدثت العديد من المجازر البشرية بين العرب واليهود على مرأى ومسمع من السلطات البريطانية[٦٨] وفى منتصف ليلة ١٥ من مايو ١٩٤٨ غادر المندوب السامى البريطانى ميناء حيفا معلنا انتهاء الانتداب البريطانى على فلسطين ، وعلى اثر مغادرته أعلن بن جوريون قيام دولة اسرائيل[٦٩] وقد اعترفت بها الولايات المتحدة فور الاعلان عن قيامها[٧٠] .

ونتيجة لذلك بدأت مرحلة الكفاح المسلح بين العرب واليهود حيث لم تجد الدول العربية بدا من التدخل العسكرى فى فلسطين لانقاذ أهلها ، فدخلت القوات العربية فلسطين فى اليوم التالى لانهاء الانتداب معلنة وقوفها الى جانب الشعب الفلسطينى ودفع الظلم عنه ، وتمكينه من الدفاع عن نفسه حتى يتحقق استقلال فلسطين .

وقد شكا مندوب الوكالة اليهودية الدول العربية الى مجلس الأمن

---

(٦٧) احمد عزت عبد الكريم : المرجع السابق ص ٤٦٦ .
(٦٨) ابراهيم خليل احمد : اسرائيل فتنة الأجيال ، بيروت ، ١٩٦٠ ص ٢٤٧ .
(٦٩) عمر رشدى : المرجع السابق ص ١٠٤ .
(٧٠) حسن صبرى الخولى : المرجع السابق ص ٤٥٨ .

وطلب اصدار الأوامر اليها بالانسحاب من فلسطين فى حين انبرى مندوب الهيئة العربية العليا الى ابلاغ مجلس الأمن « أن الهيئة المذكورة التى تمثل الكثرة الساحقة من سكان فلسطين هى التى وجهت الدعــوة الى الدول العربية ترجوها فيها دخول الأراضى الفلسطينية »(٧١) ومناصرة الحق الفلسطينى كما تلقى مجلس الأمن ايضا طلبا من الحكومة الاسرائيلية تناشد فيه التدخل لوقف الزحف المصرى ، الأمر الذى أجاب عليه مندوب مصر بقوله « ان البيت الذى بجوارنا يحترق بسرعة فمن حق مصر والحالة هذه ، لا بــل من اقدس واجباتها أن تسرع لاطفاء هذه النار »(٧٢) .

وفى ١٧ من مايو تقدم مندوب الولايات المتحدة باقتراح يدعو فيــه الفريقين الى ايقاف اطلاق النار فى خلال ٣٦ ساعة على أساس أن الحالة فى فلسطين تهدد السلم العالمى . وبعد مناقشات حامية وجه مجلس الأمن فى ٢٢ من مايو دعوته الى المقاتلين بوقف القتال نهائيا فى خلال ٣٦ ساعة وقد أعربت السلطات اليهودية عن استعدادها لوقف القتال اذا فعــل العرب ذلك . وحسما للموقف تقدم المندوب البريطانى باقتراح هدنــة فى فلسطين مدتها أربعة أسابيع تشمل ما يلى :

١ — عدم تصدير الأسلحة الى فلسطين أو الدول العربية .

٢ — عدم تجنيد أو تعبئة أو تدريب القادرين على حمل الســلاح فى فلسطين أو الدول العربية .

٣ — عدم هجرة الذكور البالغين الى فلسطين .

٤ — تنفيذ وقف اطلاق النار من قبــل الجانبين يوم الثلاثاء أول يونيــو .

وبعد عدة مناقشات وافق مجلس الأمن على هدنة الأربعة الأسابيع ، وحرم على الطرفين جلب الأسلحة مع السماح للمهاجرين اليهود بالقدوم على الا يشتركوا فى القتال خلال فترة الهدنة(٧٣) .

---

(٧١) الدبس : المرجــع السابق ص ١٢٣ .
(٧٢) نفســــه .
(٧٣) ياغى وشاكر : المرجع السابق ص ١١٩ .

ولقد كانت الغاية من عقد هذه الهدنة هو تسهيل مهمة « الكونت برنادوت » الوسيط الدولى فى الوصول الى اتفاق بين العرب واليهود . وعلى الرغم من تمكن الجيوش العربية من ناصية الأمور فقد قبل العرب بوقف القتال وقبول هدنة الأربعة الأسابيع ، كما قبل به اليهود .

وفى التاسع عشر من يونيو شرع « الكونت **برنادوت** » باجراء المفاوضات فى مقر عمله فى **« رودس »** مع خبراء من العرب واليهود ليتمكن بذلك من وضع مقترحاته بشأن تسوية القضية الفلسطينية وكان اليهود خلال هذه الفترة يخرقون الهدنة ، ويأتون بالمعدات والرجال غير عابئين بحرمة العهود ، وكان ذلك بشهادة مراقبى الهدنة[٧٤] .

وفى السابع والعشرين من يونيو تقدم « الكونت برنادوت » الى العرب واليهود بمقترحات لتسوية مشكلة فلسطين أبرز ما جاء فيها هو :

١ — انشاء اتحاد من دولتين ، دولة عربية ودولة يهودية يشمل الأراضى التى كانت تحت الانتداب البريطانى عام ١٩٢٢م .

٢ — تعيين لجنة خاصة تتولى تحديد تخوم هذا الاتحاد المنبثق من دولتين تفصل بينهما حدود يتم تعيينها .

٣ — تكون مدينة القدس منطقة عربية على أن تتمتع الطائفة اليهودية فيها بالحكم الذاتى .

وبعد أن درست اللجنة السياسية العربية هذه المقترحات دراسة وافية أجابت عليها بالرفض لاستنادها على التقسيم كما رفضت اقتراح برنادوت بتمديد أجل الهدنة لمدة شهر ، وفى الساعة الثامنة من صباح اليوم التاسع من يوليو استأنفت الجيوش العربية القتال فى فلسطين الا أن « الكونت برنادوت » ناشد العرب واليهود وجوب تمديد الهدنة ولكن الجامعة العربية أعلنت عن رفضها لذلك مبررة أن الهدف من دخول

---

(٧٤) الدبس : المرجع السابق ص ١٢٧ — ١٣٠ .

الجيوش العربية هو انقاذ فلسطين من طغيان العصابات الصهيونية الغاشمة ولاعادة الأمن والنظام الى نصابهما فى فلسطين(٧٥) .

وخلال هذه الفترة تمكن اليهود من استجماع قواهم وتحقيق أهدافهم بسلسلة من الاعتداءات الغادرة مستغلين التصدع الذى كانت تعانيه الجبهة العربية سواء من الناحية السياسية أم العسكرية فاستولوا على العديد من المناطق فى فلسطين .

وانتهى الأمر بعقد هدنة « رودس » بين الدول العربية المجاورة لحدود فلسطين واسرائيل ، فتم عقد الهدنة بين مصر واسرائيل فى ٢٤ من فبراير ١٩٤٩ ، وبين لبنان واسرائيل فى ٢٣ من مارس ١٩٤٩ وبين الأردن واسرائيل فى ٣ أبريل ١٩٤٩ وأخيرا عقدت الهدنة بين سورية واسرائيل فى ٢٠ من يوليو ١٩٤٩(٧٦) .

وينتهى الأمر بوقوف الشعب الفلسطينى وحيدا فى الميدان أمام هذه القوى الغادرة ليقدم الضحايا بلا حساب .

ونتيجة لما حدث تسنى لليهود وضع أيديهم على فلسطين كلها عدا منطقتين هما :

١ — منطقة غزة وقد تمركزت فيها القوات المصرية .

٢ — منطقة غرب الأردن التى انضمت فيما بعد الى امارة شرق الأردن وكونت معها المملكة الأردنية الهاشمية .

٣ — القدس وقد اقتسمت بين الأردن واسرائيل .

وهكذا هزت حرب فلسطين الشعوب العربية كلها ، وتبين لها العديد من مواضع القصور فى مواجهة الموقف من أجل فلسطين .

---

(٧٥) الدبس : المرجع السابق ص ١٣٩ .
(٧٦) عزت عبد الكريم : المرجع السابق ص ٤٧١ .
وعن تفاصيل ذلك انظر :
اتفاقية رودس بين العرب واسرائيل عام ١٩٤٩ والتى نشرها مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر فى عام ١٩٧٤ .

تطورات القضية الفلسطينية بعد حرب ١٩٤٨ وحتى الانتفاضة :

أخذ العدو الصهيونى بعد حرب ١٩٤٨ وطبقا لخطته المرسومة ينطلق من استراتيجية العدوان المستمر على الجبهة العربية عسكريا وسياسيا بينما كانت الجبهة العربية تنطلق من استراتيجية الدفاع المستمر .

ونتيجة لقرار الرئيس عبد الناصر تأميم قناة السويس فى يوليو ١٩٥٦ استغل اليهود الفرصة وهجموا على قطاع غزة ، وتمكنوا من الاستيلاء عليه ، ولكنه اعيد الى مصر بعد تدخل الدول الكبرى خصوصا الولايات المتحدة التى فرضت ارادتها بخصوص انسحاب القوات المعتدية ، واتخذ قوات الطوارىء الدولية لمواقعها — بناء على قرار الأمم المتحدة فى ٥ نوفمبر ١٩٥٦ — على حدود سيناء ، وفى خليج العقبة ، وشرم الشيخ وغزة .

وفى محاولة من الشعب الفلسطينى لاثبات وجوده انطلقت الثورة الفلسطينية رافعة شعلة الجهاد فى فاتح كانون الثانى (يناير) ١٩٦٥ واعتمدت فى ذلك على مبادىء أساسية محددة أبرزها ما يلى :

١ — اعتماد الكفاح المسلح والثورة الشاملة كأسلوب وحيد لتحرير فلسطين وتصفية الكيان الصهيونى .

٢ — ضرورة انصهار كل الطاقات الفلسطينية فى بوتقة الثورة من أجل بروز الكيان الفلسطينى الثورى .

٣ — رفض اى مساومة على حقوق الشعب الفلسطينى ورفض جميع المشاريع الاستعمارية .

٤ — اعتماد الحرب الشعبية طويلة الأمد استراتيجية للثورة الشاملة .

٥ — اعطاء معركة تحرير فلسطين الأولوية على كافة القضايا العربية باعتبارها معركة البقاء بالنسبة للأمة العربية .

ولقد استطاعت الثورة الفلسطينية من خـلال العديد من المعـارك البطولية أن تثبت وجودها على مسرح الأحـداث ، وأن تحقق العديد من الانجـازات[٧٧] .

ونتيجة لأعمال الفدائيين ضد اسرائيل بلغت حدة التوتر بين اسرائيل والدول العربية أشدها مما جعل الأمور تصل الى حـد الانفجار ، وزاد الأمور تعقيدا مطالبة الحكومة المصريـة من سكرتير عـام الأمم المتحدة سحب قوات الطوارىء الدولية من غزة وشرم الشيخ واغلاق خليج العقبة أمـام السفن الاسرائيلية مما ادى الى هجوم اسرائيـل المفاجىء عـلى المطارات والطائرات المصرية فى صباح ٥ يونيو ١٩٦٧ ، ثم استيلائها على سائر الأراضى الفلسطينية اضافة الى سـيناء من مصر والجـولان من سورية ، ومحاولتها فرض الصلح على العرب بالقوة وفرض شروطهـا عليهم .

وقد نتج عن ذلك قيام الثورة الفلسطينية ، وبروز الكيان الفلسطينى المستقل فقامت منظمة التحرير الفلسطينية وخـرج الشعب الفلسطينى ليأخذ قضيته بنفسه ويدافع عن حقوقه بنفسه واستطاع العمل الفلسطينى أن يفرض نفسه فتحول الشعب الفلسطينى من شعب من اللاجئين الى شعب من المقاتلين[٧٨] .

وفى العاشر من رمضان ١٣٩٣هـ قامت مصر وسورية بشن الحرب على اسرائيل ، ووقف العرب بجانبهما حتى تم احراز العديد من الانتصارات العسكرية ، ثم توقف القتال انتظارا للحلول السلمية التى طال أمدها .

حقيقة أن حرب اكتوبر ١٩٧٣ كانت حدثا عظيما فى تاريخ العـرب الحديث والمعاصر ومع ذلك فانها لم تحسم الأمر نهائيا لمصلحتهم .

وحقيقة لقد وضع العرب اقدامهم على بداية الطريق الصحيح ولكن عليهم متابعة السير بجراة وثبات وتوحيد الصف والهدف .

---

(٧٧) للتفاصيل انظر بيان سياسى صادر بمناسبة الذكرى الرابعـة لانطلاقة الثورة الفلسطينية يناير ١٩٦٩ .

(٧٨) اليقظة العربية . ابريل ١٩٨٥ ص ٣٦ — ٣٧ .

الانتفاضة الفلسطينية واشراقة الأمل :

نتيجة لاذلال الصهاينة لأبناء الشعب الفلسطينى ، واستعمالهم شتى أنواع القهر والبطش والارهاب واحساس الفلسطينيين بضياع وطنهم وقهر ارادتهم وامتهان كرامتهم وتجاهل المجتمع الدولى لقضيتهم العادلة كان لابد من التضحية بالنفس والنفيس ، وابراز حقيقة الوجود الصهيونى فى فلسطين ، ومقدرة ابناء الشعب الفلسطينى على مواجهة الصلف الصهيونى المدجج بالسلاح .

ولكى تتضح أبعاد الانتفاضة سنتعرض لأوضاع الشعب الفلسطينى فى ظل الاحتلال الصهيونى .

اولا : الوضع السياسى :

بدأت الحكومة الاسرائيلية فى أعقاب حرب ١٩٦٧ بالتوسع فى سياسة الاستيطان داخل الأرض المحتلة فأنشأت العديد من المستوطنات الصهيونية فى الضفة الغربية والجولان وسيناء وتم طرد العرب من أراضيهم ، كما وصل الأمر الى طرد سكان القدس من منازلهم لدرجة أن أصبح معظمهم بلا مأوى [٧٩] ، وقد استمر هذا الوضع التعسفى بالفلسطينيين تحت ضغط الارهاب والامتهان ، ووصل الأمر بالحكومة الاسرائيلية أن اصدرت أوامرها بحل أمانة مدينة القدس العربية والحاق موظفيها وعمالها ببلدية القدس الاسرائيلية وبهذه الطريقة تمكن اليهود من جعل هذه المدينة المقدسة خاضعة هى وسكانها خضوعا كاملا للسيطرة الاسرائيلية [٨٠] .

والى جانب ذلك سلب الصهاينة من عرب فلسطين حريتهم السياسية ، فلم يسمحوا لهم بانشاء المنظمات السياسية ، ووضعوا نواديهم الاجتماعية والرياضية تحت المراقبة ، كما أصبحت القرى

---

(٧٩) حسين أبو النمل وآخرون : الكتاب السنوى للقضية الفلسطينية لعام ١٩٧٥ بيروت الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ / ١٩٧٨م ص ١٠٥ — ١٠٧ .
(٨٠) تيسير النابلسى : الاحتلال الاسرائيلى للأراضى العربية ، بيروت ، منظمة التحرير الفلسطينية ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م ص ١٩٦ .

والمخيمات الفلسطينية تعيش فى حالة من الحصار المستمر(٨١) ، وتجوبه شوارعها الدوريات العسكرية الاسرائيلية المكثفة التى تقوم بتفتيش الفلسطينيين هذا الى جانب الدوريات الجوية التى تحوم حول المناطق العربية ليلا ونهارا .

كل هذه القيود والأعمال التعسفية قد شلت قدرة الناس ، وقيدت حركاتهم داخل الأرض المحتلة مما جعلهم يعيشون فى حالة من الاكتئاب ، وينتظرون يوم الخلاص بعد أن فقدوا حريتهم وأصبحوا لا يستطيعون التعبير عن آرائهم وافكارهم(٨٢) .

ثانيا : الأوضاع الاقتصادية :

هددت سوء الأوضاع الاقتصادية داخل الأراضى الفلسطينية المحتلة الكيان العربى خصوصا بعد أن أخذت سلطات الاحتلال الاسرائيلية بمصادرة الأراضى الزراعية ومنع أصحابها من الدخول اليها وحصاد ما بها من محاصيل(٨٣) مما ادى الى تحطيم البنية الاقتصادية للسكان فى محاولة لتجويعهم واجبارهم على مغادرة بلادهم .

وفى محاولة لدمج الاقتصاد الفلسطينى بالاقتصاد الاسرائيلى صادرت سلطات الاحتلال محاصيل الحمضيات المعدة للتصدير الى أوربا بقصد منع منافسة المزارعين الفلسطينيين لاسرائيل ، يضاف الى ذلك قيام اليهود باعاقة العلاقات التجارية بين الفلسطينيين والأردن ، ومحاولتهم تقوية علاقاتهم الاقتصادية بالأرض المحتلة فمنعت الدينار الأردنى من التعامل به فى مدينة القدس(٨٤) . كما منعت اسرائيل أى شخص من دخول الأراضى المحتلة ومعه اكثر من ثلاثة آلاف دولار(٨٥) .

---

(٨١) صالح سرية : تعليم العرب فى اسرائيل ، بيروت ، مركز الأبحاث ، ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م ص ١٦ .

(٨٢) فلسطين الثورة : العدد ٥٤٢ ، الصحيفة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية فى ١٩٨٥/١/٢٦م / ١٤٠٥هـ ص ٢٠ .

(٨٣) أبو النمل : مرجع سابق ص ١١٧ .

(٨٤) النابلسى : مرجع سابق ص ١٩٦ .

(٨٥) شئون فلسطين : العدد ١٦٣ ، مركز الأبحاث فى منظمة التحرير الفلسطينية ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م ص ١٥ ، ١٦ .

ونتيجة لهذه الأعمال التعسفية تحولت حياة الفلسطينيين الى جحيم حيث تدهورت أحوالهم الاقتصادية وانتشرت البطالة بينهم .

يضاف الى ذلك أن السلطات الصهيونية مكنت اليهود من اقـامة المصانع الكبيرة داخل الأراضى المحتلة فاحتكروا مصانع الأسمنت وغيرها فى حين منع الفلسطينيون من ذلك(٨٦) واقتصر دورهم عـلى الصناعات الخفيفة واليدوية مما أدى الى اضعاف القطاع الصناعى ، وفرض المنافسة غير المتكافئة بين الصناعات الوطنية والصناعات الاسرائيلية .

ثالثا : الأوضـاع الاجتمـاعية :

لم تكتف الحكومة الاسرائيلية بما حـدث للاجئين الفلسطينيين الذين سلبتهم ممتلكاتهم ، وعاشوا على ما تقدمه لهم وكالة غوث اللاجئين الدولية من طعام وكساء بل عملت على تمزيق وحدة المجتمـع الفلسطينى ، وبث الشك بين أفراده عن طريق تجنيد بعض العملاء لمتابعة ما يحدث داخل التجمعات الفلسطينية والزج بأفرادها داخل السجون(٨٧) كما اتجهت الى التفرقة بين الفلسطينيين أنفسهم حتى تحدث البغضاء والكراهية بينهم ، ففى النقب قسمت الأهالى الى قسمين قسم يملك الأراضى ، وقسم لا يملك والى جانب ذلك قامت سلطات الاحتلال الاسرائيلى بنسف المنازل وتشريد أصحابها مما أثر على الاستقرار الاجتماعى(٨٨) وجعل المجتمعات العربية داخل الأراض المحتلة بعيدة عن الاستقرار ، وأجبر السكان العرب على سكنى الأكواخ المزدحمة .

رابعا : اجراءات القمع والاعتقال والتعذيب :

قام الاسرائيليون باستعمال كل اسـاليب الارهـاب والقمـع ضد الفلسطينيين دون رادع من شريعة أو قانون ، فاعتقلوا الأهالى وشردوهم ،

---

(٨٦) شئون فلسطين : العدد ١٦٥ ص ٧٨ .

(٨٧) جورج خورى نصر الله : الوثائق الفلسطينية العربيـة لعام ١٩٧٠ بيروت ، مؤسسة الدراسـات الفلسطينية ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م ص ٦٢٠ .

(٨٨) جورج نصر الله : الوثائق الفلسطينية لعام ١٩٧٤ ص ١٨٣ .

وهدموا المنازل وصادروا الأراضى واقاموا عليها المستوطنات ، وأغلقوا المحلات التجارية ، وطوقوا الطرقات والشوارع باقامة الحواجز القمعية الاستفزازية والاعتقالات العشوائية التى لا تفرق بين كبير وصغير سواء أكان امرأة أم رجلا وفرضوا الاقامات الجبرية والإعتقالات الادارية والطرد الى خارج الوطن ، واطلقوا الرصاص على المتظاهرين من الطلاب باسم القانون والأمن والنظام[٨٩] .

ويتعرض المعتقلون لأشكال من التعذيب والاهانة وعمليات غسل المخ حتى يصل الأمر بالمعتقل الى فقدان الذاكرة ، ويستمر التعذيب باستخدام الكهرباء ، واستخدام الكلام والضرب بالعصى البلاستيكية على الأعضاء الجنسية والتهديد بالقتل[٩٠] فالى متى يستيقظ ضمير الانسانية على عظم الكارثة التى يعانى منها الشعب الفلسطينى؟ !!

خامسا : الوضع الدينى :

من الأعمال الاستفزازية التى اتخذتها اسرائيل منذ عام ١٩٦٧ العمل على تهويد المسجد الأقصى والاستيلاء عليه وتحويله الى معبد يهودى ، ومحو كل اثر للاسلام به فقد قامت اسرائيل بعمليات حفر وتنقيب تحت جدران المسجد الأقصى بحثا عن هيكلهم المزعوم ، كما قام بعض الصهاينة بمحاولة احراق المسجد الأقصى . والى جانب ذلك تعرضت العديد من المساجد لعمليات القصف المباشر من قبل الصهاينة ، هذا بالاضافة الى تعطيل الشعائر الاسلامية ، والتدخل فى شئون المسلمين الدينية[٩١] ومن ذلك مراقبة خطب الجمع التى تلقى فى المساجد ، وحذف بعض فقراتها ثم ادخال بعض الزوار غير المسلمين الى المسجد الأقصى بحالة تتعارض مع الديانة الاسلامية[٩٢] والقيام بالتعدى على المسجد الابراهيمى واغلاقه

---

(٨٩) مجلة المجتمع : العدد ٧٨١ فى الثلاثاء ٢٨ ذى الحجة ١٤٠٦هـ ٣ سبتمبر ١٩٨٦ .

(٩٠) للتفاصيل انظر . جورج نصر الله : الوثائق الفلسطينية لعام ١٩٧٠ ص ٤٢٢ .

(٩١) نفس المرجع ص ٨٨٩ .

(٩٢) وليد أبى مرشد وآخرون : الكتاب السنوى للقضية الفلسطينية لعام ١٩٦٧ ص ٥٤٨ .

أمام المسلمين فى معظم أيام الاسبوع عدا ساعات قليلة يـوم الجمعة مع فتحه للاسرائيليين طوال أيام الاسبوع وضرب الامـام والمصلين وتحطيم الآيات القرآنية مما أثار شعور المسلمين المتواجدين فى المسجد ، فحاولوا الدفاع عن مقدساتهم ، ولكنهم جوبهوا بوحشية كبيرة من قبل السلطات العسكرية الاسرائيلية(٩٣) .

ونتيجة لكل هذه الأمور كان حدوث الانتفاضـة أمرا حتميا ، وكان الانفجار ينتظر الشرارة التى تمثلت فى قيام سيارة اسرائيلية فى الثامن من ديسمبر ١٩٨٧ بقتل أربعة من الفلسطينيين عمدا لطعن احد الفلسطينيين لاسرائيلى فى غزة فى يـوم سابق على الحـادث مما أدى الى قيـام طلبة المدارس بمظاهرة ضد اسرائيل ، ولمـا قام الاسرائيليون بمواجهتها رشقهم الطلاب بالحجارة ، واستخدموا معها القضبان الحديديـة ، وزجاجات المولوتوف ، ورفعوا العـلم الفلسطينى كرمز للمقـاومة ضـد الحـكم الاسرائيلى(٩٤) ، وانتقلت المقاومة الى باقى المناطق المحتلة(٩٥) لمواجهـة الاحتلال الصهيونى واثبات قـدرة الشخصية الفلسطينية عـلى مواجهة التحديات مما أربك قوات الاحتـلال الصهيونى ، وأحدث ضجة عالميـة خاصـة بعد نجاح أطفال الحجارة فى اثبات حقهم فى الحياة وفشل جميع الأساليب التى لجأ اليها الصهاينـة لقمعهم ، فبالرغم من ضراوة القمـع الصـهيونى ، وتطبيق سياسـة « العصـا وكسر العظم » التى أعلنها « اسحق رابين » وزير الدفاع الاسرائيلى وعـلى الرغم من الوسائل غير الانسانية التى تتبعها اسرائيل لكبح الانتفاضة مثل استعمال الذخيرة الحية ، والرصاص المطاطى والأنواع المختلفة من الغاز المسيل للدموع والسـام لتفريق المتظاهرين(٩٦) ، والاعتقالات المستمرة للشعب الفلسطينى المناضل

---

(٩٣) جورج خورى : الوثائق الفلسطينية لعام ١٩٧٦ ص ١٦٥ .

(٩٤) مجلة المجتمع الكويتية : العدد ٨٩١ فى ٥ ربيع الآخر ١٤٠٨هـ / ١٥ نوفمبر ١٩٨٨ .

(٩٥) المسلمون : العدد ٢٠٠ فى ٢٩ ربيع الثانى ١٤٠٨هـ / ٨ ديسمبر ١٩٨٨ م .

(٩٦) اليمامة : العـدد ٩٨٩ فى الأربعاء الأول من جمادى الآخـرة ١٤٠٨هـ ص ٣٤ .

والاهانات المستمرة لأفــراده ، وتدمير منازلهم فــان حدة الانتفاضـــة فى تزايد[٩٧] نتيجة لقوة الاصرار ويقين الايمان لدرجة أن اعترف قادة العدو الصهيونى بعدم قدرتهم على اخماد الانتفاضة[٩٨] .

ونتيجة لذلك حازت الانتفاضـــة عـــلى عطف الرأى العام العالمى وكشفت حقيقة الكيان الصهيونى القائم على الارهاب والجريمة وعـــدم التورع عن قتل الأطفال والنساء مما أبرز القضية الفلسطينية ، وشد انتباه الرأى العام العالمى ، وشكل رعبا وفزعا كبيرين للسلطات الاسرائيليـــة التى تبين لها استحالة اعـــادة الأمـــور فى الأراضى المحتلة الى ما قبـــل الانتفاضة فحتى داخل المؤسســـة الاسرائيلية أحدثت « ثورة الحجارة » هزة عنيفة ، وأربكت خطط المحافظة على الأمر الواقع التى يبدو انها كانت الاستراتيجية الاسرائيلية المفضلة خاصـــة لدى تكتل الليكود الذى يتزعمـــه اسحق شامير . وتبدو قوة الهزة التى أحدثتها ثورة الحجـــارة واضحة داخل الكيان الصهيونى فى الجدل الحاد الذى ثار داخل حكومـــة ائتلاف العمل / الليكود ، وفى المؤسسات الشعبية ، ولولا مسحة التمسك بالوحدة الوطنية التى يحاول الزعماء الاسرائيليون جاهدين الظهور بها أمام العالم لانكشفت خفايا مثيرة ويكفى للتدليل على عنف الهزة التى أصابت المؤسسة الصهيونية الحاكمة مسلسل الاستقالات والطرد والشـــتائم المتبادلة بين مسئولين كبار فى حزب « حيروت » أكبر أحزاب تجمع « الليكود » بل أن « شامير » اليمينى المتطرف وجد نفسه فى عدة مناسبات فى موقف الدفاع عندما بدا وكأنه يلين أمام ضغط الأحداث الجارية ليتحـــدث عن امكانية التفاوض حول الأرض مما جعل بعض غـــلاة اليهود المتطرفين فى حزبـــه يطالبونه بنفى هذه التصريحات .

ونتيجة لانعكاسات الثـــورة الفلسطينية عـــلى تركيبة المؤسســـة الاسرائيلية الحاكمة قدم شامير ما أسماه « مبادرة جديدة » تتضمن منح الفلسطينيين فى الضفة الغربية وقطاع غزة حكما ذاتيا كاملا لتولى ادارة

---

(٩٧) مجلة المجتمع الكويتية : العدد ٨٩١ فى ربيع الآخر ١٤٠٨هـ / ١٥ نوفمبر ١٩٨٨ ص ٣١ — ٣٢ .

(٩٨) الصخرة الكويتية : العدد ٢١٠ فى ٦ سبتمبر ١٩٨٨ .

شئونهم من خلال اجهزة منتخبة على ان تبقى المسائل المتعلقة بالأمن والسياسة الخارجية فى أيدى اسرائيل ، وأن يكون هذا الترتيب لفترة انتقالية مدتها ثلاث سنوات ، تبدأ بعدها مفاوضات لتحديد مستقبل هذه المناطق ، وما اذا كانت سترتبط بالاردن أو باسرائيل(٩٩) .

وعند دراسة مبادرة « شامير » نجدها قريبة الشبه بمفهوم الحكم الذاتى الذى حددته اتفاقيات « كامب — ديفيد » ورفضه الشعب الفلسطينى ، ونتيجة لذلك افتقدت هذه المبادرة منذ الوهلة الأولى أبسط مقومات نجاحها ، خاصة وان المؤتمر الدولى للسلام هو صيغة التفاوض المقبولة لدى الفلسطينيين والعديد من دول العالم .

ومن مصر انطلقت مبادرة اخرى طرحها الرئيس حسنى مبارك فى جولة اوروبية وأمريكية واسعة النطاق بدأت فى « بون » وشملت « باريس » و « واشنطن » و « روما » و « لندن » و « أثينا » .

وتدعو مبادرة مبارك الى تهدئة الوضع الراهن فى الأراضى المحتلة مقابل تعهد اسرائيلى بوقف المستوطنات فى هذه المناطق لمدة ستة أشهر ، ووقف ممارسات القمع والابعاد التى تمارسها اسرائيل والاعداد لمحادثات سلام تجرى تحت مظلة الأمم المتحدة بمشاركة الدول دائمة العضوية فى مجلس الأمن ، وكل اطراف النزاع بما فى ذلك منظمة التحرير الفلسطينية التى يمكن تمثيلها ضمن وفد أردنى فلسطينى مشترك .

وعلى الرغم من أن خطة مبارك حظيت بمباركة رؤساء حكومات دول أوربا الغربية التى زارها الا ان الأمريكيين تحفظوا على العديد من بنودها(١٠٠) .

وعلى كل حال فانه نتيجة للانتفاضة البطولية للشعب الفلسطينى فى الأراضى المحتلة ، وردود الفعل التى اعقبتها اجتمع المجلس الوطنى

---

(٩٩) اليمامة : العدد ٩٩٢ فى الأربعاء ٢٢ جمادى الآخر ١٤٠٨ هـ ص ٣٠ .

(١٠٠) اليمامة : العدد السابق ص ٣٠ .

الفلسطيني فى الجزائر ، ثم أعلن رئيس منظمة التحرير الفلسطينية « ياسر عرفات » فى الخامس عشر من نوفمبر ١٩٨٨ عن وثيقة الاستقلال للدولة الفلسطينية وعاصمتها القدس ، كما أعلن اعتراف منظمة التحرير الفلسطينية بقرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ الذى يعنى الاعتراف ضمنيا باسرائيل .

وترجع أسباب هذا الاعلان الى ما يلى :

١ — حق الشعب الفلسطينى الطبيعى فى أن يكون له أرض ووطن يمارس عليه سيادته واستقلاله .

٢ — ملأ الفراغ السياسى الذى تركه القرار الأردنى بفك علاقته القانونية والادارية بالضفة الغربية حتى يتمكن الشعب الفلسطينى من تأكيد سيادته على أرضه .

٣ — زيادة روح النضال بين أفراد الشعب الفلسطينى داخل الأرض المحتلة ، خاصة وأن الاعلان عن قيام الدولة الفلسطينية جاء نتيجة طبيعة لنضاله المستمر .

٤ — ان منظمة التحرير بقبولها الاعتراف بالقرار ٢٤٢ يعنى أنها قبلت بمبدأ تقسيم فلسطين الى دولتين واحدة يهيودية والأخرى فلسطينية .

وقد حاز قرار اعلان قيام الدولة الفلسطينية على قبول اعضاء المجلس الوطنى الفلسطينى بالاجماع ، وأيده ٩٨٪ من أبناء الشعب الفلسطينى داخل الأرض المحتلة[١٠١] .

وعلى الرغم من ردود الفعل المؤيدة والمعارضة للقرار بين الفلسطينيين انفسهم[١٠٢] فقد اتسمت معظم ردود الفعل العربية بالترحيب الشديد به ،

---

(١٠١) الشرق : العدد ٤٨٠ فى ١٧ من ربيع الثانى ١٤٠٠هـ تحت عنوان « الدولة الفلسطينية بداية للانتصار .. أم للتنازل » ص ١٨ .

(١٠٢) من المعروف ان هذا القرار يناقض المادة ٢١ من الميثاق الوطنى الفلسطينى والتى تقول برفض الثورة الفلسطينية للحلول البديلة عن تحرير فلسطين تحريرا كاملا ، ورفض المشاريع الرامية الى تصفية =

وجاء اعتراف معظم الدول العربية بالدولة الفلسطينية ليعكس وجهات النظر العربية فى السلام ، والتاكيد على حق الشعب الفلسطينى فى تقرير المصير ومساندتهم لهذا الحق ، كما عكس هذا الترحيب موقف العالم العربى من مسألة الحل السلمى المطروحة علـى اسـاس المؤتمر الدولى ، والذى يستند الى قرارى مجلس الأمن رقم ٢٤٢ ، ٣٣٨ كأسـاس لعقد هذا المؤتمـر .

يضاف الى ذلك أن هذا القرار قد واجه العـالم بأسره بخصوصية الموقف الفلسطينى واستعداده للسلام الشامل وعلى اثر ذلك اعترفت أكثر من مئة دولة بالدولة الفلسطينيـة وكان من أولى هـذه الدول العديد من البلدان العربية التى اعترفت بالدولة الفلسطينية المستقلة عقب اعلانها فى الجزائر عام ١٩٨٨ ، وقررت رفع مستوى مكتب منظمة التحرير الفلسطينية الى سـفارة[١٠٣] .

ويوما بعد يوم تتعاظم بسالة الانتفاضة ، ويتزايد القمع الوحشى لها ، ويتعاظم عدد الشهداء الذين يضحون بأنفسهم يوميا . وعلى الرغم من تزايد عدد الاصابات وعدد المعتقلين من أبطال الانتفاضة فان الانتفاضـة مستمرة ، وان أبطالها مصممون على الاستمرار الى أن تحقق أهدافها ، لدرجة أن اصبح أفرادها كل أفراد الشعب الفلسطينى بلا استثناء فالشهداء من مختلف الأعمار ، والسجناء من كل الفئات والجرحى والمصابون من كل عمر وجنس .

وقد دلل على عظمة الانتفاضة ما صرح به الرئيس الفلسطينى يـاسر عرفات بقوله « لقد اثبتت الانتفاضة أن عالمنا اليوم لم يعد يحكم بموازين القوى العسكرية وانما بالتحركات الشعبية التى اصبحت سـمة للمرحلة

=

القضية الفلسطينية أو تدويلها ، ومن هنا فقـد اعتبره بعض الفلسطينين بداية مرحلة من تكتيك التنازلات ، ولكن الأطـراف المؤيدة للبيان تقول أن الاعتراف بالقرار ٢٤٢ جاء مشروطا بحق تقرير المصـير واقامة الدولـة الفلسطينيـة .

لتفاصيل ذلك انظر . الشرق : العدد السابق ص ١٩ .

(١٠٣) الشرق : المقال السابق ص ١٨ .

الحالية ، وانه فى ظل هذا الجو يعيش الشعب الفلسطينى انتفاضته البطلة والتى هى ايضا نتيجة تراكم ثورى طويل من الكفاح ضد المستعمر الصهيونى ومقاومة قوات الاحتلال(١٠٤) اتضح من خلاله ان الفلسطينيين قادرون على قلقلة الأمن الاسرائيلى حتى دون اللجوء الى السلاح .

وخـــلال ذلك ظهـــرت مـــؤشرات ايجابيـــة تؤكـــد أن القضـــية الفلسطينية عادت لتستحوذ على صدر اهتمامات القوى الكبرى . فبدات الولايات المتحدة تجدد مساعيها لعقد الاجتماع الثلاثى فى واشنطن بين مصر واسرائيل والولايات المتحـــدة من اجل الترتيب لعقـــد حـــوار فلسطينى اسرائيل خاصـــة وأن المناخ الدولى يكاد يكون مهيئا بكامله لتحريك عملية السلام فى الشرق الأوسط ، وأن العقبة الوحيدة ما زالت تتمثل فى عزوف كتله « الليكود » الحاكمة فى اسرائيل عن مجاراة تيار السلام ، ورفضها الحوار مع منظمة التحرير الفلسطينية برغم تيار الاعتـــدال الفلسطينى السائد(١٠٥) .

يضاف الى ذلك أن هجرة اليهود السوفيت الجماعية الى اسرائيل آخذت تشكل تهديدا حقيقيا للســـلام فى الشرق الأوسط(١٠٦) . خاصـــة وان هذه الهجرة ستكون مرتكزا لتوسع جديد(١٠٧) .

ومما سبق يتضح ان انتفاضـــة الشعب الفلسطينى ضد الاحتـــلال الصهيونى لبلاده تحولت الى ثورة عارمة اكتملت مقوماتها ضـــد العدو المغتصب لبلادهم مما ادهش العالم ، واوجـــد واقعا جديدا ، ومعطيات جديدة برهنت على استحالة العودة بالأوضـــاع الى ما كانت عليه قبـــل الانتفاضة ، كما اوضحت الوجه البشـــع للكيان الصهيونى ، واهتزاز صورته امام العالم وتعميق الخلافات بين قطاعاته الاجتماعية ، ومؤسساته

---

(١٠٤) الأهرام فى ١٩٩٠/١/١٢ تحت عنوان « حصاد اول قمـــة عربية صحفية » .
(١٠٥) الأهرام فى ١٩٩٠/١/١٢ م .
(١٠٦) الأهرام فى ١٩٩٠/٢/٢٨ م .
(١٠٧) القبس الكويتية فى ١٩٩٠/٤/١٧ م

الاقتصادية والسياسية . كما أصبح واضحا الآن أن الفلسطينيين أصبحوا حقيقة سياسية لا جدال بشأنها ، وأن منظمة التحرير الفلسطينية والشعب الفلسطينى فى هذا الوقت بالذات بأمس الحاجة لدعم اخوانه العرب والمسلمين ليتمكن من الخروج منتصرا فى الجولات القادمة الصعبة والمحفوفة بالمخاطر ، وانه يجب على الاسرائيليين الاعتراف بأن الضمان الأمنى الحقيقى لهم يكمن فى الاقدام على تحقيق السلام مع الشعب الفلسطينى على اساس انهاء الاحتلال للأراضى العربية الفلسطينية ، وعلى أساس الاعتراف بمبدأ الدولتين فى ظل ضمانات دولية ومن خلال مؤتمر دولى تحت رعاية الأمم المتحدة .

ويبدو أن الرياح دائما لا تأتى بما تشتهى السفن ، فقد حولت أزمة الاحتلال العراقى للكويت — فى أغسطس ١٩٩٠ — الأنظار عن القضية الفلسطينية لفترة ، خاصة بعد وقوف رئيس منظمة التحرير الفلسطينية بجانب الموقف العراقى مما أدى الى استياء العديد من الدول العربية والأوربية بالاضافة الى الولايات المتحدة من ذلك الموقف .

وفى اعتقادنا أن المنظمة وقعت فى خطأ كبير بانحيازها للعراق أثناء أزمة الخليج ، وخاصة وان دولة فلسطين التى عانت من تجاهل اسرائيل لقرارات الأمم المتحدة والقانون الدولى لم يكن يجوز لها أن تؤيد الاحتلال العراقى على حساب الشعب الكويتى ، بل كان من مصلحتها الوقوف بجانب الشرعية وتطبيق قرارات الأمم المتحدة لأن ذلك يخدم قضيتها ويدفع المجتمع الدولى الى مساندتها .

وعلى كل حال فبعد أن تحررت الكويت وعادت الشرعية اليها فاننا نأمل الاستمرار فى تطبيق قرارات مجلس الامن الأخرى المتعلقة بمشاكل المنطقة ، ووضع الحلول العادلة للقضية الفلسطينية بشكل جذرى يضمن للشعب الفلسطينى حقوقه المشروعة سواء أكان ذلك عن طريق عقد مؤتمر دولى للسلام أو عن طريق ضغط دولى على اسرائيل لتنفيذ قرارات الأمم المتحدة والشرعية الدولية وعلى الرغم من أن اسرائيل تحاول ابعاد اى عطاء دولى لمباحثات السلام وابعاد شبح القانون الدولى والشرعية الدولية كأسس للحل السلمى للمشكلة — فان ارادة الحق ستنتصر فى النهاية .

الملاحق

وثيقة اعلان استقلال الدولة الفلسطينية :

على أرض الرسالات السماوية الى البشر على أرض فلسطين ولد الشعب العربى الفلسطينى نما وتطور وابدع وجوده الانسانى والوطنى عبر علاقة عضوية لا انفصام فيها ولا انقطاع بين الشعب والأرض والتاريخ بالثبات الملحمى .. فى المكان والزمان صاغ شعب فلسطين هويته الوطنية .. وارتقى بصموده فى الدفاع عنها الى مستوى المعجزة فعلى الرغم مما اثاره سحر هذه الأرض القديمة وموقعها الحيوى على حدود التشابك بين القوىء والحضارات .. من مطامح ومطامع وغزوات كانت تؤدى الى حرمان شعبها من امكانية تحقيق استقلاله السياسى .. الا أن ديمومة التصاق الشعب بالأرض هى التى منحت الأرض هويتها .. ونفخت فى الشعب روح الوطن .

مطعما بسلالات الحضارة وتعدد الثقافات مستلهما نصوص تراثه الروحى والزمنى .. واصل الشعب العربى الفلسطينى عبر التاريخ تطوير ذاته فى التوحد الكلى بين الأرض والانسان وعلى خطى الأنبياء المتواصلة على هذه الأرض المباركة .

ومن جيل الى جيل .. لم يتوقف الشعب العربى الفلسطينى من الدفاع الباسل عن وطنه .. ولقد كانت ثورات شعبنا المتلاحقة تجسيدا بطوليا لارادة الاستقلال الوطنى .. ففى الوقت الذى كان فيه العالم يصوغ نظام قيمه الجديدة كانت موازين القوى المحلية والعالمية تستثنى الفلسطينى من المصير العام فاتضح مرة أخرى ان العدل وحده لا يسير عجلات التاريخ .

المنهل : جمادى الآخر ١٤٠٩هـ / يناير ١٩٨٩ م .

وهكذا انفتح الجرح الفلسطينى الكبير على مفارقة جارحة .. فالشعب الذى حرم من الاستقلال وتعرض وطنه لاحتـلال من نوع جديد ، قـد تعرض لمحاولة تعميم الأكذوبة القائلة ان فلسطين هى ارض بلا شعب وعلى الرغم من هذا التزييف التاريخى مان المجتمع الدولى فى المـادة ٢٢ من ميثاق عصبة الأمم لعام ١٩١٩ . وفى معاهدة لوزان لعام ١٩٢٣ قـد اعترف بأن الشعب العربى الفلسطينى شـأنه شـأن الشعوب العربية الأخرى .. التى انسلخت من الدولة العثمانية هو شعب حر مستقل .

ومع الظلم التاريخى الذى لحق بالشعب العربى الفلسطينى بتشريده وبحرمانه من حق تقرير المصير اثر قرار الجمعية العامة رقم ١٨١ عـام ١٩٤٧م ، الذى قسم فلسطين الى دولتين عربية ويهودية فان هذا القرار ما زال يوفر شروطا للشرعية الدولية تضمن حق الشعب العربى الفلسطينى فى السيادة والاستقلال الوطنى .

ان احتلال القوات الاسرائيلية الأرض الفلسطينية وأجزاء من الأرض العربية .. واقتلاع غالبية الفلسطينيين وتشريدهم من ديارهم .. بقوة الارهاب المنظم واخضاع الباقين منهم للاحتلال والاضطهاد ولعمليات تدمير معالم حياتهم الوطنية ، هو انتهاك صارخ للمبادىء الشرعية .. ولميثاق الأمم المتحدة ولقرارتها التى تعترف بحقوق الشعب الفلسطينى الوطنية بما فيها حقه فى العودة وحقه فى تقرير المصير وحقه فى الاستقلال والسيادة على أرض وطنه .

وفى قلب الوطن وعلى سياجة فى المنافى القريبة والبعيدة لم يفقد الشعب العربى الفلسطينى ايمانه الراسخ بحقه فى العودة .. ولا ايمانه الصلب بحقه فى الاستقلال ولم يتمكن الاحتلال والمجازر والتشريد من طرد الفلسطينى من وعيه وذاته .. لقد واصل نضاله الملحمى .. وتابع بلورة شخصيته الوطنية من خلال التراكم النضالى المتنامى .

وصاغت الارادة الوطنيـة اطارهـا السياسى .. منظمـة التحرير الفلسطينية .. ممثلا شرعيا ووحيدا للشعب الفلسطينى باعتراف المجتمع الدولى .. متمثلا بهيئة الأمم المتحـدة ومؤسسـاتها والمنظمات الاقليمية والدولية الأخـرى .

وعلى قاعدة الايمان بالحقوق الثابتة .. وعلى قاعدة الاجماع القومى العربى .. وعلى قاعدة الشرعية الدوليـة .. قادت منظمـة التحرير الفلسطينية معارك شعبها العظيم .. المنصهر فى وحدته الوطنية المثلى .. وصموده الاسطورى أمام المجازر والحصار فى الوطن وخارج الوطن .. وتجلت ملحمة المقاومة الفلسطينية فى الوعى العربى وفى الوعى العالمى .. بصفتها واحدة من أبرز حركات التحرر الوطنى فى هذا العصر .

ان الانتفاضة الشعبية الكبرى المتصـاعدة فى الأرض المحتلة مـع الصمود الاسطورى فى المخيمات داخل وخارج الوطن .. قد رفعا الاشراك الانسانى بالحقيقة الفلسطينية الى مستوى أعلى من الاستيعاب والنضج .

وأسدلت ستار الختام على مرحلة من التزييف ومن خمول الضمير وحاصرت العقلية الاسرائيلية الرسمية التى ادمنت الاحتكام الى الخرافـة والارهاب فى نفيها الوجود الفلسطينى .

مع الانتفاضة .. وبالتراكم الثورى النضالى لكل مواقع الثورة يبلغ الزمن الفلسطينى احدى لحظات الانعطاف التاريخى الحادة .. وليؤكد الشعب العربى الفلسطينى .. مرة أخرى حقوقه الثابتة وممارستها فوق أرضه الفلسطينية .

واستنادا الى الحق الطبيعى والتاريخى والقانونى للشعب العربى الفلسطينى فى وطنه فلسطين وتضحيات اجياله المتعاقبة دفاعا عن حرية وطنه واستقلاله وانطلاقا من قرارات القمم العربية .. ومن قوة الشرعية الدولية التى تجسدها قرارات الأمم المتحدة منذ عام ١٩٤٧ وممارسة من الشعب الفلسطينى لحقه فى تقرير المصير والاستقلال السياسى والسيادة فوق أرضـه .

فـان المجلس الوطنى يعـلن .. باسم الله وباسم الشعب العربى الفلسطينى قيام دولة فلسطين فوق ارضـنا الفلسطينية .. وعاصمتها القدس الشريف .

ان دولة فلسطين هى للفلسطينيين اينما كانوا .. فيها يطورون

هويتهم الوطنية والثقافية .. ويتمتعون بالمساواة الكاملة فى الحقوق .. وتصان فيها معتقداتهم الدينية والسياسية وكرامتهم الانسانية .. فى ظل نظام ديمقراطى برلمانى يقوم على أساس حرية الراى وحرية تكوين الأحزاب ورعاية الأغلبية حقوق الأقلية واحترام الأقلية قرارات الأغلبية وعلى العدل الاجتماعى والمساواة وعدم التمييز فى الحقوق العامة على أساس العرق أو الدين أو اللون بين المراة والرجل .. فى ظل دستور يؤمن سيادة القانون والقضاء المستقل وعلى أساس الوفاء الكامل لتراث فلسطين الروحى والحضارى والتسامح والتعايش السمح بين الأديان عبر القرون .

ان دولة فلسطين دولة عربية .. هى جزأ لا يتجزأ من الأمة العربية من تراثها .. ومن طموحها الحاضر الى تحقيق أهدافها فى التحرر والتطور والديمقراطية والوحدة وهى اذ تؤكد التزامها بميثاق جامعة الدول العربية .. واصرارها على تعزيز العمل العربى المشترك .. تناشد ابناء أمتها مساعدتها على اكتمال ولادتها العملية بحشد الطاقات وتكثيف الجهود لانهاء الاحتلال الاسرائيلى .

وتعلن دولة فلسطين التزامها بمبادىء الأمم المتحدة وباهدافها وبالاعلان العالمى لحقوق الانسان .. والتزامها كذلك بمبادىء عدم الانحياز وسياسته .

واذ تعلن دولة فلسطين انها دولة محبة للسلام ملتزمة بمبادىء التعايش السلمى .. ستعمل مع جميع الدول والشعوب من اجل تحقيق سلام دائم قائم على العدل واحترام الحقوق .. تتفتح فى ظله طاقات البشر على البناء .. ويجرى فيه التنافس على ابداع الحياة وعدم الخوف من الغد فالغد لا يحمل غير الأمان لمن عدلوا أو ثابوا الى العدل .

وفى سياق نضالها من أجل احلال السلام على أرض المحبة والسلام .. تهيب دولة فلسطين بالأمم المتحدة التى تتحمل مسئولية خاصة تجاه الشعب العربى الفلسطينى ووطنه وتهيب بشعوب العالم ودولة المحبة للسلام والحرية ان تعينها على تحقيق أهدافها .. ووضع حدا لمأساة شعبها بتوفير الأمن له .. وبالعمل على انهاء الاحتلال الاسرائيلى للأراضى الفلسطينية .

كما تعلن .. فى هذا المجال .. انها تؤمن بتسوية المشاكل الدولية والاقليمية بالطرق السلمية وفقا لميثاق الأمم المتحدة وقراراتها ضمن سلامة أراضيها واستقلالها السياسى .. أو سلامة اراضى اى دولة أخرى .. وذلك دون المساس بحقها الطبيعى فى الدفاع عن اراضيها واستقلالها .

وفى هذا اليوم الخالد .. فى الخامس عشر من نوفمبر ١٩٨٨م ونحن نقف على عتبة عهد جديد ننحنى اجلالا وخشوعا أمـــام ارواح شهدائنا وشهداء الأمة العربية الذين اضاءوا بدمائهم الطاهرة شعلة هذا الفجر العتيد واستشهدوا من اجل أن يحيا الوطن ونرفـــع قلوبنا عـــلى أيدينا لنملأها بالنور القادم من وهج الانتفاضة المباركة .. ومن ملحمة الصامدين فى المخيمات وفى الشتات وفى المهاجر ومن حملة لواء الحريـــة .. أطفالنا وشيوخنا وشبابنا .. اسرانا ومعتقلينا وجرحانا المرابطين على التراب المقـــدس وفى كل مخيم وفى كل قريـــة ومدينـــة .. والمرأة الفلسطينيـــة الشجاعة .. حارسة بقاءنا وحياتنا وحارسة نارنا الدائمة ونعاهد أرواح شهدائنا الأبرار .. وجماهير شعبنا العربى الفلسطينى وأمتنا العربيـــة وكل الأحرار والشرفاء على مواصلة النضـــال من اجل جلاء الاحتـــلال وترسيخ السيادة والاستقلال اننا ندعو شعبنا العظيم الى الالتفاف حول علمه الفلسطينى والاعتزاز به والدفاع عنه ليظل أبدا رمزا لحريتنا وكرامتنا فى وطن سيبقى دائما وطننا حرا لشعب من الأحرار .

بسم الله الرحمن الرحيم

« قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشـــاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شىء قدير »

صدق الله العظيم

مصادر ومراجع القضية الفلسطينية

أولا : المصادر والمراجع العربيـــة :

— القــرآن الكريم .

— ابراهيم خليـل أحمد : اسرائيل فتنة الأجيال ، بيروت ١٩٦٠ .

— احسان أبو رحــاب : خطب للدفاع عن فلسطين ، القاهرة ١٩٣٨م .

— أحمد طربين : فلسطين فى خطط الصهيونية والاستعمار — امريكة فى خدمة الدولة اليهودية ، القاهرة ، معهد البحــوث العربيـــة .

— أحمد عبد الغفور عطار : عروبة فلسطين والقدس ، بيروت ، ١٤٠٠هـ .

— أحمد عزت عبد الكريم : دراسات فى تاريخ العــرب ، بيروت ، دار النهضة العربية ١٩٧٠م

— أحمد فراج طايـــع : صفحات مطوية عن فلسطين ، القاهرة ، مطابع الشعب ، د.ت .

— اسماعيل ياغى ومحمود شاكر : تاريخ العالم الاســلامى الحـديث والمعاصر ٨٩٧ — ١٤٠٠هـ . الجزء الأول ، الجناح الآســيوى .

— تيســير النابلسى : الاحتلال الاسرائيلى للأراضى العربيـــة بيروت — منظمة التحرير الفلسطينية ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م .

— جورج خــورى : الوثائق الفلسطينية العربية لعام ١٩٧٠ ، بيروت ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م

— حسن صبرى الخولى : سياسة الاستعمار والصهيونية تجاه فلسطين فى النصف الأول من القرن العشرين ، المجلد الأول القاهرة ، دار المعارف ١٩٧٣م .

— حسين أبو النمل : الكتاب السنوى للقضية الفلسطينية لعام ١٩٧٥م ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ / ١٩٧٨م .

— سالم الكسوانى : المركز القانونى لمدينة القدس ، عمان ، الطبعة الثانية ١٩٧٨م .

— شاكر الدبس : الدول العربية فى منظمة الأمم المتحدة دمشق ١٩٤٨م .

— صالح سرية : تعليم العرب فى اسرائيل ، بيروت ، مركز الأبحاث ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م .

— عادل غنيم : الحركة الوطنية الفلسطينية من ثورة ١٩٣٦ حتى الحرب العالمية الثانية ، مكتبة الخانجى ، ١٩٨٠ .

— عباس العقاد : الصهيونية وقضية فلسطين ، بيروت ، ١٩٦٣م .

— عبد الحميد الثانى : مذكراتى السياسية ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ١٤٠٢ هـ .

— عبد العزيز الشناوى : الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها ، القاهرة ، الأنجلو المصرية ١٩٨٠ .

— عمر رشدى : الصهيونية وربيبتها اسرائيل ، القاهرة ، النهضة المصرية ١٩٦٥م .

— قاسم حسن : العرب والمشكلة اليهودية ، بغداد ، المؤسسة التجارية ١٩٤٦ .

— محمد خليفة التونسى : بروتوكولات حكماء صهيون — ترجمة عباس محمود ، بيروت ، دار الكتاب ١٤٠٤هـ .

— محمد طه بدوى : المجتمع العربى والقضية الفلسطينية .

— محمد عبد الرءوف سليم : تاريخ الحركة الصهيونية ١٨٩٧ — ١٩١٨ ، القسم الثانى ، القاهرة ، معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٧٤ .

— محمود حسن صالح : تصريح بلفور ، بيروت ، دار الفكر العربى د.ت .

— محمود السمره : فلسطين الفكر والكلمة .

— محمود منسى : تصريح بلفور ، القاهرة ، دار الفكر العربى .

— منظمة فتح : بيان سياسى صادر بمناسبة الذكرى الرابعة لانطلاقــة الثورة الفلسطينية ، يناير ١٩٦٩ .

— هربرت فشـــر : تاريخ أوربا فى العصر الحديث — ترجمة أحمد نجيب هاشم ووديع الضبع ، القاهرة ، دار المعارف ، الطبعة الثانيـــة .

— وليد أبى مرشـــد وآخرون : الكتاب السنوى للقضية الفلسطينية لعام ١٩٦٧م .

ثانيا : المصادر والمراجع الأجنبيـــة :

1 — Hansard's Parliamentary Debates official Reports, Fifth Series Vol. X

2 — Stein, Leonard : The Balfour Declaration. London, 1961 .

ثالثا : الدوريــــات :

١ — الأهـــرام : يناير ١٩٩٠م .

٢ — شئون فلسطين : ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م .

٣ — الصخرة الكويتية : سبتمبر ١٩٨٨م .

٤ — فلسطين الثورة : ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .

٥ — المجتمع الكويتية : ربيع الآخر ١٤٠٨هـ / نوفمبر ١٩٨٨م .

٦ — المسلمون : ربيع الآخر ١٤٠٨هـ / ديسمبر ١٩٨٨م .

٧ — المنهـــل : جمادى الآخرة ١٤٠٩هـ / يناير ١٩٨٩ .

٨ — اليقظة العربيـــة : أبريل ١٩٨٥م .

٩ — اليمامـــة : جمادى الآخرة ١٤٠٨هـ .

(٢)

الجذور التاريخية للأزمة اللبنانية

وواقعها المعاصر

اولا : نبذة عن اوضاع ابنان التاريخية منذ العصور القديمة وحتى بداية العصور الحديثة .

لبنان سلسلة من الجبال فى سوريا الوسطى ، واسمه مشتق من كلمة ليبانوس اليونانية القديمة وتعنى الجبل الأبيض لبياض قممــه المغطاة بالثلوج .

ويبلغ طول جبال لبنان ١٦٥ كيلو مترا تقريبـــا ، وعرضها أربعين كيلو مترا فى القسم الشمالى ، ويقل هذا العرض شيئا فشيئا فى الجنوب .

وتاريخ لبنان القديم هو تاريخ الشعب الفينيقى الذى انشــأ مدن صيدا ، وجبيل ، وصور ، وبيروت ، واسس مستعمرات عديدة قويــة اشهرها قرطاجنة ، وكان الفينيقيون يعمــلون فى ركوب البحر كما كانوا بارعين فى التجارة .

وقد خضعت فينيقيا عصورا طويلة لسيادة المصريين والآشــوريين والكلدانيين والفرس ، ولمــا تغلب الاسكندر ذو القرنين عــلى دارا ملك الفرس استولى على صور بعد مقاومة عنيفة ثم خضعت مدن فينيقيا بعد ذلك تارة للسلوقيين وطورا للاجيين وهما سلالتا قائدين من قواد الاسكندر . ثم ضمت تلك المدن الى المملكة الرومــانية ، ولمــا قسمت تلك المملــكة ســنة ٣٩٥ كانت فينيقيا وســوريا من نصيب بيزنطــة التى سـميت القسطنطينية .. ثم فتح العرب بلاد الشام ، واخضعوا سواحل فينيقيا لحكمهم الا أن سكان جبل لبنان اعتصموا فى جبــالهم ، والفوا جماعات مستقلة وظلوا محافظين على استقلالهم الذاتى القديم يحكمهم امراؤهم حسب شرائعهم وعاداتهم وتقاليدهم .

ولما حدثت الحروب الصليبية استولى الصليبيون على انطاكية ثم أسسوا مستعمرات لهم فى مدن السواحل غير انهم لم يتمتعوا بالراحة والأمان ، بل ظلت الحرب سجالا بينهم وبين المسلمين حتى جاء صلاح الدين الأيوبى وسقطت سائر هذه المدن بين يديه ، ولم يبق فى ايدى الصليبيين سوى بعض المواقع الحصينة ، ثم سقطت هذه المواقع بين يدى سلطان مصر الأشرف خليل قلاوون عام ١٢٩١م ، واستمرت الأمور حتى ذلك حتى حدثت معركة مرج دابق الشهيرة بين العثمانيين والماليك واستيلاء الدولة العثمانية على بلاد الشام[1] .

وقد اختلفت حدود لبنان الادارية باختلاف الأزمان فامتد حكم كثير من امرائه ليس فقط على لبنان الحالى بل شمل مدينة طرسوس شمالا ، ومدينتى صفد ونابلس جنوبا .

ثانيا — الجذور التاريخية للأزمة :

الدراسات التاريخية دائما ما تصور لنا حياة الأمم بكافة اشكالها والوانها المضحكة منها والمبكية ، المليئة بالورود أحيانا والكثيرة الأشواك أحيانا أخرى . والقضية اللبنانية التى نعرض لها من النوع الكثير الأشواك والمثير للقلق والمتعدد المتناقضات وحتى نتعرف على ذلك ينبغى أولا ان ننظر الى التركيبة العجيبة التى يتكون منها الشعب اللبنانى حيث تكثر الطوائف الدينية التى طاب لها المقام هناك عبر القرون فهناك الدروز ، والموارنة ، والسنة ، والشيعة ، والروم الأرثوذكس ، والمتأولة ، والأرمن الكاثوليك ، والنصيرية وغيرهم . وفيما يلى نعرض لأهم هذه الطوائف حتى تستطيع التعرف على خلفيات هذه المشكلة .

١ — الدروز :

نشأت العقيدة الدرزية الداعية الى تأليه الحاكم بأمر الله الخليفة الفاطمى (٩٩٦ — ١٠٢١) من دعوة « حمزة بن على الزوزنى » الذى يعد المؤسس الحقيقى لمذهب الدروز ، كما يعد « نشتكين الدرزى » الفارسى

---

(١) أوغست أديب : لبنان بعد الحرب — ترجمه من الفرنسية فريد حبيش — القاهرة — مطبعة المعارف ١٩١٩ ص ٩ — ٤٥ .

الأصل أول من دعا الناس الى الاعتقاد بالوهية الحاكم بأمر الله معبود الدروز ، وعبادته عبادة سرية ، وعلى الرغم من تظاهر الدروز بالاســلام فانهم ينكرون أصوله ، كما ينكرون الأديان السماوية جميعها ولا يعترفون بالأنبياء ولا بالرسل ، ويعتقدون فى تناسخ الأرواح ، ويحرصون أشــد الحرص على كتمان عقائدهم السرية[٢] .

و يسكن الدروز جبل لبنان ، وحــوران ، ووادى التيم ، ومناطق الشوف ، والجرد ، والعرقوب ، وجبل ريحان . وقــد انضمت اليهم قبــائل عربية أو مستعربــة مثــل التنوخيين والمعنيين والارســلانيين والجنبلاطيين .

وقد قام الدروز بدور سياسى بارز فى تاريخ لبنان تميزوا خلالــه بالشجاعة ، والاستبسال فى الحرب[٣] .

وعلى الرغم من أن الدروز ليسوا بمسلمين ولا بنصــارى الا أنهم أحيانا يتقنعون بقناع النصرانية أمام النصارى ، ويدعون الانتماء للمسلمين أهل السنة امام اهل الســنة ، وذلك لكسب ود كل هؤلاء وحسب الظروف ومتطلبات الموقف[٤] .

ومن المعروف أن الدروز يختلفون عن المسلمين فى أنهم لا يسمحون بتعدد الزوجات ، ويقتصرون على زوجة واحــدة ، ويقيمون صلواتهم الجماعية ليلة الجمعة فى ابنيــة فى غاية البســاطة والتقشــف تسمى خلوات[٥] ، ويحترمون امراءهم ومشايخهم ويطيعونهم طاعة عمياء .

---

(٢) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى حـ ٣ ، القاهرة ، النهضة المصرية ١٩٧٣ ، ص ٢٠٥ .

(٣) حيدر الشهابى : لبنان فى عهد الأمراء الشهابيين — تحقيق أسد رستم وفؤاد البستاني — حـ ٣ ، بيروت ، المطبعــة الكاثوليكية ١٩٣٣ ، ص ٥٦٥ — ٦٠٥ .

(٤) رأفت الشيخ : فى تاريخ العرب الحــديث ، القاهرة ، دار الثقافة ص ٥٠ .

(٥) عمر عبد العزيز : تاريخ المشرق العــربى ١٥١٦ — ١٩٢٢ ، بيروت ، دار النهضة العربية ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ص ١٦٣ .

٢ ـ الموارنـــة :

ينسبون الى القديس مارون الذى توفى حوالى ٤١٠م وقد أقــاموا فى جبل لبنان ، ويعدون من اهم طوائف المسيحيين هناك[٦] حيث لعبوا دورا أساسيا رئيسا فى تاريخ لبنان ، وتقرير مصيره فقد حارب الموارنـــة بجانب الصليبيين أثناء غزوهم لبلاد الشام ، وكانوا لهم مرشدين وأدلاء ولمـــا وصل الملك الفرنسى لويس الى فلسطين انضم اليه خمسة وعشرون الف مارونى[٧] ، ومنذ هذه اللحظة نشأت الصداقة بين الموارنة وفرنسا ، ثم توثقت العلاقات بينهما بعد أن تخلى الموارنة عن طقوسهم وشعائرهم الدينية القديمة ، واخـــذوا بالنظم الباباويـــة فى العبادات[٨] ثم احتضن الفرنسيون قضيتهم ، وتعاطفوا معهم وتبنوا مواقفهم ، وجاهر الموارنـــة بالولاء لهم حتى لقبهم الفرنسيون بفرنسى لبنان .

٣ ـ السـنـــة :

عاش المسلمون السنة فى مناطق عديدة من لبنان ، واخذت اعدادهم فى التزايد لتحول بعض النصارى والشيعة الى المذهب السنى فى العصر المملوكى فى أثناء جهاد المماليك ضد الصليبيين فى بلاد الشام حيث اضطر بعضهم الى اعتناق المذهب السنى على سبيل التظاهر باعتناق مذهب الحاكم ، ومع مرور الوقت نسى هؤلاء مذهبهم الأصلى ، واصبحوا من عداد أهل السنة ، كما تزايدت أعداد السنة فى العهد المملوكى بشـــكل ملحوظ بعد أن انضمت اليهم بعض العشائر التركمانية والكردية التى كان المماليك قـــد اتـــوا بهـــا الى الشـــام لتعزيـــز نفـــوذهم هنـــاك ممـــا اكسب الطائفة السنية صـــفة الغلبة لا فى العهد المملوكى فحسب بل وفى معظم العصر العثمانى[٩] .

---

(٦) بدر الدين الخصوصى : القضية اللبنانية فى تاريخها الحديث والمعاصر ١٩٧٨ ، ص ٨ .
(٧) أديب : المرجع السابق ص ٥٧ .
(٨) عمر عبد العزيز : المرجع السابق ص ١٦٣ .
(٩) الخصوصى : المرجع السابق ص ٤ .

٤ — الروم والأرمن :

ينسبون الى الكنيسة الملكانية التى كانت تتبع كنيسة القسطنطينية على اثر الانشقاق الكنسى بين روما والقسطنطينية عام ١٥٠٤م وقد انفصل بعضهم وانضم الى كنيسة روما تحت تأثير الارساليات اليسوعية عام ١٦٨٤م ، فصار يعرف بالروم الكاثوليك فى حين عرف الفريق الأول بالروم الارثوذكس ، وكانت روسيا تحمى الارثوذكس كما كانت فرنســا تحمى الكاثوليك(١٠) .

٥ — المتاولــة :

من غلاة الشيعة « الاثنى عشرية » الذين يقولون بامامة محمد الحسن العسكرى ويعدونه المهدى المنتظر الذى يعتقد انصاره أنه سميلأ الدنيــا عدلا بعد أن ملئت جوراً(١١) وقد سكن هؤلاء فى جنوبى لبنان فيما يعرف بجبل عامل ، وامتدوا الى البقاع وسيطروا على بعلبك ، ووثقوا علاقاتهم الدينية بايران(١٢) ، أما عن عددهم فانه يزيد عن ٢٥ الفا(١٣) .

٦ — العلويون او النصيريــة :

هم طائفة شيعية باطنية يجيزون الزواج من الحرمات مثل الأم ، والأخت ، والابنة ، وقد تسببوا فى ايجاد المتاعب للدولة العثمانية ، وهم من اقدم الطوائف الشيعية فى بلاد الشام(١٤) .

وبعد أن تعرضنا لهذه التركيبة السكانية المعقدة ننتقل الى عرض أمور لبنان السياسية ولنبدأ بالحكم العثمانى .

فعندما استولى السلطان العثمانى سليم الأول على بلاد الشـــام فى عام ٩٢٢هـ / ١٥١٦م وجد اختلافا دينيا شديدا خاصـــة فى منطقـــة لبنان

---

(١٠) اديب باشا : المرجع السابق ص ٦١ .
(11) Hourani, A.H. Syria and Lebanon OxFord 1968 p. 122.
(١٢) عبد العزيز الشناوى : الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها ، القاهرة ، الأنجلو المصرية ١٩٨٠ ص ٧٤٠ .
(١٣) اديب باشا : المرجع السابق ص ٦٤ .
(١٤) الشناوى : المرجع السابق حـ ٢ ص ٧٤٠ .

ففى كسروان وهو الجزء الشمالى من جبل لبنان كان يقطن الموارنة ، وفى المناطق الجنوبية وهى الغرب والشوف كانت الأغلبية من الدروز[١٥] ، وكانت الدولة العثمانية خلال هذه الفترة تهتم بالمحافظة على تطبيق الشريعة الاسلامية ، وعلى المحافظة على التقاليد الاسلامية من ناحية أخرى وكان رعايا الدولة من غير المسلمين يخضعون لنظام الملل[١٦] حيث كان كل مذهب يطلق عليه ملة لذلك فانها لم تكن لتسمح لأحد من النصارى أو غيرهم بانتهاك حرمة شهر رمضان ، فمن يجرؤ على الافطار فى الشوارع فيه يتم تجريسه حيث يحلقون نصف لحية المذنب ، ونصف شاربه ثم يضعونه على ظهر حمار ، ووجهه متجه الى ذيل الحمار ، ويعممون هذا الشخص بمصارين ذبيحة بأمعائها ويضعون على كتفه جلدها ويطوفون به على هذه الصورة المنكرة فى الشوارع والطرقات ويصفعه رجال أشداء بالنعال[١٧] ومن ثم فلا عجب أن نرى لبنان أول قطر عربى يثور ضد الحكم العثمانى .

ونتيجة لعدم قدرة الدولة العثمانية على تملك زمام الأمور فى لبنان عهده بأمره الى الأمير فخر الدين المعنى الدرزى[١٨] فى مقابل أن يعترف هذا الأمير بالسيادة للعثمانيين ، ولكن اشتطاط الدولة العثمانية فى مطالبها ، وارسالها الحملات لابادة الدروز ومن والاهم من أهل لبنان قد دفع هذا الأمير الى اعلان العصيان على الدولة واثارة الطوائف اللبنانية ضدها[١٩]

---

(١٥) عمر عبد العزيز : المرجع السابق ص ١٦٣ .

(١٦) منذ عهد السلطان محمد الفاتح تم تنظيم رعايا الدولة العثمانية من غير المسلمين على أساس الملل ، فملة للأرثوذكس الشرقيين ، وملة للأرمن وملة لليهود ، وكان على رأس كل ملة رجل دين من نفس الملة وكان يعد مسئولا أمام الدولة العثمانية عن اتباع دينه . ولما فتح السلطان سليم الأول بلاد الشام ومصر ١٥١٦ — ١٥١٨ أصبحت البطريركيات الأرثوذكسية فى الشرق تابعة لبطريرك القسطنطينية انظر أرنولد توينبى : تاريخ البشرية حـ ٢ ، ترجمة نقولا زيادة ، بيروت ، الأهلية للنشر ١٩٨٨ ص ١٩٤ — ١٩٥ .

(١٧) الشناوى : المرجع السابق حـ ١ ص ٥٦ — ٥٧ .

(١٨) عن أعمال هذا الأمير انظر : أوغست اديب : المرجع السابق ص ٤٦ .

(١٩) رأفت الشيخ : المرجع السابق ص ٥٠ .

كمـا دفعـه ايضـا بالرغم من انـه درزى الى السـماح للبعثـات التنصيريـة بمزاولـة نشاطها لتحويل المسـلمين الى النصرانيـة ، كمـا تحالف مع أمراء توسكانا فى شبه الجزيرة الايطالية فكان بذلك أول الأمراء اللبنانيين الذين فتحوا بلادهم للتنصير والنفوذ الغربى[٢٠] .

ونتيجة لذلك أرسلت الدولة العثمانية اليه حملة عسكرية اضطرته الى الفرار[٢١] وان كانت قد أغمضت أعينها عن نشاط البعثات التنصيرية ومركزها الذى انشىء فى بيروت عـام ١٨٢٠م ممـا أدى الى تزايد عدد البعثات التنصيرية فى لبنان وبدات البابوية والحكومات الأمريكية والأوربية توثق صلتها بالطوائف غير الاسلامية وتمدهم بالأمـوال والعملاء وانتهى الأمر بأن بسطت بريطانيا حمايتها على الدروز ، وبسطت روسيا حمايتها على الروم الأرثوذكس وادعت أن لها وحدها حق حماية النصارى فى أملاك الدولة العثمانية ، وبسطت فرنسا حمايتها على الموارنة مما أدى الى تعميق الهوة بين الطوائف اللبنانية ، واشاعة الفتن والاضطرابات فى لبنان .

وبعد وصول قوات محمد على الى بلاد الشـام ، وعدم تمكنها من السيطرة على الموقف فى جبل لبنان نتيجة لطبيعة التكوين السكانى فى هذه المنطقة ، فقد رأى ابراهيم باشا أن يقوم ببذر بذور الشقاق بين الدروز والنصارى فى محاولة لضرب بعضهم بعضا فاسـتمال النصارى خاصـة الموارنة وذلك بالغاء التدابير الموجهة ضدهم ، واتخذ بعضهم عمالا وقوادا ، كما سمح للبعثات التنصيرية بالتوافد الى بلادهم[٢٢] مما جعـل الدروز يعدون هذه السياسة انتقاصا لحقوقهم ونتيجة لذلك ناصبوا ابراهيم باشا العداء فى حين سانده الموارنة وعدوه بمثابة القائد المحرر لهم ، ووقفوا بجانبه خلال محاربته للدروز فجند منهم اربعـة آلاف مقاتـل ، وسلمهم

---

(٢٠) الشناوى : المرجع السابق جـ ١ ص ١٠٤ .

(٢١) رأفت الشيخ : المرجع السابق ص ٥٠ .

والجدير بالذكر أن هذا الأمير قتل بعد ذلك على أيدى الأتـراك فى عام ١٦٣٥م .

انظر أوغست أديب : المرجع السابق ص ٤٥ .

(٢٢) عبد المنعم الجميعى : ثورات الدروز والموازنة ضد حكم محمد على فى بلاد الشام ، القاهرة ، مكتبة الخانجى ١٩٨٧ ص ٧ .

الأسلحة والذخيرة[٢٣] لمواجهة الثورة التى أشعلها الدروز فى حوران ووادى التيم بزعامة شبلى العريان فى عام ١٨٣٨[٢٤] .

وقد انتهز الموارنة فرصة مساندة ابراهيم باشا لهم فقام زعيمهم بشير الثانى بتقوية قبضتهم على زمام الأمور فى لبنان كما صادر ممتلكات الدروز ، ووزعها على بعض أفراد أسرته والمقربين اليه من النصارى ، ولم يستمر الوفاق بين الموارنة وابراهيم باشا طويلا حيث انقلبوا عليه ، وعلى الرغم من ذلك فقد ظل العداء مستعرا بين الدروز والموارنة ، كما انه أوجد آثارا من الريبة والشك بين الفريقين ، وشجع على ذلك الدول الأوربية خاصة فرنسا التى عملت على توثيق علاقاتها بالموارنة الكاثوليك[٢٥] فبعد خروج الحكم المصرى من لبنان كان الوفاق القديم بين طائفتى الجبل قد انتهى تماما فخرج الدروز بعد الحكم المصرى منكوبين من وطأة الأمير بشير على حين خرج الموارنة ، وقد اكتسبوا قوة ومنعة ، واستغلت الدول الأوربية عامل الدين والطائفية لملء الفراغ السياسى الذى نجم عن خروج محمد على من الشام ، فتعرضت لبنان لدسائس القوى المتصارعة على النفوذ فيه ففى الوقت الذى كان العثمانيون يعملون لاسترجاع سلطانهم فى هذه البلاد كان كل من الفرنسيين والانجليز يعمل على تقوية نفوذه فى لبنان مستندا فى ذلك الى فريق من السكان يؤازره ، ويمده بالسلاح ويقف الى جانبه فى خلافاته مع جيرانه . كما لعب قناصل الدول الأوربية وممثلوها دورا مهما فى اثارة النعرات الطائفية ، وغرس الاحتاد والفتن ، وكان أبرز هؤلاء الكلونيل الانجليزى « روز » الذى قدم الى بيروت عام ١٨٤٠ ، ونفسه متشبعة بالكراهية لفرنسا .

ومن ناحية أخرى تفتن « بازيلى » قنصل روسيا فى بيروت فى اثارة النعرات المذهبية ، وتوسيع شقة الخلاف بين الأرثوذكس والموارنة . أما « فكبر » قنصل النمسا فى بيروت منذ عام ١٨٤٠م فقد اعلن أن حماية

---

(٢٣) محمد على ضناوى : قراءة اسلامية فى تاريخ لبنان والمنطقة منذ الفتح الاسلامى ونشأة المارونية حتى سنة ١٨٤٠ ، لبنان ، دار الايمان ص ٢٨٤ .

(٢٤) الخصوصى : المرجع السابق ص ١٩١ .

(٢٥) نفسه ص ٦٣ .

الكاثوليك فى الشرق اصبحت الآن من حق النمسا[٢٦] ، ونتيجـة لذلك خشيت فرنسا ان يؤدى النشاط المتزايد للدول الأوربية من اضعاف نفوذها فى لبنان فقررت ارسال بوريه Bourè تنصلا لها فى بيروت ، وكان خبيرا بأمور الشرق والسياسة العثمانية ، كما كانت تربطه بأعيان لبنان والاكليروس المـارونى صداقة قديمة .

وهكذا استمال هؤلاء القناصـل زعماء الطائفـة التى تحتمى بهم بوسائل مادية ومعنوية . ونتيجة لكل هذه الظروف تعكر صفو الأمن فى لبنان ، واشترك النصارى والدروز فى تدبير الدسائس لانتزاع السلطة من يد أمير لوضعها بين ايدى أمير آخر[٢٧] ، واصبح اللبنانيون اشـبه بقبائل متحاسدة لا شىء يجمعها ، وكل شىء يفرق بينهما وتدخل القناصل الأجانب فى كل كبيرة وصغيرة تدعيما لنفوذ بلادهم ، وكان من الطبعى أن يطلق الزعماء اللبنانيون العنان لروح الانتقام بعد كبت عانوا منه تحت حكم الأمير بشير الثانى[٢٨] .

وخلال هذه الفترة حاول بعض السلاطين العثمانيين اظهار أنفسهم بمظهر المتسامحين مع غير المسلمين فقـام السلطان عبد المجيـد الأول باصدار « مرسوم جلخانة » فى عام ١٨٣٩م والذى بمقتضاه ازال الفوارق الدينية والمذهبية بين رعايا الدولة المسلمين وغير المسلمين ، كما منح هذا السلطان أيضا فى عام ١٨٥٦م فرمانا للنصارى أتاح لهم فيه العديد من الامتيازات منها السماح لهم بدخول الجندية[٢٩] . وفى وسط هذا الجو من التسامح استغلت البعثات التنصيرية الفرصـة ، ووصلت الى لبنان تحت غطاء النشاط الثقافى والتعليمى ، وبدأت فى تصعيد العداوة بين أهله ، كما عملت على نشر العقيدة المسيحية بين المسلمين ، واذكاء حدة

---

(٢٦) عمر عبد العزيز : المرجع السابق ص ٣٥٧ .
(٢٧) أوغست أديب : المرجع السابق ص ٤٧ .
(٢٨) عمر عبد العزيز : المرجع السابق ص ٣٥٨ .
والجدير بالذكر أن المعاملة القاسية التى عامل بها الأمير بشير شهاب الثانى للدروز قد أوجدت فى نفوسهم كرها شـديدا للنصـارى ، انظر أديب : المرجع السابق ص ٤٨ .
(٢٩) الشناوى : المرجع السابق حـ ١ ص ٩٦ .

التعصب الدينى بين الطوائف النصرانية ، وفى اثارة روح العداء والكراهية بين البروتستانت والكاثوليك ورجال الدين المسلمين ، وقد ادلت الولايات المتحدة بدلوها فى زيادة عدد المذاهب الدينية وبالتالى فى زيادة التنافس والشقاق بين ابناء لبنان ، وخلال ذلك لم تملك الدولة العثمانية حرية التصرف حيال البعثات التنصيرية[٣٠] .

ونظرا لتفاقم الأمور ، واشتداد الأزمة الطائفية فى لبنان عام ١٨٤١م بين الدروز والموارنة نتيجة لمساندة الأمير بشير الثالث للموارنة ضد الدروز قامت الدولة العثمانية بوضع لبنان تحت سلطتها المباشرة واعلنت انتهاء عهد الامارة . وبينما رحب الدروز بهذا الوضع اذ رفضه النصارى كما رفضته الدول الأوربية ، ونظرا لتفاقم الأمور توصل الباب العالى الى اتفاق مع قناصل الدول الأوربية حول مشروع جديد لحكم لبنان تم بمقتضاه تقسيم جبل لبنان الى قائمقاميتين احداهما مارونية فى الشمال والأخرى درزية فى الجنوب ، ويعين على كل قائمقامية احد ابناء الطائفة على أن تكون الكلمة الأخيرة لوالى صيدا العثمانى[٣١] .

وقد آزرت بريطانيا هذا التقسيم لأنه اعطى لأنصارها الدروز لأول مرة فى حياتهم منذ القرن السابع عشر الميلادى حكما اداريا وسياسيا يكون للانجليز السيطرة عليه ، ويقطع على الفرنسيين طرق زيادة نفوذهم فى لبنان ، كما قبل الفرنسيون هذا الحل لانه أوجد للموارنة امارة خاصة بهم ، وحقق لهم فكرة الوطن القومى المسيحى[٣٢] .

والحقيقة انه بالرغم من أن هذا التقسيم قد قصد به التوفيق فانه بلا شك قد كرس عملية التقسيم الطائفى بين اللبنانيين ، ومزق صفوفهم ، وعزز نفوذ الفرنسيين والانجليز فى بلادهم ، يضاف الى ذلك أن هذا التقسيم قد أوجد أقليات من الجانبين فى منطقة الآخر ، ففى المناطق التى حكمها الموارنة وجدت فيها أقلية دزية ، وفى المناطق التى حكمها الدروز

---

(٣٠) الشناوى : المرجع السابق حـ ١ ص ١٠٥ .

(٣١) الخصوصى : المرجع السابق ص ٣٤ ، واديب : المرجع السابق ص ٤٨ .

(٣٢) عمر عبد العزيز : المرجع السابق ص ٣٦٢ .

وجد فيها موارنة وقد رفض هؤلاء الخضوع لسلطة المكان التابعين لــه ، مما ادى الى اضطهادهم ، وساءت احــوال لبنان واضطربت أمــوره ، وكثرت المظالم فيه ، ولم يمر وقت طويل حتى ظهر فشل التقسيم ، وبدأ الفريقان يستعدان للمواجهة .

وكان النصارى هم البادءون بالقتال هذه المرة حيث زحفوا عــلى القرى الدرزية وهاجموها ، وخلال ذلك وقف العثمانيون بجانب الدروز مما ادى الى رجحان كفتهم[٣٣] وسرعان ما توقف القتال بعد تدخل الدولة العثمانية ، وارسال وزير خارجيتها شكيب افندى الى بيروت فى ١٤ من سبتمبر ١٨٤٥ الذى اصدر أوامره بتجــريد المقاتلين من الســلاح[٣٤] ، واعتقاله لكبار الزعماء اللبنانيين ، واصداره قرارا بتنظيم شئون الادارتين المسيحية والدرزية فى لبنان قضى فيه على الامتيازات الاقطاعية ، ونظرا للخسائر التى لحقت بالموارنة من جراء المعــارك ، فقــد تدخلت الدول الأوربية فى الأمر ، وأجبرت الدولة العثمانية على دفع تعويضات للموارنة وعمل الترتيبات اللازمة لحماية حقوقهم[٣٥] . واستمر لبنان يعيش جوا من الانقسامات الطائفية حتى حدثت فتنة طائفية بين الدروز والموارنــة فى عام ١٨٦٠ عقب شجار بين مواطنين من الطائفتين جرى عــلى أثره تراشق الأسلحة ، وكان من نتيجته مذبحة مروعة لكلا الطرفين سفكت فيها الدماء ونهبت الأرزاق ، وعم الخراب وانتشر البؤس[٣٦] .

ونظرا لتفوق كفة الدروز على الموارنة وقتلهم لأحد عشر الف نسمة منهم ، واستيلائهم على قراهم ومناطقهم اهتاج الراى العام الأوربى ، واحتج القناصــل الأوربيون ، كما تدخــل الامبراطور الفــرنسى نابليون الثالث فى الأمر لايقاف المعارك بحجة أن فرنسا تضع الموارنة فى حمايتها ، ونظرا لاستمرار المواجهات عقدت الدول الأوربيــة مؤتمرا فى باريس فى ١٣ من اغسطس ١٨٦٠م وقررت ارسال قوات أوربية مكونة من اثنى عشر

---

(٣٣) الخصوصى : المرجع السابق ص ٣٩ .
(٣٤) عمر عبد العزيز : المرجع السابق ص ٣٦٧ .
(٣٥) الخصوصى : المرجع السابق ص ٤٣ .
(٣٦) اديب : المرجع السابق ص ٤٨ .

الف جندى[٣٧] نصفهم من الفرنسيين بحجة اعادة النظام الى هذه البلاد ، وقد رابطت هذه القوات فى أنحاء متعددة من لبنان فى أغسطس ١٨٦٠م لايقاف المذابح ، واستمرت هناك ما يزيد عن ستة اشهر ولم تجل الا بعد ضغوط من الدول الأوربية[٣٨] وخلال ذلك عمل الفرنسيون على احتضان قضية الموارنة وتبنوا مواقفهم ، كما عملوا عـلى بث الفرقة بين سـكان الجبل ، ونتيجة لذلك أصبح الموارنة يجاهرون بالولاء لفرنسا ، مما دفـع بالعثمانيين والانجليز الى احتضان الدروز وذلك لاقامة نوع من التوازن فى لبنـان .

ونتيجة لهذه التطورات والتدخلات الأجنبية فى شئون لبنان ارسلت لجنة « أوربية الى بيروت ثم الآستانة فى يونيو ١٨٦١م وانتهى الأمر بوضع نظام جديد لحكم لبنان يهدف الى منع تجديد الاضطرابات وتخفيف المعاناة عن اللبنـانيين ، وقـد تم بمقتضى هـذا النظـام الموافقـة عـلى أن تحكم لبنان حكما ذاتيا تحت رئاسة حاكم مسيحى من غير اللبنانيين تعينـه الدولة العثمانية مباشرة لمدة ثلاث سنوات بعد موافقة الدول الأوربيـة عليه ، على أن يخضـع للباب العالى مبـاشرة ، ويكون مسـئولا لدى الآستانة »[٣٩] . وعرف باسم المتصرف على أن يعاونه مجلس ادارى مكون من اثنى عشر عضوا يمثلون الطوائف الرئيسية ، وقد اختير داود باشا الأرمنى كأول متصرف فى ظل هذا النظام الجديد كما قسمت لبنان الى ست مقاطعات على راس كل منها قائمقام وقد عد هذا النظام بمثابة الدستور الأسـاسى للبنان منذ عام ١٨٦٤م وحتى قيام الحرب العالمية الأولى[٤٠] .

وخلال هذه الفترة التى امتدت اكثر من خمسين عاما عاشت لبنان فترة من الهدوء الحذر ، وجرى فيها التعاون بين النصـارى والدروز فى

---

(٣٧) للتفاصيل انظـر : محمد فؤاد شكرى وآخـران : نصوص ووثائق فى التاريخ الحديث والمعاصر ص ٤١٣ وما بعدها .

(٣٨) الشيخ : المرجع السابق ص ٥٧ .

(٣٩) عمر عبد العزيز : المرجع السابق ٣٧٨ .

(٤٠) رافت الشيخ : المرجع السابق ص ٥٧ ، وأديب المرجع السابق ص ٥٠ .

العديد من الأمور ، وان كان عدم الرضا قد ظل كامنا فى نفوس الموارنـــة حيث اذكت فرنسا فيهم هذا الشعور ، وشجعتهم على تجسيد القوميـــة المسيحية فى لبنان وتحقيق اكبر قدر من الاســـتقلال[٤١] ولقبتهم بفرنسى لبنـــان[٤٢] ونتيجـــة لذلك بـــدأ الموارنـــة يســـعون لاقامـــة لبنـــان المسيحى ، وتنادوا بالفكرة اللبنانية ، وناهضوا فكرة الجامعة الاسلامية .

وخلال ذلك الوقت انضم العرب بجانب بريطانيا ضد الدولة العثمانية فى نظير حصولهم على الاستقلال بعد الحرب ، فى حين وقف نصارى لبنان بجانب فرنسا ، والتمسوا منها المساندة والتأييد ، وقـــد وقفت فرنســـا بجانبهم ، وبعثت بسفنها الحربية لمساندتهم وبدأت فى تنفيذ اتفاقها مـــع الانجليز المعروف باسم اتفاقية سايكس بيكو فى عام ١٩١٦م الذى يخول لها حق الاستيلاء على جميع المناطق السورية غربى حماة وحلب ودمشق باستثناء فلسطين[٤٣] .

ولـــا نجحت قوات الثورة العربية بقيادة فيصـــل بن الحســـين فى دخول دمشق ، وأقامت بها حكومة عربية عسكرية ادعت السيادة باسم الشريف حسين ، أعلن فى نفس اليوم عن اقامة حكومة عربية فى بيروت ، وتقدم القائد العربى شكرى باشا الأيوبى الى بعبدا مقر المتصرفية اللبنانية ، ورفع العلم العربى هناك[٤٤] مما أزعج نصارى لبنان ، واحتج الفرنسيون ، ونزلوا الى بيروت فى السابع من اكتوبر ١٩١٨م ، وامسكوا بمقاليد الأمور هناك ، واستقدموا الزعيم المارونى اميل اده ليعمل مستشارا للمفوض السامى فى لبنان[٤٥] ، وطلبوا من الأيوبى مغادرة المدينة[٤٦] .

ولم تخف فرنسا تحيزها منذ أول وهلة للموارنة ، ولم يخف النصارى تحيزهم الواضح للفرنسيين حيث استقبلوهم بالترحاب والتهليل ، كما انهم طالبوا فى مؤتمر الصلح بباريس بانتداب فرنسا على لبنان ، يضاف الى ذلك

---

(٤١) الخصوصى : المرجع السابق ص ٥٧ .
(٤٢) الشناوى : المرجع السابق حـ ٢ ص ٩٥٣ .
(٤٣) الخصوصى : المرجع السابق ص ٨١ .
(٤٤) عمر عبد العزيز : المرجع السابق ص ٣٨٢ .
(٤٥) الخصوصى : المرجع السابق ص ٨١ .
(٤٦) عمر عبد العزيز : المرجع السابق ص ٣٨٢ .

أن نصارى لبنان رحبوا بقرارات الحلفاء فى سان ريمو فى ٢٨ من ابريل ١٩٢٠ مما سهل مهمة الجنرال غورو الذى كان قد وصل الى بيروت ، وزحف منها بقواته نحو سوريا حيث كانت معركة ميسلون فى ٢٤ من يوليو ١٩٢٠ والتى استبسل فيها الجيش السورى وقتل قائده يوسف العظمة ، وبدأ الحكم الفرنسى فى سوريا[٤٧] .

وقد نظم غورو أمور المناطق المحتلة ، وضم بيروت وصيدا ومرجعيون وطرابلس وحصن الأكراد وراشيا وحاصبيا والبقاع ، وما يتبعها من أراضى المتصرفية اللبنانية فى ٣١ من أغسطس ١٩٢٠ ، حيث جعل من تلك الأجزاء دولة واحدة تحت الانتداب الفرنسى عرفت باسم دولة لبنان الكبير محققا بذلك أمل النصارى ومطالب دعاة الاستقلال اللبنانى ، ورواد الفكرة اللبنانية[٤٨] ، وبذلك انتهى نظام المتصرفية فى جبل لبنان[٤٩] ولكن ذلك الموقف لم يرض أطرافا عديدة من اللبنانيين[٥٠] .

فالسنة فى بيروت والبقاع وطرابلس وصيدا وصور قاوموا فكرة انضمام مناطقهم الى الدولة اللبنانية ، كما أن الدروز احجموا عن فكرة الولاء لدولة يسيطر عليها الموارنة ، أما الشيعة فانهم وجدوا أن من مصلحتهم أن يصبحوا اقلية فى لبنان بدلا من أن يكونوا اقلية صغيرة فى سوريا . وعلى كل حال فقد كان للانتداب الفرنسى على لبنان أثر كبير فى التفرقة بين اللبنانيين ، حيث أظهرت الادارة الفرنسية تحيزا واضحا تجاه النصارى فكانت تأتمن المسيحيين اكثر من المسلمين ، وتفضل المسيحيين على المسلمين فى تبوء المراكز الحكومية العالية ، واخذت تعمل على تعميق النزعة الانفصالية عند الموارنة وبعض الطوائف الأخرى ، وكانت النتيجة أن دخل فى اذهان بعض النصارى أن لبنان بلد مسيحى الطابع ولو كان نصف سكانه غير مسيحيين[٥١] .

---

(٤٧) زاهية قدوره : تاريخ العرب الحديث ، بيروت ، دار النهضة العربية ١٩٨٥ ص ٢٦٠ — ٢٦١ .
(٤٨) الخصوصى : المرجع السابق ص ٨٦ .
(٤٩) عمر عبد العزيز : المرجع السابق ص ٣٨٣ .
(٥٠) أديب باشا : المرجع السابق ص ١١٩ .
(٥١) الخصوصى : المرجع السابق ص ٨٨ .

ونظرا لاحتدام النزاع داخل لبنان بين المسلمين والنصارى خاصة وان معظم زعماء المسلمين طالبوا بالاتحاد مع سوريا ، أو ضم المناطق اللبنانية الاسلامية اليها على حين كان الموارنة لا ينظرون الى ذلك بعين الرضا[٥٢] بل كانوا يفضلون الوضع كما هو عليه ، ونظرا لتفاقم الموقف بين الطرفين اجتمعت كلمة المسيحيين على تأسيس منظمة الكتائب اللبنانية برئاسة « بيير الجميل » للوقوف فى وجه دعاة الوحدة ، كما قام المسلمون بتشكيل فرق النجادة[٥٣] .

وقد انتهزت فرنسا فرصة نزر الحرب العالمية الثانية وعقدت مع لبنان معاهدة ١٩٣٦م ، وعلى الرغم من القيود التى فرضتها هذه المعاهدة على لبنان ، فقد رفض البرلمان الفرنسى التصديق عليها بحجة انها تفقد فرنسا مركزها الاستعمارى فى الشرق واستمرت الأحوال على ذلك حتى قامت الحرب العالمية الثانية فى عام ١٩٣٩م والتى هزمت فرنسا فى بداياتها ، وتولت حكومة فيشى الموالية لألمانيا مقاليد الأمور ، وأرسلت ممثليها الى المستعمرات الفرنسية ومنها لبنان لتولى زمام الأمور هناك[٥٤] ثم التغيرات التى حدثت فى الموقف فجأة والتى أدت الى اسراع القوات الانجليزية ، وقوات فرنسا الحرة بقيادة الجنرال ديجول فى الاستيلاء على سوريا ولبنان والقضاء على تبعية بلاد الشام لحكومة فيشى[٥٥] . وخلال ذلك حدث نزاع بين الانجليز والفرنسيين فى لبنان وضحت خطورته بانقسام الشعب اللبنانى الى قسمين أحدهما يضم المسلمين ويناصر الانجليز ، والآخر يمثل النصارى ويعلن اخلاصه للفرنسيين[٥٦] . ونظرا لتفاقم الوضع فى لبنان ، وخشية عواقب الأحداث ورغبة من الفرنسيين فى مساندة الموارنة وتكريس نفوذهم قبل أن تنتهى الحرب اتفق على وضع نظام لادارة شئون لبنان فقام الفرنسيون بوضع

---

(٥٢) اديب باشا : المرجع السابق ص ١١٠ .
(٥٣) الخصوصى : المرجع السابق ص ٩٢ .
(٥٤) لوكا زهير زوير : ألمانيا الهتلرية والشرق العربى — ترجمة احمد عبد الرحيم مصطفى — القاهرة ، دار المعارف ١٩٧١ ص ٢٣٧ .
(٥٥) وليم لانجر : موسوعة تاريخ العالم — ترجمة عبد المنعم أبو بكر — القاهرة — النهضة المصرية ١٩٧١ ص ٣٤٧٤ .
(٥٦) الخصوصى : المرجع السابق ص ٩٩ .

قاعدة لنسبة الطوائف اللبنانية حيث احتسبت نسبة الموارنة العددية ٢٩٪ من مجمــوع الســكان ونسبة الســنة ٢١٪ والشيعة ٥ر١٨٪ والروم الارثوذكس ٧ر٩٪ وعدوا عملية التعداد مســألة سياسية توزع عــلى أساسها سلطات الدولة فاتفق على أن تصبح رئاســة الجمهورية حكرا على الموارنة ، ورئاسة الوزراء لأهل السنة ورئاسة المجلس النيــابى للشــيعة(٥٧) .

وعلى الرغم من الاعتقاد السائد لدى المسلمين بأنهم يزيدون عددا عن النصارى ويطالبون باجراء احصــاء رسمى للســكان فى لبنان فــان النصارى يرفضون ذلك .

ومع كل ذلك فقد تطلع اللبنانيون بعد استقلال بلادهم فى عام ١٩٤٣ الى عهد جديد ، وتوسموا خيرا فى حكم بشارة الخــورى الذى حظى بتأييد الطوائف اللبنانية عندما انتهج فى سياسته منهجا وسطا ، ولكنهم سرعان ما انقلبوا عليه بسبب تجاهله تعيين الكفاءات ، وتعمده زيادة عدد مؤيديه فى مجلس النواب ونتيجة لذلك استقال ، وخلفه كميل شمعون الذى حاول عزل لبنان عن عروبته ، ووقف حزب الكتائب يؤيده فى ذلك ، كما وقف موقفا فاترا من العدوان الثلاثى على مصر ، وقبل مبدأ ايزنهاور رغم استقالة معظم الوزراء المسلمين من الحكومة(٥٨) .

ثالثا : الواقــع المعاصر للأزمــة :

سارت الأحوال فى لبنان نحو الاستقرار الذى تشوبه بعض التقلبات أحيانا ، ثم انقلبت الأوضاع بعد الهزيمة العربية فى عام ١٩٦٧ وقيــام الفدائيين الفلسطينيين بأعمالهم ضد اسرائيل من الأراضى اللبنانيــة ، وقيام اسرائيل بغاراتها على مطــار بيروت فى ٣١ من ديسمبر ١٩٦٨ ، وبأعمال انتقامية على مناطق الحدود ، مما ادى الى تزايد الانقسام بين اللبنانيين ، واحتكاك الجيش اللبنانى بالفدائيين وعــلى الرغم من أن

---

(٥٧) الخصوصى : المرجع السابق ص ٩٩ ، ١٠٣ .

(٥٨) السياسة الدولية . يناير ١٩٧٦ ، مقال للدكتور عبد العزيز نوار تحت عنوان الحرب الأهلية وأبعادها الطائفية ص ١١ .

التواجد الفلسطينى على أرض لبنان كان طبيعيا وشرعيا خصوصا وان مجلس النواب اللبنانى كان قد وافق عليه بأغلبية ساحقة ، فقد حدثت العديد من الخلافات حول الوضع القانونى للفلسطينيين ، وانتهى الأمر بعقد اتفاق القاهرة بين الحكومة اللبنانية ومنظمة التحرير الفلسطينية فى ابريل من عام ١٩٦٩ والذى تحدد فيه الوضع القانونى للمنظمات الفلسطينية فى لبنان ، وحقوق وواجبات السلطة اللبنانية تجاهها[٥٩] وفيما يلى أهم ما تضمنته تلك الاتفاقية .

١ — تسهيل العمل الفدائى الفلسطينى وتنظيم الدخول والخروج والتجول للفدائيين ، وايجاد انضباط وتنسيق ، وتعاون مشترك بين الثورة الفلسطينية والجيش اللبنانى ، وقيام قيادة الكفاح المسلح بضبط تصرفات أفرادها وعدم تدخلهم فى شئون لبنان ، كما تمارس السلطات اللبنانية مدنية وعسكرية صلاحيتها فى جميع المناطق اللبنانية فى كل الظروف .

٢ — بالنسبة للوجود الفلسطينى : حق العمل والاقامة والتنقل للفلسطينيين فى لبنان ، ووجود نقاط للكفاح الفلسطينى المسلح داخل المخيمات مهمتها تنظيم وجود الأسلحة وتحديدها ، والسماح للفلسطينيين الموجودين فى لبنان بالمشاركة فى الثورة الفلسطينية[٦٠] .

تلك هى اتفاقية القاهرة التى تعتبر نقطة انعطاف هامة فى تاريخ العلاقات اللبنانية الفلسطينية ، ومع ذلك فان الموارنة لم يكن فى تفكيرهم ومخاوفهم واحاديثهم غير الفلسطينيين ووجودهم المسلح فى لبنان ، والخطر اليسارى المنتشر فى القواعد الفلسطينية ، وهم مصممون على عدم السماح للوجود الفلسطينى المسلح فى مناطقهم[٦١] .

---

(٥٩) السياسة الدولية : يناير ١٩٧٦ مقال للدكتور عدنان العمد تحت عنوان : ثلاثة مواقف عربية تجاه الصراع اللبنانى ص ٣٨ .

(٦٠) عادل غنيم : القضية الفلسطينية — دراسات معاصرة لبعض جوانبها ، القاهرة ، دار الكتاب الجامعى ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م ص ١٠٢ — ١٠٣ .

(٦١) الحوادث فى ١٩٨٦/١٠/١٠ تحت عنوان « سوف يبكى العرب لبنان كما بكوا الأندلس » .

واستمرت الأمور فى التفاقم حتى قامت الحرب الاهلية فى لبنان ١٩٧٥ ، وبدأت القوى اليسارية بقيادة كمال جنبلاط فى تركيز مدافعها الثقيلة على القرى المسيحية فى الجبل ، ونتيجة لذلك دخلت القوات السورية الأراضى اللبنانية فى يونيو ١٩٧٦ بحجة أن الاتجاه اليسارى المتطرف سوف يؤدى الى تقسيم لبنان وتوريط المقاومة العسكرية فى المخطط التقسيمى الذى كان اليمينيون المسيحيون هم المتهمون بتنفيذه[٦٢] . ثم ازدادت الأمور استعارا نتيجة لاجتياح اسرائيل للأراضى اللبنانية فى عام ١٩٨٢ تحت شعار السلام للجليل[٦٣] ، واعلانها أن جيش الدفاع الاسرائيلى سيبقى فى لبنان الى أن تنسحب القوات السورية منه ، وتتخذ التدابير التى تضمن الأمن لسكان الجليل والتى تشمل اخراج المقاتلين الفلسطينيين من لبنان[٦٤] .

وخلال ذلك حاولت اسرائيل فرض الأمر الواقع على لبنان وعقد معاهدة سلام معه ، ولكن اغتيال بشير الجميل قد احبط مخططاتها . وفى هذه الأوقات العصيبة لم تتخل الأمة العربية عن لبنان يوما واحدا فقد حاولت كلها مجتمعة أو منفردة أن تسهم فى حل الأزمة وفى هذا الاطار أعلن مجلس التعاون الخليجى أن جهوده منصبة باتجاه هدف أساسى هو انسحاب اسرائيل من لبنان ، كما أعلن الملك فهد بن عبد العزيز أنه لا يجوز ترك الساحة للحل اليهودى ، بل يجب ملأ الفراغ بطرح تصور جديد للحل ينطلق من لبنان الى الموضوع الأشمل[٦٥] .

يضاف الى ذلك طرحت قضية أن لبنان يحتاج قبل كل شىء الى حوار بين اللبنانيين تذوب فيه جبال الجليد العالية ، ويتلاشى فيه هدير المدافع ، وتختفى معه خطوط التماس ، وأنه ينبغى أن يدفع هذا الحوار حول مائدة مفاوضات لا تظللها سوى راية لبنان الموحدة .

---

(٦٢) الحوادث فى ١٩٨٦/١٠/٢٠ ، حديث للرئيس حافظ الأسد مع سليم اللوزى تحت عنوان « فى لبنان مؤامرتان لا مؤامرة واحدة الأولى للتقسيم ، والثانية لتصفية المقاومة » .

(٦٣) هى المنطقة الشمالية العليا من فلسطين المحتلة ، والتى كانت مستهدفة من الفدائيين الفلسطينيين فى الجنوب اللبنانى .

(٦٤) مجلة المجتمع الكويتية العدد ٥٨٢ ص ٣١ — ٣٢ .

(٦٥) المجتمع الكويتية : العدد ٥٨٢ — ص ٣٢ .

وعلى الرغم من اختلاف وجهات نظر الفرقاء حول قضية الرئاسة والمشروعية فان الرغبة لدى كل منهم فى الحل كانت تتجلى من خلال اتفاقهم على اهمية الموقف العربى كسبيل لحل الأزمة اللبنانية ، كما يتفقون على اهمية عقد مؤتمر قمة عربى تطرح فيه القضية اللبنانية .

وقبيل انتهاء ولاية الرئيس امين الجميل فى الثالث والعشرين من سبتمبر ١٩٨٨ أعلن عن تعيين العماد ميشيل عون رئيسا للحكومة العسكرية فى لبنان ، كما لم يتمكن مجلس النواب اللبنانى من الاجتماع لاختيار رئيس جديد للجمهورية يمكنه تحمل المسئولية ، اضافة الى ذلك بدأت تواجه لبنان مشكلة جديدة وهى كون رئاسة مجلس النواب تنتهى فى ١٥ اكتوبر من نفس العام ، وانه فى ظل الانقسام الحالى فى الأوساط النيابية يصعب الاتفاق على اعادة انتخاب الرئيس الحسينى ، أو اكتمال نصاب الجلسة النيابية لانتخاب رئيس جديد للمجلس ، وهذا بدوره ينطوى على أحداث فراغ فى رئاسة البرلمان(٦٦) .

وهكذا فلأول مرة منذ استقلال لبنان فى عام ١٩٤٣م تعيش لبنان بلا رئيس للجمهورية ، وللمرة الأولى يعيش فى ظل حكومتين تتنازعان السلطة والشرعية ، ولأول مرة يجتاح الشلل مجلس النواب فيعجز عن الاجتماع لانتخاب رئيسه .

ونتيجة لذلك تساقطت صمامات الأمان ، وظهرت محاذير الدخول فى مرحلة السقوط ، ولعبة التقسيم خصوصا بعد أن انكسرت الوحدة ، واصبح الجيش اللبنانى يعيش فى ظل قيادتين تتنازعان السلطة والشرعية ، واصبحت الليرة اللبنانية رمزا للانكفاء نحو العوز والفقر بعد أن كانت رمزا للبحبوحة والرخاء(٦٧) كما أصبح لبنان يسير نحو المجهول .

وخلال هذه المأساة الدرامية ابدى الرئيس العراقى صدام حسين عواطفه حيال لبنان واللبنانيين ، وأعلن انه مستعد لتقديم كل عون ومساعدة مطلوبة للبنان ، وترددت الأنباء عن وصول شحنة من الأسلحة

---

(٦٦) المجلة فى ١٩٨٨/١١/٥ .
(٦٧) الشرق الأوسط : العدد ٣٦٤٧ فى ١٩٨٨/١١/٢٢ .

العراقية الى المنطقة الشرقية من بيروت ، والى تعاظم النفوذ العراقى فى لبنان فى مقابل النفوذ السورى هناك ، كما اشارت بعض المصادر نقلا عن أحد المسئولين العراقيين أن صيغة عربية ستحل محل الدور السورى فى لبنان لانهاء أزمتـــه[٦٨] .

وخشية من انفلات الأمر ، وتطور الأمور تجاه تصفية الحسابات بين سورية والعراق فوق الأرض اللبنانية ونتيجة لجهود عربيـــة مشتركة لانقاذ الموقف شكلت اللجنة العربية السـباعية برئاســـة الشيخ صباح الأحمد الصباح يهدف ايجاد حل للأزمة اللبنانية ، والمساهمة فى الوصول الى الاتفاق والوفاق بين اللبنانيين ، والمساعدة فى تذليـــل العقبات التى تعترض ذلك[٦٩] .

وفى ظل دعم عربى ودولى قامت اللجنة ببحث جميع جوانب الأزمة اللبنانية وبشقيها السياسى والطائفى ، ثم تابعت تحركها مع الرؤســاء العماد « ميشيل عون » و « سليم الحص » و « الحســين الحسينى » وقررت توسيع نطاق مشاوراتها مع القيادات الروحية والسياسية اللبنانية للوقوف على آرائها بحثا عن حل للأزمة ولكن جهود هذه اللجنة تعثرت ولم يحالفها النجاح نتيجة لاصرار العماد عون على بحث مسألة انسحاب القوات السورية كشرط مسبق ، وتجنبه الخوض فى قضية الاصلاحات الدستورية[٧٠] ثم قيض الله الطريق نحو الخلاص من خلال مؤتمر القمة العربى الذى انعقد فى الدار البيضاء فى مارس ١٩٨٩م والذى انبثقت عنه « اللجنة العربية العليا » المؤلفة من الملك فهد بن عبد العزيز ، والملك الحسن الثانى ، والرئيس الشاذلى بن جديد فبذلت اللجنة جهودا مضنية على مختلف الأصعدة العربية والاقليمية والدولية ، وطرحت أبعاد القضية فى أفق عربى شامل ساعية وراء جميع القنوات التى لها علاقة بالحرب ، رافضة مبدأ الفشل[٧١] حتى تسنى لها أن تضــع عبر وزراء خارجيتها الثلاثة الأمير سعود الفيصـــل (السعودية) والســيد احمد الغزالى

(٦٨) المجلة : العدد ٤٤٨ فى ١٩٨٨/٩/١٢ .
(٦٩) الأسبوع العربى اللبنانية ، العدد ١٥٣١ فى ١٤٠٩هـ ص ١١ .
(٧٠) الشرق : العدد ٤٩٢ فى ١٩ رجب ١٤٠٩هـ .
(٧١) الرياض : ٢٥ ربيع الأول ١٤١٠هـ — ٢٤ اكتوبر ١٩٨٩م .

(الجزائر) والسيد عبد العزيز الفلالى (المغرب) الذين كرسوا جهودهم للقضية اللبنانية حتى تسنى لهم بالتشاور مع الجهات المعنية وضع وثيقة الوفـــاق الوطنى(٧٢) .

وقد واصل النواب اللبنانيون « الاثنان والستون » اجتماعاتهم فى الطائف فى محاولة للتوفيق بين وجهـــات نظرهم من اجـــل صياغة وثيقة مشتركة حول موضوع الاصلاحات الجديدة(٧٣) وايجـــاد صـــياغة جديدة للنظام السياسى المعمول به فى لبنان منذ عام ١٩٤٣م بهدف اعادة التوازن بين السلطات وتحديد العلاقات المستقبلية بين لبنان وسوريا ، وتنشيط المؤسسات الدستورية اللبنانية من جهة ، ووضع حد لمعاناة طويلة ومريرة ترهق الشعب اللبنانى وتهدد مستقبله(٧٤) .

وانتهى الأمر بتوقيع اتفاق الطائف رسميا فى حفل كبير أقيم بقصر السلام بجدة ، وحضره الملك فهد بن عبد العزيز فى مساء الثلاثاء ٢٥ من ربيع الأول ١٤١٠هـ حيث وافق فيـــه ممثلو المجلس النيابى على وثيقـــة الوفاق بأغلبية ثمانية وخمسين نائبا من أصل اثنين وستين ، وفى هـــذا الاتفاق ما يكفى من الضمانات السعودية والعربية والدولية لتنفيذه .

وقد نص الاتفاق على اصلاحات دستورية ، وسياسية وتنظيميـــة تناولت شئون رئاسة الجمهورية ، وشئون رئاســـة مجـــلس الوزراء ، والمجلس النيابى ، كما تناولت حل جميع الميلشيات وتسليم أسلحتها للدولة بحيث يجرى التصديق دستوريا على هـــذه الوثيقة فى مجلس النـــواب اللبنانى فى مدة اقصاها الثلاثاء ١٩٨٩/١٠/٧ حيث يجرى على اثر ذلك انتخاب رئيس الجمهورية ، ويعقب ذلك العمل على تأليف حكومة واحدة للبنان وهى حكومة الاتحاد الوطنى التى ستعمل على اعادة بناء جميـــع

---

(٧٢) اخبار العالم الاسلامى : العدد ١١٤٤ فى ١٥ ربيـــع الثانى ١٤١٠هـ / ١٣ نوفمبر ١٩٨٩م .

(٧٣) الرياض : ١١ ربيع الأول ١٤١٠هـ / ١٠ اكتوبر ١٩٨٩م .

(٧٤) الرياض : ٢٥ ربيع الأول ١٤١٠هـ / ٢٤ اكتوبر ١٩٨٩م .

المؤسسات الدستورية والحكومية المعطلة منذ اكثر من اربعة عشر شهرا[٧٥] .

وقد رحبت العواصم العربية والعالمية باتفاق الطائف الذى توصل اليه النواب اللبنانيون ، كما اكد السيد « حسين الحسينى » رئيس مجلس النواب اللبنانى أن الشعب مجمع على اعتماد النظام الجمهورى الديمقراطى باعتباره ملائما للتكوين الاجتماعى اللبنانى[٧٦] .

وقد ساد العواصم العربية والعالمية موجة من الارتياح بعد انتخاب « رينيه معوض » رئيسا للجمهورية اللبنانية وبداية عهد جديد للبنان ، وعدت ذلك خطوة ايجابية نحو اعادة بناء لبنان موحدا ، وبداية للطريق الذى سيقود لبنان الى وضعه الطبيعى ليساهم فى ممارسة سيادته على جميع أراضيه بعد أن سئم اللبنانيون انباء العنف والقتال[٧٧] ولم يعترض على ذلك سوى « حكومة العسكريين » برئاسة العماد ميشيل عون التى رفضت اتفاق الطائف كما رفضت اى اتصال مباشر مع الرئيس المنتخب . وعلى الرغم من ذلك فقد بدأ الرئيس معوض اتصالاته لتشكيل حكومة الوفاق معلنا « أن المصالحة تتسع للجميع ولا تستثنى أحدا » ومطالبا « بمواكبة مسيرة الشرعية المصممة على انهاء الدويلات وبسط سيادة القانون » كما كلف الرئيس معوض الدكتور « سليم الحص » بتشكيل الحكومة الجديدة .

وفى يوم الأربعاء الموافق ١٤١٠/٤/٢٤هـ نقلت أجهزة البرق نبأ اغتيال الرئيس رينيه معوض وبعد ثمان وأربعين ساعة من اغتيال الرئيس رينيه معوض انتخب البرلمانيون فى جلسة عاجلة عقدوها فى فندق « شتورا بارك » فى سهل البقاع النائب الياس الهراوى رئيسا للجمهورية بعد أن حصل على سبع واربعين صوتا .

---

(٧٥) أخبار العالم الاسلامى : العدد ١١٤٤ فى ١٥ ربيع الثانى ١٤١٠هـ / ١٣ نوفمبر ١٩٨٩م .

(٧٦) الرياض : ٢٦ ربيع الأول ١٤١٠هـ / ٢٥ اكتوبر ١٩٨٩م .

(٧٧) الشرق الأوسط : العدد ٣٩٩٧ فى ١٩٨٩/١١/٧ تحت عنوان « ارتياح عربى وعالمى لانتخاب معوض رئيسا للبنان » .

وقد دعا الهراوى الى انتهاج سياسة الانفتاح بين لبنان وسورية ونادى بمد يد الصداقة والصدق الى الجميع من أجل التعاون لانقاذ لبنان ، وكلف الدكتور سليم الحص بتشكيل حكومة وحدة وطنية[٧٨] واكد انه لا يسمح بوجود حكومتين فى لبنان ، وطالب العماد عون باخلاء قصر الرئاسة فى بعبدا[٧٩] .

وعلى الرغم من الاجماع العالمى على مساندة الشرعية اللبنانية المتمثلة فى الرئيس المنتخب الياس الهراوى فقد اعترض العماد عون على ذلك الانتخاب ووصفه بأنه باطل[٨٠] ، وقام بتصعيد الموقف فقرر عدم اخلاء قصر بعبدا ، كما قام بتوسيع رقعة القوات الموالية له فى بعض أحياء بيروت الشرقية وذلك بنشر قوات جديدة فى بعض هذه الأحياء ، فى حين هدد الرئيس الهراوى باتخاذ خطوات عسكرية لدخول قصر بعبدا اذا فشلت الجهود السياسية فى اخراج عون سلميا[٨١] .

وقد تعددت الآراء حول مجابهة موقف العماد عون من السلطة الشرعية فمنها من يقول بضرورة اتخاذ خطوات حاسمة ضدها ، خصوصا وأن الحسم سيكون فى مصلحة لبنان ، وحتى لا يكون عون وأتباعه كالسيف المسلط على رقاب رئيس الجمهورية والحكومة وكل الخطوات التى تنتظرها مسيرة الاصلاح .

ومنها من يقول باستخدام أسلوب الحوار والابتعاد عن العنف وايجاد السبيل للتفاوض بين عون والهراوى حتى يمكن الوصول الى مخرج بتمكين الرئيس اللبنانى الياس الهراوى من الاقامة فى قصر بعبدا الرئاسى خصوصا وأن الخيار العسكرى قد يعرض وحدة لبنان ووجوده للخطر ، وأن التدابير والاجراءات التى يمكن اتخاذها على الصعيد السياسى والدبلوماسى والاعلامى لحل المشكلة قد تؤدى الى نتائج مرضية[٨٢] .

---

(٧٨) الشرق الأوسط : العدد ٤٠١٥ فى ٢٧ ربيع الآخر ١٤١٠هـ ٢٥ نوفمبر ١٩٨٩م .
(٧٩) الأهرام : العدد ٣٧٦١١ فى ٢٩ ربيع الثانى ١٤١٠هـ / ٢٨ نوفمبر ١٩٨٩م .
(٨٠) الشرق الأوسط : العدد ٤٠١٥ فى ٢٧ ربيع الآخر ١٤١٠هـ .
(٨١) الأهرام فى ١٩٨٩/١٢/٢١م تحت عنوان « شئون عربية » .
(٨٢) الوطن : العدد ٥٣١٥ فى ٣ ديسمبر ١٩٨٩م .

وهناك آراء تقول بارضاء بعض الأطراف التى يعتمد عليها الجنرال عون حتى ولو كانت عملية الارضاء على حساب ما تقتضيه المرحلة .

والحقيقة أن المشكلة كانت معقدة تمام التعقيد خاصة وأنها من الممكن أن تعود بلبنان الى دوامة الطائفية والميلشيات والدمار والتقسيم الذى لا يهدد مستقبل اللبنانيين فحسب ، بل مستقبل منطقة الشرق الأوسط بأكملها لذا ففى اعتقادنا أن اتفاق الطائف هو الأمل الأخير لانقاذ لبنان .

ولم يقتصر أمر المشكلة اللبنانية على تمرد العماد عون بل كانت هناك حرب تدور رحاها أحيانا فى جنوب لبنان بين ميليشيات الشيعة وهى حركة أمل الموالية لسورية ، وحزب الله الموالى لايران ، وهذه الحرب تعوق أيضا تنفيذ اتفاق الطائف الذى اشتركت فى وضعه والتوصل اليه كافة الأطراف اللبنانية تحت اشراف اللجنة العربية العليا . والمعتقد أن حل هذه المشكلة يكمن فى اخراج ايران من الساحة اللبنانية والتخلص من كل نفوذ لها فيه ، خاصة وأن الاشتبكات المسلحة فى جنوب لبنان تعرقل الجهود الرامية الى انهاء تمرد عون من ناحية ، كما يعطل من ناحية اخرى المساعى المبذولة من أجل تنفيذ اتفاق الطائف[٨٣] .

ولم تقتصر الأمور على ذلك فسرعان ما انفجر الصراع حول الزعامة بين القوى المسيحية فى شرق بيروت بين الوية الجيش اللبنانى الموالية للعماد عون والقوات اللبنانية المسيحية التى يتزعمها الدكتور سمير جعجع ، وتزايد عدد الضحايا بين الطرفين بشكل مثير للقلق مما وضع القوى المسيحية فى المنطقة الشرقية امام خطر كبير ، واثبت عدم قدرة عون فى السيطرة على الموقف . وعلى الرغم من موقف عون وجعجع من اتفاق الطائف ، ومن الشرعية اللبنانية ، ومن التواجد الفلسطينى فى لبنان فقد قامت منظمة التحرير الفلسطينية بالوساطة بين الطرفين على أمل وقف القتال ، والوصول الى اتفاق بين الطرفين ، كما قام البطريرك المارونى نصر الله صفير ومعه السفير البابوى بعملية وساطة لوقف هذا

---

(٨٣) الأهرام فى ١٩٩٠/١/١٢ تحت عنوان « بين تمرد عون وحربه التفساح » .

الانتحار الجماعى وليس سرا أن السلام الحقيقى فى لبنان لا يمكن أن يقوم الا باندراج جميع الأطراف فى مسيرة السلام اللبنانى الشامل ، والمتضمن الانضواء تحت راية الشرعية المعترف بها عربيا ودوليا(٨٤) .

وعلى كل حال فقد نجح اتفاق الطـــائف فى اثبات امكانية نجـــاح الجهد العربى اذا ما توحدت الارادة العربية الصادقة . وقد أكدت وزارة الخارجية اللبنانية ذلك بقولها « ان أمام اللبنانيين فى الوقت الحاضر صيغة وحيدة للحل السياسى والوفاق الوطنى تتمثل فى اتفاق الطائف ... وهو حصيلة حوار شاق ومضن أجراه النواب اللبنانيون فى ظل رعاية حكومة المملكة العربية السعوديـــة(٨٥) .

ومن أجل انهاء تمرد عون ، وافشال خطة ايران وأنصارها فان العالم كله مطالب بالوقوف الى جانب السلطة الشرعية فى لبنان فى سعيها لتنفيذ اتفـــاق الطائف ومشروعات الوفاق ومن أجل ذلك قـــام وزراء خارجيـــة الدول الأعضاء المخولة بحل الأزمة اللبنانية بعقد العديد من اللقاءات مع العديد من المسئولين فى دول العالم من أجل دعم الجهود العربيـــة الرامية لحل الأزمة ، وتوطيد الشرعية اللبنانية ، وبسط سلطة الدولة على كامل الأراضى اللبنانية واقناع جميع اللبنانيين بأهمية الوقوف بجانب الشرعية .

أما عن ما يتردد من أقوال بشأن أن التقسيم قـــد يكون نوعا من الكى الذى هو آخر العـــلاج فاننا نقول أن التقسيم ليس حلا ، بل هو بداية المشاكل ، والتاريخ يذكرنا بأن تقسيم جبل لبنان فى عام ١٨٤٥م كان سبب الفتنة والمذابح التى حدثت فى عام ١٨٦٠م وأن عودة الوحدة بـــين أهالى الجبل هى التى أنقذت لبنان . وأن حـــل القضية يكمن فى انهاء القتال ، وبعد ذلك يمكن دراسة كل المطالب الحقة والمشروعة لجميـــع الأطـــراف .

ومما سبق يتضح أن لبنـــان كان ضحيـــة خطط دوليـــة استغلت

---

(٨٤) الشرق الأوسط : العدد ٤١٠٤ فى الخميس ١٩٩٠/٢/٢٢م .

(٨٥) الأهرام : فى ١٩٩٠/١/١٢ تحت عنوان « بين تمرد عـــون وحرب اقليم التفاح » .

التناقضات والأوضاع التى زاد من حدتها الوجود الفلسطينى المسلح فيه ، كما استغلت غياب استراتيجية واعية وديناميكية للتضامن العربى مما أدى الى اشعال نار الفتنة الطائفية التى طحنت لبنان وجعلت ولاء المواطنين لطوائفهم أكثر من ولائهم لوطنهم .

يضاف الى ذلك أن مخطط اسرائيل لتصفية الفلسطينيين فى لبنان قد أدى الى اثارة الأزمة ، كما أن الشعور القوى بالغبن بين صفوف المسلمين فى لبنان كان له أثره على مسيرة الحياة بين اللبنانيين . ونتيجة لذلك فانه من الأهمية القصوى ضرورة توافر موقف عربى حازم من شأنه ترسيخ الخطوات السياسية والأمنية للحكومة اللبنانية حتى تتمكن السلطة الشرعية من بسط سيادتها على كافة الأراضى اللبنانية .

والجدير بالذكر أن لبنان تمكن من اعادة هيبته والقضاء على تمرد ميشيل عون مغتصب السلطة وبسط سلطة الدولة على كامل الأراضى اللبنانية بعد قيام التحالف الدولى ضد صدام حسين وانضمام سورية الى هذا التحالف .

وفى أعقاب ذلك نجحت القيادة اللبنانية فى توجيه ضربة قاصمة للعماد عون عندما تحركت قواتها المدعومة بوحدات من الجيش السورى تجاه قصر الرئاسة فى بعبدا فى ١٣ من أكتوبر ١٩٩٠ ، وانتهى الأمر بالتجاء عون الى السفارة الفرنسية واستسلام قواته وظهور المحاولات الجادة لازالة آثار الحرب التى امتدت ١٥ عاما من على وجه لبنان وبداية مرحلة جديدة لاعادة السلام ووحدة لبنان وعودة بيروت كعاصمة موحدة للبنان .

وقد كلل هذه المجهودات عقد المعاهدة السورية اللبنانية التى تنص على التنسيق بين سورية ولبنان فى مجال شئون السياسة الخارجية والأمن الداخلى .

ملحق رقم (١)

قرار المفوض السامى الفرنسى تاريخ ٣١ آب ١٩٢٠ ورقم ٣١٨ بفصل لبنان عن سوريا وانشاء دولة « لبنان الكبير » اعتبارا من أول ايلول ١٩٢٠ وهذا نص القرار :

جاءنا من وزارة الداخلية القرارات الآتية من المندوب السامى للجمهورية الفرنسية فى سورية وكيليكية المبلغة من البعثة الفرنسية فى دمشق لرئاسة الوزراء :

١ — تحديد دولة لبنان الكبير

ان الجنرال غورو المندوب السامى للجمهورية الفرنسية فى سوريا وكيليكيا وقائد جيش الشرق العام .

بعد الاطلاع على القرار الرئيسى المؤرخ فى ٨ تشرين أول سنة ١٩١٨ ولما كانت فرنسا بمجيئها الى سوريا ولبنان أن يحققوا أمانيهم المشروعة فى الحرية والحكم الذاتى .

ولما كان يجب لتنفيذ ذلك أن تعاد الى لبنان وظائفه الطبيعية كما وضحها ممثلوه وطالب بها أهلوه وأنه يكون بوسع لبنان الذى انشىء هكذا ضمن حدوده الطبيعية أن يواصل بصفته دولة مستقلة ومساعدة فرنسا الخطة فى وضعها بصورة تضمن مصالحة السياسة والاقتصادية فمن أجل تلك الأسباب : قد قرر :

المادة الأولى : ينشأ تحت اسم لبنان الكبير قطر يحتوى على :

١ — مقاطعة لبنان الادارية الحالية .

٢ — اقضية بعلبك والبقاع وراشيا وحاصبيا كما جاء فى القرار رقم ٢٢٩ تاريخ ٣ آب .

---

(١) الوثائق التاريخية المتعلقة بالقضية السورية ص٢٥١ — ٢٥٢ .

٣ — اقسام ولاية بيروت الموضحة ادناه :

(أ) سنجق صيدا ما عدا الذى منح لفلسطين بموجب الاتفـاقيات الدوليـة .

(ب) سنجق بيروت .

(ت) قسم سنجق طرابلس الذى يشمل قضاء عكار جنوبى النهـر الكبير وقضاء طرابلس — مع مديريتى دنيا ومنيا — وجزء قضـاء حـوش الأكراد الواقع جنوبى تخوم لبنان الكبير الشمالية كما هى موضحة فى المـادة الثانيـة من هذا القرار .

المـادة الثانيـة : عينت حدود لبنان الكبير كما يأتى مع التحفظ بشـأن تعديلات الحدود الجزئية التى تجرى فيما بعد .

شمالا : خط من مصب النهر الكبير يتبع النهر الى ملتقاه بوادى خالد على ارتفاع جسر القمر .

شرقا : خط وادى خالد والأرنط — نهر العاصى — ويمر بقرى مزرعة ارسانه وحابت وعبيج وفيصل على ارتفاع قرى بريغا ومطرية ، ويتبع هذا الخط حد قضاء بعلبك الشمالى متجها من الشمال الغربى الى الجنوب الشرقى ثم حدود اقضية بعلبك وحاصبيا وراشيا الشرقية .

جنوبا : الحدود الفلسطينية كما قرر فى الاتفاقات الدولية .

غربا : البحـر المتوسط .

يوضح هذا القرار موضع العمل اعتبارا من أول أيلول سنة ١٩٢٠ .

على الأمن العام ورئيس التفتيش الادارى أن يقوما كل بما يخصـه بتنفيذ هذا القرار . بيروت فى ٣١ آب سنة ١٩٢٠ .

الامضـاء

غورو

ملحق رقم (٢)

نص وثيقــة الوفاق الوطنى فى لبنان(٨٦) :

تم فى المركز الاعلامى بالطائف توزيع النص المعدل للبندين الثانى والرابع من وثيقة الوفاق الوطني فى لبنان ، المتعلقين بمسألتى « بسط السيادة اللبنانية على التــراب اللبنــانى » و « العلاقات اللبنانية — السوريــة » .

وفيما يلى نص البندين :

* بسط سيادة الدولة اللبنانية على كامل الأراضى اللبنانية :

بما انه تم الاتفاق بين الأطراف اللبنانية على قيام الدولة القويــة القادرة المبنية على اساس الوفاق الوطنى . تقوم حكومة الوفاق الوطنى بوضع خطة أمنية مفصلة مدتها سنة ، هدفها بسط سلطة الدولة اللبنانية تدريجيا على كامل الأراضى اللبنانية بواسطة قواتها الذاتيــة ، وتتسم خطوطها العريضة بالآتى :

١ — الاعلان عن حل جميع الميليشيات اللبنانيــة وغير اللبنانيــة وتسليم اسلحتها الى الدولة اللبنانية خلال ستة اشهر تبدأ بعد التصديق على وثيقة الوفاق الوطني وانتخاب رئيس الجمهورية وتشكيل حكومــة الوفاق الوطنى . واقرار الاصلاحات السياسية بصورة دستورية .

٢ — تعزيز قوى الأمن الداخلى من خلال :

(أ) فتح باب التطوع لجميع اللبنانيين ، دون استثناء والبدء بتدريبهم مركزيا ثم توزيعهم على الوحــدات فى المحافظات مــع اتباعهم لدورات تدريبية دورية ومنظمة .

(ب) تعزيز جهاز الأمن بما يتناسب وضبط عمليات دخول وخــروج الأشخاص من والى خارج الحدود برا وبحرا وجوا .

---

(٨٦) الأخبار فى ١٩٨٩/١٠/٢٣م .

٣ ــ تعزيز القوات المسلحة :

(أ) ان المهمة الأساسية للقوات المسلحة هى الدفاع عن الوطن وعند الضرورة حماية النظام العام عندما يتعدى الخطر قدرة قوى الأمن الداخلى وحدها على معالجته .

(ب) تستخدم القوات المسلحة فى مساندة قوى الأمن الداخلى للمحافظة على الأمن فى الظروف التى يقررها مجلس الوزراء .

(جـ) يجرى توحيد واعداد القوات المسلحة وتدريبها لتكون قادرة على تحمل مسئولياتها الوطنية فى مواجهة العدوان الاسرائيلى .

(د) عندما تصبح قوى الأمن الداخلى جاهزة لتسلم مهامها الأمنية تعود القوات المسلحة الى ثكناتها .

(هـ) يعاد تنظيم مخابرات القوات المسلحة لخدمة الأغراض العسكرية دون سواها .

٤ ــ حل مشكلة المهجرين اللبنانيين جذريا واقرار حق كل مهجر لبنانى منذ العام ١٩٧٥م بالعودة الى المكان الذى هجر منه ووضع التشريعات التى تكفل هذا الحق وتأمين الوسائل الكفيلة باعادة المهجرين .

وحيث أن هدف الدولة اللبنانية هو بسط سلطتها على كامل الأراضى اللبنانية بواسطة قواتها الذاتية المتمثلة بالدرجة الأولى بقوى الأمن الداخلى . ومن واقع العلاقات الأخوية التى تربط سوريا بلبنان ، تقوم القوات السورية مشكورة بمساعدة قوات الشرعية اللبنانية لبسط سلطة الدولة اللبنانية فى فترة زمنية محددة اقصاها سنتان تبدأ بعد التصديق على وثيقة الوفاق الوطنى وانتخاب رئيس الجمهورية وتشكيل حكومة الوفاق الوطنى ، واقرار الاصلاحات السياسية بصورة دستورية ، وفى نهاية هذه الفترة تقرر الحكومتان ، الحكومة السورية وحكومة الوفاق الوطنى اللبنانية اعادة تمركز القوات السورية فى منطقة البقاع ومدخل البقاع الغربى فى ضهر البيدر حتى خط حمانا المديرج عين دارة ، واذا دعت الضرورة فى نقاط اخرى يتم تحديدها بواسطة لجنة عسكرية لبنانية

سورية مشتركة . كما يتم اتفاق بين الحكومتين يجـــرى بموجبه تحديد حجم ومدة تواجد القوات السورية فى المناطق المذكورة اعلاه وتحديد علاقة هذه القوات مع سلطات الدولة اللبنانية فى اماكن تواجدها ، واللجنـــة الثلاثية العربية العليا مستعدة لمساعدة الدولتين فى الوصـــول الى هذا الاتفاق اذ رغبتا فى ذلك .

*** العلاقات اللبنانية السوريـــة :**

ان لبنان ، الذى هو عربى الانتماء والهوية ، تربطه علاقات أخوية صادقة بجميع الدول العربية ، وتقوم بينه وبين سوريا علاقـــات مميزة تستمد قوتها من جذور القربى والتاريخ والمصالح الاخوية المشتركة ، وهو مفهوم يرتكز عليه التنسيق والتعاون بين البلدين وسوف تجسده اتفاقات بينهما ، فى شتى المجالات ، بما يحقق مصلحة البلدين الشقيقين فى اطار سيادة واستقلال كل منهما . استنادا الى ذلك ، ولأن تثبيت قواعد الأمن يوفر المناخ المطلوب لتنمية هذه الروابط المتميزة ، فانه يقتضى عدم جعل لبنان مصدر تهديد لأمن سوريا وسوريا لأمن لبنان فى اى حال من الأحوال وعليه فان لبنان لا يسمح بأن يكون ممرا أو مستقرا لأى قوة أو دولـــة أو تنظيم يستهدف المساس بأمنه أو أمن سوريا . وان سوريا الحريصة على امن لبنان واستقلاله ووحدته ووفاق ابنائه لا تسمح بأى عمل يهدد أمنه واستقلاله وسيادته .

مصادر ومراجع الأزمة اللبنانية

أولا : المراجـــع العربيـــة :

— أرنولد توينبى : تاريخ البشرية حـ ٢ — ترجمه نقولا زيادة — بيروت ، الأهلية للنشر ، ١٩٨٨م .

— أوغست أديب : لبنان بعد الحرب — ترجمه من الفرنســـية — فريد حبيش — القاهرة ، مطبعة المعارف ، ١٩١٩م .

— بدر الدين الخصوصى : القضية اللبنانية فى تاريخها الحديث والمعاصر ١٩٧٨ .

— حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى والثقافى والاجتمـــاعى حـ ٣ ، القاهرة ، النهضة المصرية ، ١٩٧٣ .

— حيدر الشـــهابى : لبنان فى عهد الأمراء الشهابيين — تحقيق أســـد رستم وفؤاد البســـتانى — حـ ٣ ، بـــيروت ، المطبعة الكاثوليكية ١٩٣٣ .

— رأفت الشيخ : فى تاريخ العرب الحديث ، القاهرة ، دار الثقافة .

— زاهية قدورة : تاريخ العرب الحديث ، بيروت ، دار النهضة العربية ١٩٧٥ .

— عـــادل غنيم : القضية الفلسطينية — دراسات معاصرة لبعض جوانبها ، القاهرة دار الكتاب الجامعى ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .

— عبد العزيز الشناوى : الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها ، القاهرة ، الأنجلو المصرية ١٩٨٠ .

— عبد المنعم الجميعى : ثورات الدروز والموارنة ضد حكم محمد عــلى فى بلاد الشام ، القاهرة ، ١٩٨٧ .

— عمر عبد العزيز : تاريخ المشرق العربى ١٥١٦ — ١٩٢٢ ، بيروت دار النهضة العربية ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .

— محمد على ضـــناوى : قراءة اسلامية فى تاريخ لبنان والمنطقـــة منذ الفتح الاسلامى ونشـــأة المـــارونية حتى ســـنة ١٨٤٠ ، لبنان دار الايمان .

— محمد فؤاد شكرى وآخران : نصوص ووثـــائق فى التاريخ الحـــديث والمعاصر ، القاهرة ، الأنجلو المصرية .

— لوكازهير زويـــر : المـــانيا الهتلرية والشرق العـــربى — ترجمـــة أحمد عبد الرحيم مصـــطفى ، القـــاهرة ، دار المعارف ١٩٧١ .

ثانيا : المراجع الأجنبيـــة :

— Hourani, A.H. Syria and Lebanon OxForid 1968 .

ثالثا : الدوريـــات :

— الأخبـــار : ١٩٨٩/١٠/٢٣ .

— أخبار العالم الاســـلامى : ربيع الثانى ١٤١٠ هـ

— الأســـبوع العربى : ١٤٠٩ هـ

— الأهـــرام : نوفمبر ١٩٨٩ ، ويناير ١٩٩٠ م .

— الحوادث اللبنانيـــة : اكتوبر ١٩٨٦ م .

— الريـــاض : ربيع الأول ١٤١٠ هـ .

— الشرق : رجب ١٤٠٩ هـ .

— الشرق الأوسط : نوفمبر ١٩٨٨ ، وفبراير ١٩٩٠ م .

— المجتمع الكويتيـــة : العدد ٥٨٢ .

— المجلة : سبتمبر ونوفمبر ١٩٨٨ .

— الوطن : ديسمبر ١٩٨٩ .

(٣)

سورية في التاريخ الحديث والمعاصر

بعد معركة مرج دابق شمالى حلب فى عام ٩٢٢هـ / ١٥١٦م وهزيمة القوات المملوكية بقيادة السلطان قانصوه الغورى تمكن العثمانيون بقيادة السلطان سليم بن بايزيد من دخول حلب ودمشق وحمـــاة وغـــيرها من المدن السورية[١] ، ومما اعان العثمانيين عـــلى هذا الانتصـــار موقف الخيانة الذى وقفه بعض امراء المماليك من سلطانهم ، وتفوق المدفعيـــة العثمانية ، هذا بالاضافة الى موقف معظم العصبيات السورية التى آثرت فى نهاية المطاف التخلى عن المماليك والانحياز للعثمانيين والترحيب بهم ، وقد قدر السلطان ســـليم هـــذا الموقف الودى من هؤلاء فأقرهم عـــلى اقطاعاتهم وعول على اصطناعهم كادوات للحكم العثمانى[٢] .

وقد اهتم السلطان ســـليم بتنظيم ادارة هـــذه البلاد ، ولمـــا كان الجزء الشمالى من سورية ومركزه حلب يعد مركزا استراتيجيا لحمايـــة الممرات الى الأناضول غربى طرطوس فقد وضعت ولاية حلب تحت سيطرة وال عثمانى . أما الجزء الجنوبى من سورية فلم يكن ذا اهمية استراتيجية بالنسبة للعثمانيين ومن هنا فقد عين السلطان سليم عليه احد المماليك الذين خانوا السلطان الغورى وهو جان بردى الغزالى . ولكن هـــذه الأوضاع لم تستمر طويلا فسرعان ما حدث تقسيم ادارى جديد لسورية ــ خصوصا بعد ثورة جان بردى الغزالى على العثمانيين ، واعلان نفسه سلطانا فى جامع بنى امية ــ فاشتملت ولاية دمشق على عشرة صناجق ،

---

(١) لتفاصيل ذلك انظر : محمد بن احمد بن اياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور حـ ٣ ، القاهرة ، المطبعة الأميريـــة ببـــولاق ، ١٣١٢هـ ص ٢٣٤ ــ ٢٣٥ .

(٢) احمد عزت عبد الكريم : دراسات فى تاريخ العرب الحديث ، بيروت ، دار النهضة العربية ، ١٩٧٠ ص ١٠٩ .

كما اشتملت ولاية حلب على تسعة ، أما اقليم طرابلس فقد اشتمل على خمسة صناجق[٣] .

واستمر الوضع الادارى فى سورية على هذا المنوال ، وليس فيه ما يستوقف النظر سوى انتشار الفتن والحروب ، وسوء الادارة ، وزيادة الفوضى ، كما كان الولاة العثمانيون يتعاقبون على هذا القطر لدرجة انه تعاقب على دمشق فى قرن واحد ، واحد وثمانون واليا ، وعلى حلب تسعة واربعون ، ونتيجة لذلك كان الوالى لا يتمكن من الاصلاح وان أراده . وكان جل همه هو جمع المال بالطرق المشروعة وغير المشروعة ليتخذه سبيلا لارضاء أصحاب النفوذ فى الآستانة ، وكان الولاة يبتاعون الولاية ابتياعا ، والمزايد الأكبر هو الذى ينال مطلبه . وكان خروج الجنود العثمانيين عن حدودهم — فى تلك الفترة — واعتداءاتهم المتكررة على الناس ، وبطشهم بهم دون رادع أو وازع من اكبر العوامل فى تعب الأهالى ومشقاتهم[٤] .

أما عن أوضاع سورية الخارجية فبعد أن منح السلطان العثمانى سليمان القانونى الحكومة الفرنسية ورعاياها امتيازات فى منطقة الشرق العربى التابعة لسلطانه ، انتهزت فرنسا هذه الفرصة لنشر نفوذها فى بلاد الشام ، واخذت تركز على مصالحها الحيوية فى تلك المنطقة حتى أصبح لها رعايا عديدون ، واصبحت لها مصالح واضحة فيها .

وعندما جاءت الحملة الفرنسية على مصر فى عام ١٢١٣هـ / ١٧٩٨م اتجهت أنظار بونابرت الى بلاد الشام ، ولما كان بونابرت حريصا على اقامة علاقات ودية مع الدولة العثمانية فقد حاول استمالة بعض أصحاب النفوذ فى بلاد الشام فكتب الى عبد الله باشا والى دمشق ، وكتب الى أحمد باشا الجزار والى عكا برسائل يؤكد فيها انه لم يكن يوما عدوا

---

(٣) عمر عبد العزيز : تاريخ المشرق العربى ١٥١٦ — ١٩٢٢ ، بيروت ، دار النهضة العربية ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ص ١٥٤ .

(٤) عمر أبو النصر : سورية ولبنان حتى أوائل القرن التاسع عشر بيروت ، ١٩٢٧ ص ٨٦ — ٨٧ .

للمسلمين ونفى الشائعات التى تقول انه يريد هدم الدين المحمدى[٥] .

غير أن كافة هذه المساعى كان نصيبها الفشل وعلى الخصوص بعد هزيمة أسطول بونابرت فى موقعة ابى قير البحرية ، واعلان الدولة العثمانية الجهاد الدينى ضد فرنسا .

ونتيجة لذلك ، وخشية من مهاجمة العثمانيين وحلفائهم للقوات الفرنسية فى مصر ، قرر بونابرت مبادرة اعدائه بالهجوم والزحف على سورية ، فبدأ حملته فى ٦ فبراير ١٧٩٩م وتقدم الى العريش ثم الى غزة والرملة ويافا ، ولكن قواته تكسرت أمام أسوار عكا ، وعاد الى مصر فى ١٥ يونيو ١٧٩٩ بعد أن تكبدت قواته خسائر فادحة .

وبعد خروج الحملة الفرنسية من مصر ، وتولية محمد على زمام أمورها كانت بلاد الشام مطمح أنظار محمد على[٦] منذ حروبه فى الجزيرة العربية وقد طلب من السلطان العثمانى اضافة منصب ايالة الشام الى منصب والى مصر مبررا ذلك بامكانية جمع الجنود من هناك ، وتكوين الجيوش لمحاربة اتباع دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ولكن طلبه كان مصيره الاهمال .

ولما قامت حرب المورة كرر محمد على طلبه الى السلطان بأن يضاف اليه حكم سورية بجانب حكمه لمصر ، تعويضا عما تكبده الجيش المصرى من خسائر فى هذه الحرب ، ونظرا لرفض السلطان لهذا الطلب للمرة الثانية حاول محمد على ضم هذه البلاد بالقوة لاستغلال مواردها من الفحم والخشب والنحاس التى تفتقر اليها مصر ، وحتى تكون حاجزا

---

(٥) محمد فؤاد شكرى : الحملة الفرنسية وظهور محمد على ، القاهرة ، مطبعة المعارف ، ١٩٤٢م ص ١٩٢ .

(٦) أسد رستم : المحفوظات الملكية المصرية — بيان بوثائق الشام — المجلد الأول ١٢١٥ — ١٢٤٧هـ / ١٨١٠ — ١٨٣٢م ، بيروت ١٩٤٠، ص ١٢٣ .

حصينا بين مصر ، والدولة العثمانية اذا ما فكرت الأخيرة فى محاربة محمد على[٧] .

وعن التوقيت الذى اختاره محمد على لمحاربة السلطان ، ومحاولته اقتناص بلاد الشام منه فيمكن القول انه اختار الوقت المناسب لذلك . ففى الوقت الذى كانت فيه الدول الأوربية منهمكة فى مسائلها الداخلية ، وتتنازع كل منها السيادة على أوربا بعد تصفية الامبراطورية النابليونية .

وفى الوقت الذى أصبحت فيه الدولة العثمانية تمثل رجل أوربا المريض المنهوك القوى نتيجة للثورات الداخلية التى لاحقتها فى كل جانب ولحروبها المتعددة التى خرجت منها منهوكة القوى .

وفى الوقت الذى قامت فيه الدولة العثمانية بتصفية الانكشارية الذين كانوا بمثابة العمود الفقرى للجيش العثمانى انتهز محمد على حاكم مصر كل هذه الفرص لاظهار قوته أمام السلطان العثمانى محمود الثانى وبخاصة ان جيشه كان فى حالة طيبة ، ولأنه كان قد اجتذب اليه الأمير بشير الشهابى كبير أمراء لبنان فى ذلك الوقت[٨] .

ونتيجة لذلك استطاع ابراهيم باشا فتح بلاد الشام بسهولة على أثر استسلام حامية عكا فى مارس ١٨٣٢ فتقدم بعدها فى مراحل سريعة فاحتل دمشق ، وأنزل فى الجيش التركى هزيمة كبرى بالقرب من حمص ثم أعقبها بهزيمة ثانية فى جوار حلب . وفى نهاية شهر يوليو من العام نفسه تم له الاستيلاء على بلاد الشام بأسرها . وقد ذعر السلطان من هذه التطورات وأرسل الرسل الى محمد على لفتح باب المفاوضات معه ، وتوقف ابراهيم عن التقدم بأمر ابيه انتظارا لنتيجة المفاوضات ثم انقطعت المفاوضات بعد خمسة اشهر ، ووجد ابراهيم نفسه وجها لوجه أمام القوات التركية فنازلها فى معركة حاسمة وتمكن من الحاق الهزيمة بها ، وفتحت أمامه أبواب الآستانة الا انه اضطر الى الوقوف مرة ثانية بناء

---

(٧) عبد الرحمن الرافعى : عصر محمد على ، القاهرة ، النهضة المصرية ، الطبعة الثالثة ١٩٥١ ص ٢٢٤ .

(٨) نفسه ص ٢٤٨ .

على أوامر من أبيه فقد تدخلت الدول الكبرى ، وراحت تضغط على محمد على حتى عقد اتفاق فى ربيع عام ١٨٣٣م اعترف فيه السلطان بمحمد على حاكما على بلاد الشام اعترافا رسميا ، وخلال ذلك برزت فكرة اقامة امبراطورية عربية تضم جميع البلاد التى تتحدث بالعربية .

وخلال السنوات السبع التى اعقبت ذلك حكم ابراهيم باشا هذه المنطقة باسم أبيه الى أن أرغم تحت ضغط الدول الأوربية من جهة وتذمر الأهالى من جهة ثانية على اخلائها ، وكان ذلك فى عام ١٨٤٠[٩] وفيما يلى نعرض لأسباب تذمر أهالى الشام من حكم محمد على ، وضغوط الدول الأوربية لاخراجه من بلاد الشام .

١ — نزع سلاح الأهالى :

كانت أوامر محمد على بتجريد أهالى الشام من أسلحتهم بمثابة صفعة قوية لهم نظرا لتأصل غريزة جمع السلاح فى نفوسهم ، وللظروف الطبيعية التى يعيشونها والتى تحتم عليهم حملهم للسلاح ومن هنا وجد هذا الأمر معارضة شديدة وصلت الى حد الاصطدام .

٢ — تطبيق نظام التجنيد الاجبارى :

كانت محاولات تطبيق نظام التجنيد الاجبارى على اهالى الشام على الرغم من نفورهم منه أكبر الأثر فى تذمرهم من الحكم المصرى لبلادهم ، والقيام بالثورات ضده والتقليل من أنصار محمد على فى بلاد الشام[١٠] .

٣ — الضرائب والاحتكار والسخرة :

على الرغم من اعلان ابراهيم باشا عن عزمه على رفع المعاناة عن الأهالى ، ووضعه لنظام جديد للضرائب خفف فيه عن كواهل الناس الكثير منها مما جعلهم يرتاحون لحكمه فى أول الأمر فان حاجة والده الى الأموال لمواصلة الحرب ضد الدولة العثمانية جعلته يبحث عن منابع اخرى

---

(٩) جورج أنطونيوس : يقظة العرب — ترجمة على حيدر الركابى دمشق ، مطبعة الترقى ، ١٣٦٥هـ / ١٩٤٦م ص ١٣ — ١٤ .

(١٠) محمد كرد على : خطط الشام ج ٣ ، بيروت ، دار العلم للملايين ١٣٩٠هـ / ١٩٧٩م ص ٦٠ .

لسد متطلباته ومن هنا فرض ضرائب جديدة على الأهالى زيادة عـــلى ما اعتادوا دفعه ، ومن ذلك انه أمر بفرض ضرائب عـــلى كل فدان من الأرض دون النظر الى ما تستخرجه هذه الأرض من انتاج ، مما جعـــل بعض أصحاب الأراضى يضطرون الى تركها والرحيل عنها ، ويضـــاف الى ذلك أنه فرض ضريبة سنوية عـــلى الأشجار ، كما فرض ضريبـــة (الفردة)[١١] التى لم تكن معروفة لدى أهالى الشـــام فى ذلك الوقت فدفعها الذكور من السكان عن كل فرد من سن الرابعة عشرة وحتى سن الستين وقام بتحصيل الجزية عن جميع الأفراد دون تمييز بين الجنســـية أو الديانة[١٢] مما جعل المسلمين ينفرون من هذه الطريقة .

يضاف الى ذلك قيامه باحتكار أصناف الحرير للحكومـــة مما ألحق الضرر بمنتجيه ، ومنع التنافس بين التجار على شرائه ، وحرم المنتجين مكاسبهم منه[١٣] هذا الى جـــانب استخدامـــه للشـــوام فى التنقيب عن المعادن[١٤] وتسخيرهم فى القيام على خدمة مشاريع الحكومة .

٤ — انشـــاء المحجر الصحى :

نظرا لتفشى مرض الطاعون فى بلاد الشام خلال فترة تواجد ابراهيم باشا رأى محمد على ضرورة انشاء محجر صحى حول المنازل التى ظهر فيها هذا المرض ، ونظرا لمـــا اشيع أن الذين يتوفون بهذا المرض يدفنون دون غسل ودون أن يصلى عليهم بل يتم احراقهم بالجير منعا لانتشار المرض والحد من مفعوله[١٥] فقد استاء الأهالى من ذلك ، وطالبوا بالغاء هذا

---

(١١) أطلق عليها أحيانا ضريبة الراس .

(١٢) حنا أبى راشد : جبل الدروز ، القاهرة ، مكتبة زيـــدان الطبعة الأولى ١٩٢٥م ص ٤٧ .

(١٣) محمد كرد على : المرجع السابق جـ ٣ ص ٦٣ ، والرافعى : المرجع السابق ص ٣٠١ .

(١٤) محافظ عابدين : محفظة رقم ٢٥٩ ، ترجمة الكتاب العـــربى الوارد ضمن تقرير بحريرا رقم ١٥٤ — ٣ .

(١٥) محافظ عابدين : محفظة رقم ٢٥٩ وثيقـــة رقم ١٨ — ٣ فى ٧ محرم ١٢٥٦هـ .

المحجر ، وشجعهم على ذلك علماء الشام الذين عدوا اقامة مثل هذا المحجر لا يتفق مع تعاليم الشرع الشريف[١٦] .

وعلى الرغم من استياء الأهالى من هذا المحجر ، وبالرغم من أنه لم يأت بالفائدة المرجوة منه[١٧] فقد اصر محمد على على بقائه ، واستمر العمل فيه حتى هاجمه الثوار ، واضطرت الحكومة الى ايقاف تشغيله[١٨] .

كل هذه الأمور زادت من الاستياء العام لدى الشوام وجعلتهم يعملون على التخلص من حكم محمد على فى بلادهم ، ويتمنون عودة الحكم العثمانى[١٩] .

والى جانب هذه العوامل التى كانت من الأسباب الرئيسية فى فشل حكم محمد على فى بلاد الشام هناك عاملان رئيسيان آخران هما :

١ — معارضة بريطانيا التى خشيت من نفوذ محمد على فى الجزيرة العربية والبحر الأحمر وبلاد الشام والذى سيكسبه سيطرة قوية فى تلك المناطق الواقعة على اهم الطرق التجارية فى العالم ، مما يجعل الحصول على الاذن اللازم لمرور التجارة الأوربية منوطا بارادته بعد أن كان الحصول عليه من دولة ضعيفة كالدولة العثمانية أمرا سهلا .

٢ — غياب الوعى القومى العربى ، خاصة وأن الفكرة الوطنية كانت شبه منعدمة فى ذلك الحين[٢٠] .

وعلى كل حال فانه فى أعقاب الحكم المصرى لسورية ، وعودة الحكم التركى اليها تعرضت بلاد الشام لدسائس القوى المتصارعة وانتشرت

---

(١٦) محافظ عابدين : محفظة رقم ٢٥٩ ، صورة الوثيقة العربية رقم ١٠٠ — ٣ بتاريخ ١٤ من ربيع الأول ١٢٥٦هـ .
(١٧) محافظ عابدين : محفظة رقم ٢٥٩ ، ترجمة الوثيقة رقم ١٤٣ — ٣ فى ٣ ربيع الآخر ١٢٥٦هـ .
(١٨) محافظ عابدين : محفظة رقم ٢٥٩ ترجمة الوثيقة ١٤٣ — ٦ .
(١٩) محمد كرد على : المرجع السابق جـ ٣ ص ٥٨ .
(٢٠) انطونيوس : المرجع السابق ص ٢١ — ٢٤ .

الفوضى ، ووقعت الاضطرابات بين المسلمين والنصارى والدروز مما اضطر الدولة العثمانية الى اصدار المراسيم التى تقضى باصلاح نظام الادارة فى بلاد الشام ، كما ادى الى تنافس كل من انجلترا وفرنسا على التدخل فى شئون هذه البلاد وتقوية نفوذهما فيها . وخلال ذلك بدات حركات التحرير القومى فى الظهور ، وبدأت الحركات الفكرية فى التطور حتى أينعت فى النهاية بعد خلع السلطان عبد الحميد ، واعلان دستور ١٩٠٨ ، وسرعان ما شعر العرب بنوايا الاتحاديين تجاههم فبداوا فى تنظيم الجمعيات لاثبات حقوقهم والمحافظة على لغتهم وقوميتهم[٢١] وهذه الجمعيات :

١ — رابطة الوطن العربى التى انشئت فى باريس فى عام ١٩٠٤ بهدف حث العرب القاطنين فى تركيا على الاستقلال .

٢ — المنتدى العربى الذى تألف من مجموعة من الموظفين والطلاب فى عام ١٩٠٩ وكان ملتقى الوافدين من العرب الى القسطنطينية ، وقد سكت الاتحاديون عن وجوده لأن أهدافه المعروفة لم تكن سياسية ولكنه فى الواقع كان يتمتع بنفوذ سياسى كبير حتى اعترف فى وقت من الأوقات بلجنته الادارية كوسيط بين العرب والاتحاديين فى المفاوضات التى جرت لتسوية الخلافات بين الطرفين[٢٢] .

٣ — الجمعية القحطانية وهى جمعية سرية تأسست فى الآستانة فى عام ١٩٠٩م ، وكانت تهدف الى تكوين مملكة عربية من جميع المقاطعات العربية ، وقد بذل أعضاؤها الجهود لاستمالة العرب فى الجيش التركى اليهم ، ولما انكشف أمرهم انفك شمل الجمعية .

٤ — جمعية العربية الفتاة وقد تأسست فى باريس عام ١٩١١ وكان مؤسسوها سبعة من العرب ، وكلهم مسلمون ، وهدفها تخليص العرب من الحكم التركى واستقلال البلاد العربية .

(٢١) المقتطف : المجلد الثالث والتسعون ، يونيو / ديسمبر ١٩٣٨ ص ٤٢١ — ٤٢٢ .

(٢٢) انطونيوس : المرجع السابق ص ١١٦ — ١١٧ .

٥ ــ جمعية العهد وقد أسسها عزيز المصرى فى عام ١٩١٣ واقتصرت عضويتها على الطلاب العرب ، وكانت ترمى الى الاستقلال الداخلى للبلاد العربية[٢٣] .

وخلال هذه الفترة دخلت الدولة العثمانية غمار الحرب العالمية الأولى الى جانب دول الوسط المكونة من المانيا والنمسا والمجر ضد معسكر دول الحلفاء المكون من بريطانيا وفرنسا والروسيا وايطاليا[٢٤] وبدات بريطانيا فى سعيها لجذب العرب الى صفها حيث أصبح موقفهم أمرا بالغ الأهمية بالنسبة لها خصوصا وان خطر الدعوة الى الجهاد كان من أشد الأخطار التى تخشاها بريطانيا . ومن هنا حاول الانجليز تبديد مخاوف المسلمين عن طريق ضم العرب بجانبهم ضد العثمانيين فى مقابل الاعتراف بالأمانى السياسية لهم ، والترحيب باقامة خلافة عربية[٢٥] .

هذا وفى الوقت الذى كان فيه الحسين بن على شريف مكة لا يزال يفاوض السياسى الانجليزى مكماهون ويستعد لاعلان تحالفه مع بريطانيا والقيام بثورته ضد الترك كانت بريطانيا تعقد صفقة جديدة مع فرنسا لتحديد مناطق النفوذ بينهما فى البلاد العربية ، فعينت الحكومة البريطانية السير مارك سايكس Sykes كما عينت الحكومة الفرنسية جورج بيكو Picot قنصل فرنسا فى بيروت مندوبين عنهما كى يقوما بمباحثات غايتها الاتفاق على اقتسام البلدان العربية فيما بينهما ، وقد توصل المندوبان الى الاتفاق المعروف باسم أتفاقية سايكس بيكو وصادقت عليه حكومتاهما فى مايو ١٩١٦ ، وقد احتفظت فيه فرنسا لنفسها بالجزء الشمالى من سورية ، وبانشاء حكم مباشر لها فى الساحل

---

(٢٣) لتفاصيل ذلك انظر : أمين سعيد : الثورة العربية الكبرى ج ١ ، القاهرة دار احياء الكتب العربية ١٩٣٥م ص ٩ .

(٢٤) عن أسباب ذلك انظر : عمر الديراوى : الحرب العالمية الأولى ، بيروت ، دار العلم للملايين ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٢ ص ٢٨ .

(٢٥) انطونيوس : المرجع السابق ص ١٨١ .

السورى[٢٦] هذا فى الوقت الذى كان فيه المجندون العــرب فى الجيش العثمانى يلتحقون بقوات الثورة ، ويلجأون الى الخطوط البريطانية[٢٧] .

وبعد أن وضعت الحكومة البريطانيــة خطة الهجوم النهــائى لطرد العثمــانيين من سوريـــة رشـــح اللنبى Allenby لقيــادة هــذه القوات[٢٨] كما عهد الى القوات العربية بمهمة قطع طرق المواصلات بين دمشق وجنوب سورية لحماية جناح القــوات البريطانيـــة الأيمن ومنع القوات التركية من الحصول على الامدادات .

وفى مساء ٣٠ سبتمبر ١٩١٨ كانت القوات العربية قد احاطت بدمشق ، وأقيمت حكومة عربية هناك برئاسة رضا باشا الركابى كأول تحقيق عملى لليقظة العربية الحديثة[٢٩] ، ورفرف العلم العربى عــلى قاعدة بلديــة دمشق ، واستمرت القوات العربية فى زحفها حتى دخلت حمص وحمــاه وحلب ، ووصلت الى المناطق الساحلية فى صـــيدا وبيروت وطرابلس ، وبذلك انتهى الحكم التركى فى سورية ، وعم الفرح دمشق ، وخرج أهلها للترحيب بالقوات العربية والبريطانية ، واظهروا لها حماسا عظيما ، ولكن شبح اتفاقية سايكس بيكو عام ١٩١٦م كان يخيم على هذه الآمال وخاصة بعد أن أذاعت الحكومة الروسية نصوص الاتفاقية .

وبعد أن دخل فيصل دمشق صدم صدمة قوية عندما سمع الجنرال اللنبى يصارحه بتعهدات بلاده لفرنسا والاعتراف بالحماية الفرنسية على الساحل السورى ولبنان ، وأنه يجب عليه قبول هذا الوضع لحين عقد الصلح[٣٠] وعندما احتج فيصل على هذه الاجراءات أمر اللنبى عــلى

---

(٢٦) خيرية قاسمية : الحكومة العربية فى دمشق ١٩١٨ — ١٩٢٠ ، بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٢ ص ٣٧ .

(27) Antoius, G. The Arab Awakening 1938, p. 229 - 230 .

(28) Wavell : Allenby, a Study in Greatness 1940, pp. 184 - 187 .

(٢٩) قاسمية : المرجع السابق ص ٣٣ .

(٣٠) محمود صالح منسى : حركة اليقظة العربية فى الشرق الآسيوى ، القاهرة ، دار الفكر العربى ، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م ص ٣٧٩ — ٣٨٤ .

قبولها حتى تتم التسوية النهائية بين الدول[٣١] . كما ذهب الحلفاء الى ما هو ابعد من ذلك اذ قرروا تقسيم سورية الى ثلاث مناطق مختلفة وهى المنطقة الأولى وتشمل سورية الداخلية وشرق الأردن برئاسة الأمير فيصل والثانية وتشمل الساحل السورى المتمثل فى صيدا ، وبيروت ، وطرابلس ، واللاذقية ، وقضائى انطاكية واسكندرونة وتكون تحت الحكم الفرنسى ، والمنطقة الثالثة وتشمل فلسطين وتكون تحت الحكم البريطانى[٣٢] .

وعلى الرغم من أن هذه المناطق مرتبطة بوشائج الوحدة من وجوه عديدة أهمها النواحى الجغرافية والاقتصادية والثقافية والتاريخية فقد ضرب بهذه الاعتبارات عرض الحائط ، ولم يلتفت مجلس الحلفاء الأعلى الا الى أطماع أعضائه فوجد ان الوسيلة المثلى لارضاء جشع كل من بريطانيا وفرنسا هى تقسيم سورية فيما بينهما[٣٣] ونتيجة لذلك اجتاحت بلاد الشام موجة من الارتياب فى نوايا بريطانيا وفرنسا .

وعندما بدات اجتماعات مؤتمر الصلح فى باريس فى ١٨ يناير ١٩١٩ لاقى الأمير فيصل صعوبات متعددة من قبل الحكومة الفرنسية ، وبعد أن عرضت القضية العربية على المؤتمر تقدم الأمير فيصل بمذكرة مؤرخة فى ٢٩ يناير ١٩١٩ بسط فيها حق العرب فى الاستقلال والوحدة واقترح أن يقوم المؤتمر بتعيين لجنة تحقيق تزور سورية وفلسطين حيث تقوم ببحث شامل للتأكد من رغبات السكان ، وحقهم فى تقرير مصيرهم . وقد أيد الرئيس الأمريكى ويلسون هذا الاقتراح[٣٤] كما أولته بريطانيا آذانا صاغية ، ومع ذلك فقد عارضته فرنسا ، كما عارضت بشدة اقامة سيادة عربية فى بلاد الشام .

وعلى الرغم من مطالبة الرئيس ويلسون ايفاد لجنة دولية للتعرف على رغبات الأهالى فى الشام فقد رفضت بريطانيا وفرنسا الاشتراك فى

---

(٣١) قاسمية : المرجع السابق ص ٥٠٢ وانظر ايضا :
Wavell : op. cit., p. 242 .

(٣٢) اسماعيل ياغى ، المرجع السابق .

(٣٣) انطونيوس : المرجع السابق ص ٣٨٧ .

(٣٤) نفســه ص ٣١٦ .

هذه اللجنة ونتيجة لذلك أرسلت اللجنة الأمريكية المعروفة باسم لجنة كنج — كرين King - Crane [٣٥] وعلى هذا الأساس عاد الأمير فيصل الى الشام فى أواخر ابريل ١٩١٩ معتقدا أن هذه اللجنة ستكون بداية لتحقيق الأمانى العربية فى الاستقلال .

وقد قضت اللجنة ٤٢ يوما فى انحاء متفرقة من المناطق السورية الثلاث ، وكانت حريصة خلالها على الاطلاع على جميع وجهات النظر باجراء مقابلات مع وفود تمثل فئات بارزة من جمعيات ونقابات وغيرها ، وقدم لها عرائض متعددة تشرح آراء ورغبات الأهالى وتضمن ٨٠٪ منها المطالبة بسورية الموحدة[٣٦] .

وبعد أن انتهت اللجنة من مهمتها قدمت توصياتها التى تتلخص فيما يلى :

١ — رفض الأهالى للانتداب الفرنسى ورغبتهم فى الوحدة والاستقلال .

أوصت اللجنة بوحدة سورية تحت حكم دستورى برئاسة فيصل ابن الحسين على أن يعهد لأمريكا أو بريطانيا بالانتداب عليها .

٣ — حذرت اللجنة من قيام دولة يهودية ، واقترحت الحد من هجرة اليهود الى فلسطين .

وعلى الرغم من أهمية تقرير لجنة التحقيق الأمريكية ، فقد اختفى فى ملفات وزارة الخارجية الأمريكية ، ولم يستخدمه المندوبون الأمريكيون فى المؤتمر بباريس ، وعلى الخصوص ان أمريكا أحست انه سيهدد علاقتها بحلفائها[٣٧] كما أن فرنسا بدات تتهم بريطانيا علانية بالتخلى عن التزاماتها فى تطبيق اتفاق سايكس بيكو .

---

(٣٥) كانت هذه اللجنة مؤلفة من عضوين هما الدكتور هنرى كنج والمستر تشارلز كراين وثلاثة مستشارين ، للتفاصيل انظر منسى : المرجع السابق ص ٤٢١ ، وانطونيوس المرجع السابق ص ٣٢٥ .

(٣٦) قاسمية : المرجع السابق ص ١١٤ — ١١٩ .

(٣٧) قاسمية : المرجع السابق ص ١٢١ .

وفى تلك الفترة زار الأمير فيصل اوربا للمطالبة بتنفيذ وعود الحلفاء لبلاده فوصل الى لندن وأعرب عن احتجاجه لدى الحكومة البريطانية للتنصل من عهودها للعرب ، كما سافر الى باريس وهناك قدم بعض التنازلات للحكومة الفرنسية مما أدى الى ازدياد حدة التوتر بين أهالى الشام ، واخذت الأحداث تتتابع فاجتمع المؤتمر السورى العام الذى يمثل الأمة السورية بأجمعها وقرر فى ١٦ جمادى الثانية من عام ١٣٣٨هـ الموافق ٧ مارس ١٩٢٠م اعلان استقلال سورية بحدودها الطبيعية واختيار الأمير فيصل بن الحسين ملكا دستوريا عليها[٣٨] وتأليف اول وزارة دستورية برئاسة رضا الركابى . وقد أثار هذا القرار كل من فرنسا وبريطانيا ، وبدأت بريطانيا تؤيد فرنسا ضد العرب ، وعندما اجتمع مجلس الحلفاء الأعلى فى سان ريمو فى ابريل ١٩٢٠ تقرر أن تتولى فرنسا الانتداب على سورية ولبنان فى نظير أن تتخلى عن اطماعها فى العراق[٣٩] وبعد ذلك بدأت المسرحية الدرامية عندما وجه الجنرال الفرنسى « غورو » انذارا الى حكومة فيصل يتضمن عدة مطالب أهمها قبول الانتداب الفرنسى على سورية ، وتسريح الجيش العربى ، والغاء التجنيد الاجبارى وان تتسلم القوات الفرنسية السكك الحديدية التى تصل بين حلب وحمص وحماه ، وان يتم تداول العملة داخل سورية عن طريق بنك سورية ولبنان الفرنسى هذا بالاضافة الى انزال العقاب الشديد على رجال حركة المقاومة العربية المعادين لفرنسا[٤٠] .

وقدد حدد غورو مدة أربعة أيام لاجابة المطالب الفرنسية والا سيكون لقواته مطلق الحرية فى التصرف ونتيجة لذلك طلب الملك فيصل من الحكومة البريطانية التدخل لدى فرنسا ، ولكنها رفضت ذلك زاعمة ان لفرنسا الحق الأول فى سورية[٤١] مما جعل فيصل يحاول تفويت الفرصة على

---

(٣٨) عن نص هذا القرار انظر : ذوقان قرقوط : المشرق العربى فى مواجهة الاستعمار — قراءة فى تاريخ سوريا المعاصر ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٧ ، ص ٩٣ — ٩٦ .

(٣٩) انطونيوس : المرجع السابق ص٣٨٩ .

(٤٠) حول نصوص هذا الانذار انظر : قرقوط : المرجع السابق ص ١٢٣ .

(٤١) قاسمية : المرجع السابق ص ١٩٨ .

الفرنسيين حتى لا يقوموا باحتلال دمشق ، فبدأ يتظاهر بتنفيذ شروط الانذار ، وينصح الزعماء السوريين بضبط النفس ، ولكن الفرنسيين انتهزوا فرصة انتهاء مدة الانذار وتحركوا تجاه دمشق لفرض السلطة الفرنسية بقوة السلاح .

وفى محاولة للدفاع عن العاصمة السورية أسرع يوسف العظمة — وزير الحربية السورى — الى تجهيز قواته لصد الغزاة ، واتخذ التدابير الدفاعية لعرقلة تقدم الفرنسيين ، كما اذاع الملك فيصل بيانا دعا فيه السوريين للدفاع عن بلادهم فتقدم حوالى ثلاثة آلاف متطوع سلاحهم البنادق وتجمعوا عند ميسلون(٤٢) أمام جيش فرنسى جرار يمتلك العدد والعدة ولديه الدبابات والطائرات والمدافع الرشاشة والمصفحات .

وفى صباح السبت الثامن من ذى القعدة ١٣٣٨هـ الموافق ٢٤ يوليو ١٩٢٠م التقى الفريقان فى ربى ميسلون واحتدمت المعركة بينهما حيث أبدى الشعب السورى بطولة نادرة ، وبسالة فائقة فى الدفاع عن بلاده ، ولكن عدم التكافؤ فى المعدات والسلاح ادى الى حصد المقاتلين السوريين بمدافع الفرنسيين وطائراتهم وقنابلهم وافناء العديدين منهم ، وسقوط يوسف العظمة شهيدا ، ودخول الفرنسيين الى دمشق(٤٣) فى يوم وصفه ساطع الحصرى بأنه « من اخطر الأيام التى مرت على الأمة العربية فى تاريخها الحديث »(٤٤) .

ونتيجة لذلك بدأ الانتداب الفرنسى على سورية ، وأنزل العلم العربى ، ورفع مكانه العلم الفرنسى ، وفرض الحكم العسكرى على البلاد ، وارغم الملك فيصل على مغادرة سورية والرحيل الى أوربا فى اغسطس

---

(٤٢) منطقة صحراوية فى مقدمتها تلال ملتفة ، وتبعد عن دمشق حوالى ٤٠ كيلو مترا .
انظر محمد بديع شريف وآخران : دراسات تاريخية فى النهضة العربية الحديثة ، القاهرة ، جامعة الدول العربية د . ت ص ٤١٥ .
(٤٣) زاهية قدورة : تاريخ العرب الحديث ، بيروت ، دار النهضة العربية ١٩٧٥م ص ٢٦٠ — ٢٦١ .
(٤٤) عز الدين اسماعيل وآخرون : ساطع الحصرى حجة الفكر القومى المعاصر ، بيروت ، دار العودة ١٩٧٥ ص ٤١ .

١٩٢٠[٤٥] وبذلك زالت اول دولة عربيـــة اسست فى دمشق عقب زوال الحكم التركى وتبعثر على اثرها رجال الثورة العربية ، ودعاة القومية ، واصبح الفرنسيون يحكمون سورية ولبنان[٤٦] .

وبعد مغادرة الملك فيصل لسورية وضع مذكرة أوضح فيها للحكومة البريطانية الأعمال غير الشرعية التى ارتكبتها فرنسا فى سورية ، وأنه ليس للفرنسيين الحق فى احتلال دمشق وسلبه مركزه بصفته عـــلى رأس حكومة سورية اختارها الشعب وفند التهم التى وجهتها فرنسا الى حكومته فأوضح أن الشعب الســورى بأجمعه يرفض انتداب الفرنسيين عـــلى بلاده[٤٧] ، وناشد بريطانيا أن تفى بعهودها للعرب .

وعلى كل حال فبعد معركة ميسلون اخذت الجنرال « غورو » روح الشماتة فى المسلمين فذهب الى قبر صلاح الدين فى دمشق وقال « ها قد عدنا يا صلاح الدين » ! و « هاهم أحفـــاد الصليبيين فأين أحفادك » ! وكان بذلك يتهكم على قول صلاح الدين للصليبيين « انكم خرجتم من الشرق ، ولن تعودوا اليه » وهكذا يتبين لنا مدى سيطرة الروح الصليبية عـــلى هؤلاء الذين ادعوا انهم انصار الانسانية والحرية .

وبدات فرنسا فى السيطرة على الجيش والأمن العام والجمـــارك والشركات ، وتحكمت فى أمور ســـورية فأخضعت الأوقـــاف لسلطتها المباشرة[٤٨] ، وفرضت اللغة الفرنسية فى المحاكم والادارات ، واعلنت تجزئة سورية ولبنان الى قسمين ، كما قسمت البلاد السورية الى أربع مناطق هى منطقة سورية بما فيها دمشق وحلب ، ومنطقـــة العلويين ، وجبل الدروز ، ومنطقة لبنان[٤٩] وحكم البلاد مفوض ســـام فرنسى .

---

(٤٥) محمد شريف وآخران : المرجع السابق ص ٤١٥ .
(٤٦) قاسمية : المرجع السابق ص ٢١٠ .
(٤٧) قرقوط : المرجع السابق ص ١٧٠ — ١٨٧ .
(٤٨) محمد سعيد اطلس : تاريخ العرب ج ٣ ، بـــيروت ، دار الأندلس ، ص ٨٢ .
(٤٩) بيير رونوفن : تاريخ القرن العشرين — ترجمـــة نور الدين حاطوم ، بيروت ، دار الفكر الحديث ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م ص ٢٢٤ .

ونتيجة لهذه الاجراءات قام الوطنيون السوريون بثورات عارمة طالبوا فيها باستقلال بلادهم ووحدتها ، والاعتراف باللغة العربية ، وكيان سوريـة الاسلامى وكان من اهم هذه الثورات الثورة السورية الكبرى فى عـام ١٣٤٤هـ / ١٩٢٥م والتى شملت أنحاء البلاد السورية وجزءا من لبنان . وقد اتخذت هذه الثورة شكل حرب العصابات ضد الفرنسيين ، وانحصرت مطالبها فى انهاء الانتداب الفرنسى واعلان الاستقلال التام وتشكيل جمعية تأسيسية لوضع دستور للبلاد ، وانهاء الحكم العسكرى .

وقد أرجع بعض المؤرخين اسباب هذه الثورة الى :

١ — رفض المندوب السامى الفرنسى اقامة احزاب فى سوريـة .

٢ — عنف الفرنسيين مع الزعماء السوريين .

٣ — تأثر السوريين بالحركات التحرريـة التى ظهرت فى كل من مصر والعراق .

٤ — بروز دور العديد من الشخصيات الهامة مثل فارس الخورى وجميل مردم وغيرهما ممن اقترن اسمهم بتاريخ سورية الحديث وبحركة الكفاح الوطنى(٥٠) .

وقد نشبت هذه الثورة فى جبـل الدروز ثم سرعان ما انتشرت فى جميع أنحاء سورية فشملت دمشق ، والغوطة وجبل الشيخ ، وقلمون ، وحمص ، وحماه ، وبعلبك .

من أشهر المعارك التى نشبت خلال هذه الثورة معركة المزرعـة فى حوران ، وفيها قتل حوالى الف من الفرنسيين وغنم الثوار العديد من اسلحتهم وذخائرهم ، كما تمكن الثوار من دخول دمشق ، وحاولوا اغتيال المندوب السامى الفرنسى باطلاق الرصاص على القطار الذى كان يقله ،

---

(٥٠) صلاح العقاد : المشرق العربى المعاصر ، القاهرة ، الانجلو المصرية ١٩٧٩م ص ١٦ .

ولم يستطع الفرنسيون مواجهة هذه الثورة الا بعد ان نقلوا من بلادهم اعدادا ضخمة من الجنود وصلت الى ما يزيد على مائة الف جندى .

وقد اشترك فى هذه الثورة عسكريون من جمعية العهد ، ومدنيون من جمعية العربية الفتاة وحزب الاستقلال وكان لانتصار الوطنيين فى جبل الدروز صدى واسعا فى كافة انحاء سورية ، مما دفع السوريين الى الاتفاق على برنامج عمل وطنى تركز فى وحدة سورية ، وجلاء القوات الفرنسية عنها ، واقامة حكومة وطنية يكون لها الحق فى التمثيل الخارجى والشروع فى انتخاب المجلس التأسيسى(٥١) ، كما دفعهم الى مواصلة الجهاد ومقاومة القوات الفرنسية مما ادى الى احراج موقف الفرنسيين ، وقيام قائدهم باصدار أوامره بضرب دمشق بالمدافع . وقد بدأ القصف فى ١٨ اكتوبر ١٩٢٥ واستمر يومين دمرت خلاله احياء كاملة ، ومواقع اثرية هامة . كما استعمل الفرنسيون اقسى أساليب القمع فى مواجهة الثوار فقطعوا المياه عن المدينة ، واقتلعوا العديد من الأشجار(٥٢) مما اثار استياء الضمير العالمى ، ولم يتوقف هذا القصف الوحشى الا بعد تدخل الدول الكبرى وتوسط الأعيان فى طلب التسليم ، وتحمل الأهالى الغرامة المالية التى فرضتها سلطات الانتداب . وعلى الرغم من ذلك فان الثورة لم تتوقف حيث نقل الثوار مراكزهم الى قرى الغوطة ، وبداوا فى مهاجمة الفرنسيين ، مما جعل القوات الفرنسية تعيد ترتيباتها مرة أخرى فقصفت دمشق بالمدافع ، وبدأت فى مواجهة الثوار فى معارك غير متكافئة انتصر الثوار فى بعضها . ونظرا لخطورة الموقف بدأ الفرنسيون فى التركيز للقضاء على الثورة خصوصا فى دمشق . ونظرا لضعف امكانات الثوار ، واستنزاف مواردهم اضطروا الى توقف ثورتهم فى عام ١٣٣٦هـ / ١٩٢٧م(٥٣) .

وعلى كل حال فقد ارغمت هذه الثورة فرنسا على تغيير سياستها تجاه السوريين ، وبدأت تنظر الى مطالبهم بعين الاعتبار ، فألغيت الأحكام العرفية ، واعلن عن اجراء انتخابات من أجل تشكيل جمعية تأسيسية

---

(٥١) ترقوط : المرجع السابق ص ٢٩١ .
(٥٢) زاهية قدورة : المرجع السابق ص ٢٦٤ .
(٥٣) انطونيوس : المرجع السابق ص ٤١٦ .

لوضع دستور للبلاد ، وعينت حكومة مؤقتة برئاسة تاج الدين الحسينى للاشراف على الانتخابات ، وقد قبل الوطنيون الاشتراك فى هذه الانتخابات فى عام ١٩٢٨م وفازوا فيها[٥٤] الا أن فرنسا سرعان ما نقضت عهدها ، واعترضت على بعض مواد الدستور خصوصا المواد المتعلقة بالتمثيل الخارجى ، وسلطات رئيس الجمهورية والوحدة السورية ، ولكن الجمعية التأسيسية أصرت على ما جاء فى الدستور ، وعم الاضراب جميع أنحاء سورية وكثرت الاضطرابات ، وازداد الموقف اشتعالا بتعطيل الجمعية ، واعتقال الفرنسيين لعدد من زعماء الحركة الوطنية ، ولتهدئة الموقف أعلن المفوض السامى الفرنسى عن استعداده لاطلاق سراح المعتقلين السياسيين[٥٥] واجراء انتخابات جديدة تمهيدا لانتخاب رئيس للجمهورية ، ولعقد معاهدة مع فرنسا ، وقد جرت الانتخابات وتم انتخاب محمد على العابد رئيسا للجمهورية ، كما تم تكوين وفد من زعماء الحركة الوطنية برئاسة هاشم الأتاسى للدخول فى مفاوضات مع فرنسا ، وقد انتهت هذه المفاوضات بعقد معاهدة ١٩٣٦م وهى شبيهه الى حد كبير بالمعاهدة التى عقدتها بريطانيا مع مصر من حيث وضع القيود التى تحد من الاستقلال ، وتتلخص نصوص هذه المعاهدة فيما يلى :

١ — قيام تحالف عسكرى بين سورية وفرنسا للدفاع عن السلم والمحافظة على مصالحهما المشتركة .

٢ — أن تحتفظ فرنسا بنفوذها السياسى والعسكرى والاقتصادى وأن تلتزم سورية بتقديم كل التسهيلات اللازمة لفرنسا .

٣ — أن تقوم بعثة عسكرية فرنسية بالاشراف على الجيش السورى[٥٦] وتدريبه على أن توضع القوات العسكرية والمطارات والمواصلات والطرق فى سورية تحت تصرف القوات الفرنسية .

---

(٥٤) كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية — ترجمة أمين فارس ، ومنير البعلبكى — بيروت ، دار العلم للملايين ، الطبعة الأولى ١٩٤٩م ص ١٠٢ .

(٥٥) انطونيوس : المرجع السابق ص ٤٢٠ .

(٥٦) حسن الحكيم : الوثائق التاريخية المتعلقة بالقضية السورية فى العهدين العربى الفيصلى والانتداب الفرنسى ١٩١٥ — ١٩٤٦ ، بيروت دار صادر ١٩٧٢ ص ٣٢٨ — ٣٣٠ .

٤ — أن تنضم سورية الى عصبة الأمم بعد ثلاث سنوات من تنفيذ المعاهدة ، وبعدها تعترف فرنسا باستقلالها(٥٧) .

٥ — يستمر سريان هذه المعاهدة لمدة خمس وعشرين سنة(٥٨) .

وعلى الرغم من القيود التى فرضتها هذه المعاهدة على سورية وحرمتها من الهدف الرئيسى الذى تسعى اليه وهو الوحدة والاستقلال فان السوريين قبلوها على اعتبار انها خطوة فى سبيل الاستقلال ، ونتيجة لذلك اجريت الانتخابات فى سورية وتعين على اثرها هاشم الأتاسى رئيسا للجمهورية ، كما تألفت وزارة جديدة برئاسة جميل مردم ، ومع كل ذلك فقد حدث ما لم يكن فى الحسبان حيث رفض البرلمان هذه المعاهدة بحجة أنها تفقد فرنسا مركزها الاستعمارى فى الشرق ، وقد ترتب على ذلك عودة فرنسا الى تطبيق سياستها الاستعمارية ضد ابناء الشعب السورى ، ولم تكتف فرنسا بذلك بل عقدت فى عام ١٣٥٧هـ / ١٩٣٨م معاهدة صداقة مع تركيا تنازلت فيها للأتراك عن لواء الاسكندرونة السورى مخالفة بذلك صك الانتداب مما تسبب فى حرمان مدينة حلب السورية من مينائها الطبيعى ، وادى الى فقدان البلاد السورية لمدينة انطاكية التجارية الشهيرة(٥٩) .

وكانت حجة الفرنسيين فى ذلك هو رغبة الأهالى أصحاب العلاقة المباشرة فى الانضمام الى تركيا . وفى الحقيقة أن فرنسا هدفت من ذلك التقسيم الى :

١ — تشجيع الاتجاهات الانفصالية فى سورية ، وتحويل بلاد الشام الى دويلات .

٢ — القضاء على الاتجاه القومى بين السكان ، واحلال الاتجاه الاقليمى مكانه(٦٠) .

---

(٥٧) المرجع السابق ص ٣٦ .
(٥٨) عن النص الكامل لهذه المعاهدة انظر : قرقوط : المرجع السابق ، ص ٤٢٨ — ٤٣٤ .
(٥٩) العقاد : المرجع السابق ص ٣٣ .
(٦٠) انطونيوس : المرجع السابق ص ٤٠٩ .

وبعد ذلك اتجه الحكم الفرنسى فى سورية الى كبت الحريات العامة ، وتشديد الرقابة على الصحافة ، واضطهاد اصحاب الرأى ، والفكر ، والعناصر القيادية ، ونشر الأغلال بين أوساط الشعب السورى .

كل هذه الاجراءات أثارت ردود فعل عنيفة عند السوريين ، وخلال هذه الفترة قامت الحرب العالمية الثانية فى عام ١٩٣٩ والتى هزمت فيها فرنسا فى بدايتها ودخل الألمان باريس ، وتولت حكومة فيشى الموالية لألمانيا مقاليد الأمور ، ووقعت الهدنة مع الألمان وكادت سورية ولبنان تخضعان للسيطرة الألمانية خصوصا وان ممثلى حكومة فيشى فى سورية كانوا يرغبون فى تقديم المساعدة للألمان ، ولكن ترددهم فى الموقف خشية اغضاب الولايات المتحدة وبريطانيا[٦١] قد أدى الى اسراع بريطانيا وقوات فرنسا الحرة بقيادة الجنرال ديجول فى الاستيلاء على سورية ودخول دمشق ، والقضاء على تبعية بلاد الشام لحكومة فيشى[٦٢] حيث عقدت هدنة مع حكومة فيشى كان من أهم شروطها الخروج من سورية[٦٣] .

وقد سعت حكومة فرنسا الحرة الى حمل السوريين على قبول معاهدة تتيح للفرنسيين امتيازات الدولة صاحبة الانتداب على سورية ، ولكن الشعب السورى رفض الارتباط بمثل هذه المعاهدة ، وقام بثورته فى عام ١٩٤٥ مما أدى الى قيام القوات الفرنسية باطلاق نيران مدافعها على المدن السورية برا وجوا ، ونظرا لأن بريطانيا كانت ترى فى هذه الأحداث اثارة للقلاقل بين اهالى الشام مما قد يعرقل جهود انهاء الحرب فانها حاولت وضع حد للارهاب الفرنسى عن طريق اقناع الفرنسيين باجراء انتخابات فى سورية[٦٤] وفعلا أجريت الانتخابات وفاز الوطنيون

---

(٦١) لوكازهير زوير : ألمانيا الهتلرية والمشرق العربى — ترجمة أحمد عبد الرحيم مصطفى — القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٧١ ص ٢٣٧ .

(٦٢) وليم لانجر : موسوعة تاريخ العالم — ترجمة عبد المنعم أبو بكر — القاهرة ، النهضة المصرية ١٩٧١ ص ٣٤٧٤ .

(٦٣) العقاد : المرجع السابق ص ٤٨ .

(٦٤) أميل البستانى : زحف العروبة — ترجمة عبد اللطيف أبو شرارة — بيروت ، دار الكتاب اللبنانى ، ١٩٦١ ص ٧٦ .

بمعظم المقاعد ، وانتخب شكرى القوتلى رئيسا للجمهورية السورية فى عام ١٣٦٥هـ ١٩٤٥م ، وبدأ الوطنيون فى تسلم سلطاتهم غير أن فرنسا تراجعت عن موقفها ، ورفضت تسليم السلطة للوطنيين فتجددت الاضطرابات ، وقامت فرنسا بالضرب على ايدى الثوار كما قامت باطلاق نيران مدافعها على كل من دمشق وحلب وحماه مما كان له اكبر الأثر فى استنكار دول العالم لهذا الموقف ونتيجة لذلك تدخلت بريطانيا فى الأمر وطالبت بانسحاب القوات الفرنسية الى ثكناتها ووقف اطلاق النار ، وخلال ذلك عرضت الحكومة الوطنية السورية قضية بلادها على مجلس الأمن وقد شرع المجلس فى مناقشة القضية فى الخامس عشر من فبراير ١٩٤٦م وخلال ذلك اكد مندوب بريطانيا للحكومتين السورية واللبنانية ان حكومته تعطف على قضيتهما ، وترغب فى انسحاب الجيوش الفرنسية من بلديهما ، ووقف مندوب الولايات المتحدة بجانب حق سورية فى استقلالها وأعرب عن ثقته فى جلاء الجيوش الأجنبية عن سورية ولبنان فى أسرع وقت ممكن كما اكد المندوب الصينى على ضرورة تحديد موعد بدء الجلاء وانتهائه[٦٥] . وبعد مشاورات ومداولات وافقت اغلبية الدول الأعضاء على انسحاب القوات الفرنسية والانجليزية من سورية ولبنان فتم الجلاء فى ١٣٦٧هـ الموافق ١٧ ابريل ١٩٤٦م وبذلك اصبحت سورية دولة مستقلة ، واعتبر ابناء سورية ذلك اليوم عيدا وطنيا[٦٦] .

وقد سارت سورية فى ركب التحرر العربى ، ووقعت على ميثاق الجامعة العربية فى عام ١٩٤٥م ، كما انضمت الى هيئة الأمم المتحدة .

سورية فى ظل الاستقلال :

بعد أن تحقق لسورية استقلالها تحملت حكوماتها الوطنية مسئوليات جسام كان من أهمها التخلص من رواسب الاستعمار الثقافية بعد أن تخلصت من الاستعمار السياسى ، واصلاح ما افسده الفرنسيون ، كما واجهت هذه الحكومات مشكلات خارجية متعددة اهمها حرب فلسطين عام

(٦٥) شاكر الدبس : الدول العربية فى منظمة الأمم المتحدة ، دمشق ، مطبعة الانشاء ، ١٩٤٨ ، ص ٩٠ — ٩١ .

(٦٦) نفسه ص ٩١ .

١٩٤٨ ، والمؤامرات الاستعمارية ضدها ، ونتيجة للمخاوف وخشية من انفلات الأمور استولى الجيش السورى على السلطة ، وتعرضت سورية لمجموعة من الانقلابات العسكرية ثم استؤنفت الحياة الدستورية واختير شكرى القوتلى رئيسا للجمهورية فى ١٦ سبتمبر ١٩٥٥ وسرعان ما بلغ التوتر بين الجيش والحكومة اقصاه ، ومن هنا رأى ضباط الجيش ان الحل الأمثل للأزمة التى تتعرض لها سورية هو الاتحاد مع مصر ، وفى أعقاب ذلك جرى العديد من الاتصالات والمباحثات مع مصر وانتهت بتوقيع اتفاقية الوحدة فى أول فبراير ١٩٥٨[٦٧] وأعلن عن قيام الجمهورية العربية المتحدة برئاسة جمال عبد الناصر ، وسميت سورية بالاقليم الشمالى ، ومصر بالاقليم الجنوبى ، ولكن هذه الوحدة لم تستمر طويلا ، وقد استطاعت المؤامرات الاستعمارية الاطاحة بهذه الوحدة على أثر انقلاب عسكرى فى ٢٨ سبتمبر ١٩٦١ وأعلن عن انفصال سورية عن مصر ، وقامت حكومة دستورية برئاسة الدكتور معروف الدواليبى ، كما انتخب الدكتور ناظم القدسى رئيسا للجمهورية ، وفى مارس ١٩٦٢ أطاح انقلاب عسكرى بالحكومة ، وتولى الجيش مقاليد السلطة ، واستمرت الحركات الانقلابية فى سورية حتى قيام حزب البعث باستلام السلطة .

وفى يونيو ١٩٦٧ واجهت القيادة السورية الهزيمة فى معركتها مع اسرائيل ، وضاعت الجولان .

وفى ١٣ نوفمبر ١٩٧٠ قامت حركة فى سورية بقيادة الفريق حافظ الأسد وزير الدفاع وقائد السلاح الجوى ، ونجح فى الاستيلاء على السلطة ، واختير فى ٢٢ فبراير ١٩٧١ رئيسا للجمهورية . ومن أبرز مظاهر السياسة السورية فى عهده توثيق العلاقات مع بعض الدول العربية ، كما انضمت سورية الى ميثاق طرابلس الذى يضم اتحادا رباعيا من سورية ومصر وليبيا والسودان[٦٨] .

وقد شاركت سورية فى حرب رمضان ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م هذا الى جانب مواقفها من القضية اللبنانية .

---

(٦٧) كانت هذه الوحدة أول تجربة وحدة عربية فى العصر الحديث .
(٦٨) ياغى وشاكر : المرجع السابق .

(الملاحق)

ملحق رقم (١)

معاهدة ((سايكس بيكو)) المعقودة بين بريطانيا وفرنسا عام ١٩١٦

في يوم ٩ تشرين الثاني ١٩١٥ عينت الحكومة الفرنسية الموسيو جورج بيكو قنصلها العام في بيروت سابقا مندوبا ساميا لمتابعة شؤون الشرق الأدنى ولمفاوضة الحكومة البريطانية في مستقبل البلاد العربية فلم يلبث أن شد رحاله الى القاهرة واجتمع الى السير مارك سايكس النائب في مجلس العموم البريطاني والمندوب السامي لشؤون الشرق الأدنى بمصر وكان سايكس قد أنجز صفقته مع الشريف حسين دون أن تطلع الحكومة البريطانية الحكومة الفرنسية على شروط الاتفاق معه . وهناك دارت المفاوضات بينهما بشأن مصير البلاد العربية وبعد أن تم الاتفاق عليها في شهر ايار ١٩١٦ دون علم الحسين ارسل الموسيو بول كامبون سفير فرنسا في لندن في ٩ ايار ١٩١٦ الى السير ادوارد غراي وزير الخارجية البريطاني الكتاب الآتي :

((أمرت أن أبلغكم أن الحكومة الفرنسية قبلت الحدود التي رسمت على الخرائط الموقعة من جانب السر مارك سايكس والمسيو جورج بيكو ورضيت بالمبادىء التي دارت عليها المفاوضات بينهما وهي تنتظر التوقيع على نصوص الاتفاقية المرسلة طيه :

المادة الأولى : ان فرنسا وبريطانيا العظمى مستعدتان أن تعترفا وتحميا دولة عربية مستقلة أو حلف دول عربية تحت رئاسة رئيس عربي

الوثائق التاريخية المتعلقة بالقضية السورية في العهدين الفيصلي والإنتداب الفرنسي ص٢٤ — ٢٩ .

فى المنقطتين (أ) (داخلية سورية) و (ب) (داخلية العراق) المبينتين فى الخريطة الملحقة بهذا ويكون لفرنسا فى منطقة (أ) ولانكلترا فى منطقة (ب) حق الأولوية فى المشروعات والقروض المحلية وتنفرد فرنسا فى منطقة (أ) وانكلترا فى منطقة (ب) بتقديم المستشارين والموظفين الأجانب بناء على طلب الحكومة العربية أو حلف الحكومات العربية .

المادة الثانية : يباح لفرنسا فى المنطقة الزرقاء (شقة سورية الساحلية) ولانكلترا فى المنطقة الحمراء (شقة العراق الساحلية من بغداد حتى خليج فارس) انشاء ما ترغبان فيه من شكل الحكم مباشرة أو بالواسطة أو من المراقبة بعد الاتفاق مع الحكومة او حلف الحكومات العربية .

المادة الثالثة : تنشأ ادارة دولية فى المنطقة السمراء (فلسطين) يعين شكلها بعد استشارة روسيا والاتفاق مع بقية اللحلفاء وممثلى شريف مكة .

المادة الرابعة : تنال انكلترا ما يأتى :

١ — ميناء حيفا وعكا .

٢ — يضمن مقدار محدود من ماء دجلة والفرات فى المنطقة (أ) للمنطقة (ب) وتتعهد حكومة جلالة الملك من جهتها بأن تدخل فى مفاوضات ما مع دولة أخرى للتنازل عن قبرص الا بعد موافقة الحكومة الفرنسوية مقدما .

المادة الخامسة : تكون اسكندرونة ميناء حرا لتجارة الامبراطورية البريطانية ولا تنشأ معاملات مختلفة فى رسوم الميناء ولا ترفض تسهيلات خاصة للملاحة والبضائع البريطانية وتباح حرية النقل للبضائع الانكليزية عن طريق اسكندرونة وسكة الحديد فى المنطقة الزرقاء سواء كانت واردة الى المنطقة الحمراء أو الى المنطقتين (أ) و (ب) أو صادرة منهما . ولا تنشأ مختلفة (بالذات أو بالتبع) على أى سكة من سكك الحديد أو فى أى ميناء من موانىء المناطق المذكورة تمس البضائع والبواخر البريطانية .

وتكون حيفا ميناء حرا لتجارة فرنسا ومستعمراتها والبلاد الواقعة تحت حمايتها ولا يقع اختلاف فى المعاملات ولا يرفض اعطاء تسهيلات للملاحة والبضائع الفرنسوية ويكون نقل البضائع الفرنسوية حرا بطريق حيفا وعلى سكة الحديد الانكليزية فى المنطقة السمراء سواء كانت البضائع صادرة من المنطقة الزرقاء او الحمراء او المنطقة (أ) او المنطقة (ب) أو واردة اليها ولا يجرى أدنى اختلاف فى المعاملة بالذات أو بالتبع يمس البضائع او البواخر الفرنسوية فى اى سكة من سكك الحديد ولا فى ميناء من الموانىء فى المناطق المذكورة .

المادة السادسة : لا تمد سكة حديد بغداد فى المنطقة (أ) الى ما بعد الموصل جنوبا ولا فى المنطقة (ب) الى ما بعد سامرا شمالا الى أن يتم انشاء خط حديدى يصل بغداد بحلب مارا بوادى الفرات ويكون ذلك بمساعدة الحكومتين .

المادة السابعة : يحق لبريطانيا العظمى أن تنشىء وتدير وتكون المالكة الوحيدة لخط حديدى يصل حيفا بالمنطقة (ب) ويكون لها ماعدا ذلك حق دائم بنقل الجنود فى اى وقت كان على طول هذا الخط . ويجب أن يكون معلوما لدى الحكومتين أن هذا الخط يجب أن يسهل اتصال حيفا ببغداد وانه اذا حالت دون انشاء خط الاتصال فى المنطقة السمراء مصاعب فنية ونفقات وافرة لادارته تجعل انشاءه متعذرا فالحكومة الفرنسية تكون مستعدة أن تسمح بمروره فى طريق بربورة — أم قيس — ملقى — ايدار — غسطا — مغاير قبل أن يصل الى المنطقة (ب) .

المادة الثامنة : تبقى تعريفة الجمارك التركية نافذة عشرين سنة فى جميع جهات المنطقتين الزرقاء والحمراء والمنطقتين (أ) و (ب) فلا تضاف اي علاوة على الرسوم ولا تبدل قاعدة التثمين فى الرسوم بقاعدة أخذ العين الا أن يكون باتفاق بين الحكومتين .

ولا تنشأ جمارك داخلية بين أية منطقة وأخرى من المناطق المذكورة أعلاه وما يفرض من رسوم الجمرك على البضائع المرسلة الى الداخل يدفع فى الميناء ويعطى لادارة المنطقة المرسلة اليها البضائع .

المـادة التاسعة : من المتفق عليه أن الحكومة الفرنسية لا تجـرى مفاوضة فى اى وقت كان للتنازل عن حقوقها ، ولا تعطى مالها من الحقوق فى المنطقة الزرقاء لدولة اخرى سوى للدولة أو حلف الدول العربية بدون أن توافق على ذلك سلفا حكومة جلالة الملك التى تتعهد للحكومة الفرنسوية بمثل هذا فى ما يتعلق بالمنطقة الحمراء .

المـادة العاشرة : تتفق الحكومتان الانكليزيـة والفرنسويـة بصفتهما حاميتين لدولة العربية على أن لا تمتلكا ولا تسمحا لدولة ثالثة أن تمتلك اقطارا فى شبه جزيرة العرب أو تنشىء قاعدة بحرية فى الجزائر على ساحل البحر الأبيض الشرقى على أن هذا لا يمنع تصحيحا فى حدود عدن قد يصبح ضروريا بسبب عداء الترك الأخير .

المـادة الحادية عشرة : تستمر المفاوضـات مـع العـرب باسم الحكومتين بالطرق السابقة نفسها لتعين حدود الدولـة أو حلف الدولـة العربيـة .

المـادة الثانية عشرة : من المتفق عليه عدا ما ذكر أن تنظر الحكومتان فى الوسائل اللازمة لمراقبة جلب السلاح الى البلاد العربية .

— ٢ —

وفى يوم ١٥ مايو سـنة ١٩١٦ ارسـل السر ادوارد غـراى وزير الخارجية البريطانية الى سفير فرنسا فى لندن الكتاب الآتى :

« لى الشرف أن اجيبكم على كتابكم المؤرخ ٩ الجارى والخاص بايجاد حكومة عربية ، انى انتظر أن تعلمونى مباشرة فى ما اذا كان فى امكانكم اعطائى ضمانات معينة تضمن بقاء حقوق الملاحة والامتيازات البريطانيـة فى المعاهد والمؤسسات الدينيـة ومعاهد التعليم والمعاهد الصحيـة التى ستصير فى ما بعد مناطق فرنسوية أو فى المناطق التى تسود فيها المصالح الفرنسوية ، وفقا للقواعد الواردة فى كتابكم . وتفضلوا ...

— ٣ —

فرد عليه السفير الفرنسوى فى اليوم نفسه بالخطاب الآتى :

« لقد اعربتم فى كتابكم بتاريخ اليوم عن رغبتكم قبل الرد على كتابى الخاص بمسألة تأليف حكومة عربية والمؤرخ ٩ الجارى — فى الحصول على ما يضمن لكم دوام بقاء امتيازات وحقوق الملاحة وكذلك جميع الحقوق والامتيازات البريطانية فى المؤسسات الدينية ومعاهد التعليم وفى المعاهد الصحية فى المناطق التى تصير فى ما بعد مناطق فرنسوية او فى المناطق التى تسود فيها المصالح الفرنسوية — كما ان حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى ستعترف بهذا الحق عينه لفرنسا فى المناطق التى تصير فى ما بعد مناطق بريطانية فلى الشرف ان ابلغ سعادتكم ان حكومة فرنسا مستعدة للمصادقة على جميع الامتيازات البريطانية المختلفة التى يرجع تاريخها الى زمن معين قبل الحرب فى المناطق التى تنتسب الى فرنسا فى ما بعد او المناطق التى تعتمد على مجهوداتها فيها ، اما فيما يختص بالمؤسسات الدينيــة ومعاهد التعليم والمعاهد الصحية فانها ستظل كما فى الماضى مستمرة فى اداء مهمتها . والفت نظركم فى الوقت نفسه الى ان هذا العهد لا يشمل الامتيازات الأجنبية او ما يتعلق بالأمور العدلية والقضاء .

— ٤ —

فرد عليه السر ادوارد غراى يوم ١٦ منه بالكتاب الآتى :

جوابا لخطابكم المؤرخ فى ١٥ الجارى لى الشرف أن أبلغ سعادتكم أن قبول جميع هذه التكليفات والترتيبات تهيئتها الحـــالية مما يوجب اهمــال المنافع البريطانية العظيمة غير انه لما كانت حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى ترجو الفوائد العميمة لمصالح الحلفاء عامة باحداث حالة سياسية داخليــة مساعدة فى تركيا ، فقد استعدت لقبول المواد المتفق عليها لضمان اشتراك العرب فى الحرب ولكى يقوموا بواجب التحالف فيحتلوا حلب وحماه وحمص ودمشق ، فاذن حصل التفاهم بين انكلترا وفرنسا فيما يتعــلق بالشروط الواردة فى كتابكم المؤرخ ٩ الجارى .

ثم ادرج فى الكتاب نص مواد المعاهدة التى اصبحت معتبرة من تاريخ ١٦ أيار ١٩١٦ والتى تتنافى والعهود المقطوعة للشريف حسين بن علـى أمير مكة المكرمة قبلاً .

ملحوظـة :

فى الاتفاق الذى تم بين انكلترا وفرنسا فى ١٥ ايلول ١٩١٩ تنـازلت انكلترا لفرنسا عن كيليكيا وسوريا ساحلا وداخلا مع اطلاق يدها فى جميع مناطقها ولقاء ذلك تعهدت فرنسا بعدم المطالبة بالموصـل ضمن الحـدود السورية وباطلاق يد انكلترا فى فلسطين وفى العراق وبسلخ شرقى الأردن عن سوريا واعطائها لانكلترا ، وكانت الموصل فى معاهدة سايكس ــ بيكو من حصة فرنسا وأن فلسطين يجب أن تكون تحت ادارة دولية لا بريطانيـة فقط .

ملحق رقم (٣)

نص صك الانتداب على سوريا ولبنان

مجلس جمعية الأمم :

لما كانت دول الحلفاء متفقة على أن أراضى سورية ولبنان التى كانت فى ما مضى جزءا من السلطنة العثمانية يعهد بها ضمن حدود تعينها الدول المشار اليها الى دولة منتدبة موكول اليها نصح الأهالى ومعاونتهم وارشادهم فى ادارتهم وفقا لنص الفقرة الرابعة من المادة ٢٢ من جمعية الأمم ولما كانت دول الحلفاء الرئيسية قد قررت أن الانتداب على البلاد المذكورة يعطى لحكومة الجمهورية الفرنسية وعرض للتصديق على مجلس جمعية الأمم ولما كانت حكومة الجمهورية الفرنسية تتعهد باجراء هذا الانتداب باسم جمعية الأمم طبقا للمواد المذكورة ، ولما كانت نصوص المادة الثانية والعشرين الآنفة الذكر (الفقرة الثانية) تقضى بأنه لما كانت درجة السلطة والمراقبة والادارة التى تجريها الدولة المنتدبة لم يتفق عليها سابقا بين أعضاء جمعية الأمم فالمجلس هو الذى ينظم ذلك ، ليضع نصوص الانتداب كما يلى موافقا عليه :

١ — تضع الحكومة المنتدبة فى برهة ثلاث سنوات اعتبارا من تاريخ تنفيذ هذا الانتداب دستورا نظاميا لسورية ولبنان يصاغ هذا الدستور بالاتفاق مع السلطات الوطنية وتراعى فيه حقوق عموم السكان القاطنة فى هذه البلاد ومصالحهم وتشرع الحكومة المنتدبة فى ايجاد الوسائل التى من شأنها أن تسهل تقدم سورية ولبنان ورقيهما كحكومتين متصلتين وتسيرهما بموجب روح هذا الصك الى ان يتم الشروع فى تنفيذ ذاك الدستور ويجب على الدولة المنتدبة أن تنشط الاستقلال المحلى قدر ما تسمح به الأحوال .

٢ — يمكن للحكومة المنتدبة أن تبقى جنودها فى البلاد للدفاع عنها وقد خولت حق تنظيم جند من المجلس المحلى قصد المحافظة على الأمن

والدفـــاع عن البلاد وكما تقتضيه الأحوال وذلك حتى تنفيذ الدســـتور واعادة الأمن الى نصابه وتنظيم جنود المجلس المحلى وسكان البلاد فقط ، ترتبط هذه الجنود فيما بعد بالادارت المحلية تحت اشراف الدولة ولا يجوز استخدامها لأغراض أخرى سوى الأغراض المعنية فيما تقدم الا بعد موافقة الدولة المنتدبة لا مانع يمنع سورية ولبنان من الاشتراك فى نفقات القوات التى تضعها الدولة المنتدبة فى البلاد .

يحق للدولة المنتدبـــة فى كل حـــين أن تســـتعمل الموانى والخطوط الحديدية ووسائل النقل الموجودة فى سورية ولبنان لسوق جنودها ونقل جميع المواد والمهمات والوقود اللازمة لها .

٣ ــ يعهد الى الدولة المنتدبة بالسيطرة على جميع علاقات سورية ولبنان الخارجية ولها حق اصدار البراآت الى القناصل الذين يعينون من قبل الدول الأجنبية وتشمل الدولة المنتدبة بحمايتها السياسية والقنصلية الرعايا السوريين الذين يعيشون خارج هذه البلاد .

٤ ــ الدولة المنتدبة مسؤولة عن عدم التنازل عن أى جزء من أجزاء سورية ولبنان وعن عدم تأجيره أو وضعه تحت تسلط دولة أجنبية .

٥ ــ ان اعفاء الأجـــانب من الأمـــور الواجبة وتمتعهم بالامتيازات الأجنبية وبقضاء القنصلاتو وحمايته التى كانوا يتمتعون بها أيام الدولـــة العثمانية لا تطبق فى سورية ولبنان غير ان محاكم القنصلاتو الأجنبية تداوم على القيام بوظيفتها الى ان يتم تنفيذ النظام الجديد المنصوص عنه بالمـــادة السادسة ، ان الدول التى كان أتباعها يتمتعون بالأمتيازات الأجنبية المبينة اعلاه لأول اغسطس سنة ١٩١٤م والتى لم تتنازل عن هذه الامتيـــازات أو توافق على عدم تطبيقها لأجل محدود ستمنح ثانية جميع الامتيازات أو بعضها بعد انقضاء أمـــد الانتداب بالصورة التى يتم عليها الاتفـــاق بين الدول ذات الشأن .

٦ ــ تضع الحكومة المنتدبة فى سورية ولبنان نظاما قضائيا يصون حقوق الوطنيين والأجانب على الســـواء ويحافظ عـــلى أحـــوال الناس

الشخصية وعلى مصالحهم الدينية وخصوصا ادارة الأوقاف التى تدار وفقا للشريعة ولارادة الوقف .

٧ — تكون معاهدات تسليم الرعايا الأجانب المبرمة بين الدولة المنتدبة وبين سائر الدول الأجنبية مرعية فى سورية ولبنان الى أن يتم عقد اتفاقات خاصة بهذا الشأن .

٨ — تضمن الدولة المنتدبة للجميع حرية الضمير وحرية القيام فى جميع شعائر العبادة التى لا تخل بالأمن ولا بالآداب العامة ولا يكون تمييز من أى نوع بين سكان سورية ولبنان بسبب الجنس أو الدين أو اللغة ، تنشط الحكومة المنتدبة التعليم العام ويكون هذا التعليم بلغة البلاد المحلية ، لا تحرم جميع الطوائف حق المحافظة على مدارسها وتعليم ابنائها بلغتها متى كان ذلك مطابقا لقانون التعليم العام الذى تعينه الحكومة .

٩ — تتجنب الحكومة المنتدبة التدخل فى اعمال المجالس الادارية وفى ادارة الطوائف الدينية وفى ادارة المعابد المقدسة التى تخص احدى الطوائف وقد تكفلت بالمحافظة على هذه المعابد .

١٠ تحدد سلطة الدولة المنتدبة فى مراقبة البعثات الدينية فى سورية ولبنان لأجل محافظتهم على الأمن وعلى الحكم بطريقة مرضية ولا تحصر الدولة المنتدبة مساعى هذه البعثات بصورة من الصور ولا تقيد اعضاءها بقيود بسبب توصيتهم ما لم تخرج أعمالهم عن اصول الدين ، يمكن لهذه البعثات الدينية ان تشتغل بأمور الاسعاف والتعليم تحت مراقبة الدولة المنتدبة أو الحكومة المحلية .

١١ — يجب على الحكومة المنتدبة ان لا تميز بالمعاملة فى سورية ولبنان بين اتباعها وبين اتباع غيرها من الدول الداخلة فى عضوية جمعية الأمم وتشمل هذه المعاملة الجمعيات والشركات الاجنبية على اختلافها وان لا تميز أيضا بين اتباع أى دولة اجنبية وبين اتباعها فى الأمور التى لها مساس بالضرائب والتجارة والملاحة وتعاطى الحرف والمهن أو فى معاملة السفن البحرية أو الوسائط الهوائية وكذلك الأمر يجب أن لا يكون تمييز فى سورية ولبنان بين البضائع التى يكون مصدرها أو محط رحالها

بلاد تلك الدول المذكورة ويجب اطلاق حرية المرور التجارية عبر المنطقة المشار اليها بشروط عادلة ، يمكن للحكومة المنتدبة بعد مراعاة ما ذكر أعلاه أن تفرض الضرائب والرسوم الجمركية التى تراها ضرورية أو أن توعز للحكومات المحلية أن تفرضها ويمكن للدولة المنتدبة أو الدولة المحلية التابعة لمشورتها أن تعقد لأسباب جوارية اتفاقا جمركيا خاصا مع البلاد المتاخمة لها ويمكن للحكومة المنتدبة عملا بشروط البند الأول من هذه المادة أن تتخذ الوسائل الفعالة التى تعتقد صلاحها لترقية موارد البلاد الطبيعية مع المحافظة على مصالح السكان ، تمنح الامتيازات لترقيــة هذه الموارد الطبيعية لمن شاء دون تمييز فى تابعية الأشخاص الداخلة دولهم فى عداد أعضاء جمعية الأمم بشرط الا تمس هذه الامتيازات بسلطة الحكومة المحلية ولا تمنح الامتيازات بصفة احتكار عام ، لا تمس هذه الفقرة بتحديد سلطة الدولة المنتدبة فى ايجاد الاحتكارات المـــالية التى من شأنها أن ترقى مصالح سورية ولبنان وتحفظ مواردهما المــالية والمحلية ويمكن للحكومة أن تسعى لترقية هذه الموارد الطبيعية مباشرة أو بواسطة شركة خاصة تعمل تحت اشرافها بشرط أن لا يوجد هذا العمل لا عمدا ولا بالوسطة احتكارا خاصا بالدولة المنتدبة أو برعاياها أو يمنحهما ميزة فى الأمور الاقتصادية والتجارية والصناعية التى تقرر فيها المساواة بين الجميع .

١٢ — تحافظ الدولة المنتدبة بالنيابة عن سورية ولبنان على كل اتفاق دولى عام عقد حتى الآن أو ربما يعقد فيما بعد بموافقة جمعية الأمم بخصوص الاتجار بالرقيق وبالعقاقير وبالسلاح والمعدات الحربية وبالمساواة التجارية وحرمة العبور والملاحة الطيران والمواصلات البريدية والبرقية واللاسلكية وباتخاذ الوسائط اللازمة لحماية الصنائع والآداب والفنون .

١٣ — تصون الدولة المنتدبة بقدر ما تسمح لها الأحوال الاجتماعية والدينية اتحاد سورية ولبنان فى الأمور ذات الفوائد العامـــة التى تقرها جمعية الأمم لمنع الأمراض ومقاومتها وفى جملتها أمراض الحيوان والنبات .

١٤ — تتضمن هذه المـــادة بحثا طويلا فى قانون الآثار لا فائدة من نشره وهو شبيه بالمـــادة الخاصة بالآثار فى صك الانتداب بفلسطين فليـــرجع اليها .

١٥ — عندما يتم تنفيذ الدستور المنصوص عليه فى المادة الأولى يوضع ترتيب بين الحكومة المنتدبة والحكومات المحلية تدفع بموجبه هذه الحكومات جميع النفقات التى انفقتها الحكومة المنتدبة لأجل تنظيم الادارة وترقية الموارد المحلية والقيام بالمشروعات العامة التى أفادت البلاد افادة خاصة وترسل نسخة عن هذه الترتيبات الى مجلس جمعية الأمم .

١٦ — تكون اللغة الفرنسية واللغة العربية الرسميتين المستعملتين فى سورية ولبنان .

١٧ — تقدم الدولة المنتدبة لمجلس جمعية الأمم تقريرا سنويا حسب طلبه تبين فيه التدابيرات التى اتخذتها أثناء السنة لتنفيذ شروط صك الانتداب ويرسل مع هذا التقرير نسخ عن جميع القوانين والأنظمة التى تسن سنويا .

١٨ — يجب أن يوافق مجلس جمعية الأمم على كل تعديل يحصل فى شروط هذا الصك .

١٩ — يستعمل مجلس جمعية الأمم نفوذه عندما تنتهى مدة الانتداب لتحافظ حكومة سورية ولبنان فى المستقبل على علاقاتهما المالية ومنها الرواتب القانونية التى منحتها ادارة سورية ولبنان أيام الانتداب .

٢٠ — توافق الدولة المنتدبة اذا حصل نزاع بينها وبين دولة ثانية داخلة فى عضوية جمعية الأمم بخصوص تغير شرط فى صك الانتداب أو تطبيقه على عرض هذا النزاع على محكمة العدل الدولى الدائمة المنصوص عليها فى المادة الرابعة عشرة من عهد جمعية الأمم هذا اذا لم يمكن حل النزاع بين الدولتين بواسطة المفاوضات » انتهى .

ملاحظة : رغم اقرار الانتداب يوم ٢٤ يوليو سنة ١٩٢٢م فانه لم يوضع موضع التنفيذ رسميا الا يوم ٢٩ سبتمبر ١٩٢٣ وذلك بسبب معارضة ايطاليا وأول تقرير قدمته فرنسا الى جمعية الأمم عن الحالة فى سورية كان فى اكتوبر ١٩٢٤م .

ملحق رقم (٣)

منشور سلطان الأطرش الأول للثورة السورية عام ١٩٢٥م

وزع يوم ٢٣ اغسطس على صحف القاهرة باسم سلطان باشا الأطرش قائد جيش الثورة فى جبل الدروز منشور طويل يبين به الغرض من ثورته ويذكر المطالب التي قام لأجلها وهو يبتدى بقوله :

يا احفاد العرب الأمجاد هذا يوم ينفع المجاهدين جهادهم والعاملين فى سبيل الحرية والاستقلال عملهم هذا يوم انتباه الأمم والشعوب فلننهض من رقادنا ولنبدد ظلام التحكم الأجنبى عن سماء بلادنا لقد مضى علينا عشرات السنين ونحن نجاهد فى سبيل الحرية والاستقلال فلنستأنف جهادنا المشروع بالسيف بعد ان اسكت القلم ولا يضيع حق وراءه مطالب .

أيها السوريون لقد اثبتت التجاريب أن الحق يؤخذ ولا يعطى فلنأخذ حقنا بحد السيف ولنطلب الموت توهب لنا الحياة ، أيها العرب السوريون تذكروا أجدادكم وتاريخهم وشهداؤكم وشرفكم القومى تذكروا ان يد الله مع الجماعة وان ارادة الشعب من ارادة الله وان الأمم المتحدة الناهضة لن تنالها يد البغى لقد نهب المستعمرون أموالنا واستأثروا بمنافع بلادنا وأقاموا الحواجز الضارة بين وطننا الواحد وقسمونا الى شعوب وطوائف ودويلات وحالوا بيننا وبين حرية الدين والفكر والضمير وحرية التجارة والسفر حتى فى بلادنا واقاليمنا .... الى السلاح أيها الوطنيون الى السلاح تحقيقا لأمانى البلاد المقدسة الى السلاح تأييدا لسيادة الشعب وحرية الأمة الى السلاح بعد أن سلب الأجنبى حقوقكم واستعبد بلادكم ونقض عهودكم ولم يحافظ على شرف الوعود الرسمية وتناسى الأمانى القومية ، نحن نبرأ الى الله من مسئولية سفك الدماء ونعتبر المستعمرون مسؤولين مباشرة عن الفتنة يا ويح الظلم ، لقد وصلنا الى ان نهان فى عقر دارنا فنطلب استبدال حاكم أجنبى محروم من المزايا الانسانية بآخر من بنى جلدته الغاصبين فلا نجاب الى طلبنا ، بل يطرد وفدنا كما تطرد النعاج الى السلاح أيها الوطنيون ولنغسل اهانة الأمة بدم النجدة والبطولة ان حربنا اليوم هى حرب مقدسة ومطالبنا هى :

اولا : وحدة البلاد السورية ساحلها وداخلها والاعتراف بدولة سورية عربية واحدة مستقلة استقلالا تاما .

ثانيا : قيام حكومة شعبية تجمع المجلس التاسيسى لوضع قانون أساسى على مبدأ سيادة الأمة سيادة مطلقة .

ثالثا : سحب القوى المحتلة من البلاد السورية وتأليف جيش محلى لصيانة الأمن .

رابعا : تأييد مبدأ الثورة الافرنسية و (حقوق الانسان) فى الحرية والمساواة والاخاء الى السلاح ولتكتب مطالبنا المشروعة هذه بدمائنا الطاهرة كما كتبها اجدادنا من قبلنا الى السلاح والله معنا والانسانية معنا ولتحيى سوريا حرة مستقلة .

قائد جيوش الثورة الوطنية السورية العام

سلطان الأطرش

ملحق رقم (٤)

نص المعاهدة الفرنسية السورية عام ١٩٣٦

ان حكومة الجمهورية الفرنسية وحكومة الجمهورية السورية :

بناء على تصريح الحكومة الفرنسية أمام عصبة الأمم بقصدها عقد معاهدة مع الحكومة السورية معتبرة ما تم من التطور فى سوريا ، ونظرا للتقدم الذى تحقق فى سبيل تثبيت سورية أمة مستقلة وبناء على اتفــاق الحكومتين على تهيئة جميع الشروط لقبول سورية فى عصبة الأمم فى مهلة ثلاث سنوات تبدأ من مراسم ابرام المعاهدة ، متبعين فى ذلك منهاجا تــام الصراحة ، قد اتفقتا لهذه الغاية على عقد معاهدة صداقة وتحالف لتحدد على أسس الحرية التامة والسيادة والاستقلال للعلاقات التى تظل قائمة بين الدولتين بعد زوال الانتداب وعلى تعيين شروط تطبيق المعاهدة وأساليبه فى الاتفاقات والبروتوكلات والمراسلات الملحقة بالمعاهدة والمعتبرة جزءا غير منفصل عنها . ولهذا الغرض قد انتــدب كل من صاحب الفخامة رئيس الجمهورية التونســية وصاحب الفخامــة رئيس الجمهوريــة الســورية مفوضين عنهما ، وهم بعد ان تدالوا أوراق اعتمادهم ووجدوها صحيحة اتفقوا على ما يلى :

المــادة الأولى : يسود بين فرنسا وسوريا سلم وصــداقة دائمان ويقوم تحالف بين الدولتين المستقلتين بالسيادة توثيقا لصداقتهما وللصلات التى تجمع بينهما للدفاع عن السلم والمحافظة على مصالحهما المشتركة .

المــادة الثانية : اتفقت الحكومتان عــلى أن تتشاورا بصورة تامة وبدون تحفظ فى كل أمر يتعلق بالسياسة الخارجية من شــأنه ان يمس بمصالحهما المشتركة ، وقد تعهدتا بأن تقفا ازاء الدول الأجنبية موقفا يلائم تحالفهما وبأن تجتنبا كل عمل من شأنه ان يسىء الى علاقتهما مع الدول الأخرى وتقيم كل منهما لدى الأخرى ممثلا سياسيا .

المــادة الثالثة : يتخذ الطرفان الساميان المتعاقدان جميع التدابير النافعة لتنقل يوم زوال الانتداب الى الحكومة السورية وحدها الحقوق

والواجبات الناجمة عن المعاهدات والاتفاقات وسـائر العقود الدوليـة التى عقدتها الحكومة الفرنسية فيما يخص سوريا أو باسمها .

المـادة الرابعة : اذا ادى خلاف بين سورية ودولة اخرى الى حالة من شأنها احداث خطر قطع العلاقـات مع تلك الدولـة تتداول عندئذ الحكومتان لتسوية الخلاف بالطرق السلمية وفقا لأحكام ميثاق عصبة الأمم أو لأى اتفاق دولى آخر ينطبق على مثل تلك الحـال ، واذا وجـد أحد الطرفين الساميين المتعاقدين نفسـه رغم التدابير المنصـوص عنها فى الفقرة السابقة مشتبكا فى نزاع يبـادر حينئذ الطرف السـامى المتعاقد الآخر فورا الى نجدته بصفته حليفا وفى حال خطر حرب محدق يتداول الطرفان الساميان المتعاقدان فورا لاتخـاذ تدابير الدفـاع الضروريـة ، ومعونة الحكومة السورية تنحصر فى ان تقدم الى الحكومة الفرنسية فى الأراضى السوريـة كل ما فى وسعها من التسهيلات والمساعدة بما فيـه استعمال السكك الحديدية ومجارى المياه والموانى والمطارات وسطوح المياه وسائر وسائل المواصلات .

المـادة الخامسة : ان مسئولية حفظ النظام فى سوريا ومسئوليـة الدفاع عن أراضيها على الحكومة السورية والحكومة الفرنسية تقبـل بتقديم مساعدتها العسكرية الى سورية مدة المعاهدة وفقـا لنصوص الاتفاق الملحق وتسهيلا لقيام الحكومة الفرنسية بالواجبات المترتب عليها عملا بالمـادة السابقة من هذه المعاهدة تعترف الحكومـة السورية بأن استقرار بقاء مسلك العبور (الترانسيت) الجوية للحكومة الفرنسية التى تجتاز الأراضى السورية وصيانتها فى جميـع الظروف هما من مصلحـة التحـالف .

المـادة السادسة : عقدت هذه المعاهدة لمدة خمس وعشرين سنة ، المدة ذاتها المحددة للمعاهدة تكون للاتفاق والعقود التطبيقية ما لم ينص فى متنها على مدة أقصر أو يتفق الطرفان الساميان المتعاقدان عـلى اعادة النظر فيها ، مجاراة لأوضاع جديدة وتتضح المفاوضات لتجديد المعاهدة أو تعديلها اذا طلبت ذلك احدى الحكومتين اعتبارا من السنة العشرين بعد وضعها موضع العمل .

المادة السابعة : تبرم هذه المعاهدة ، ويتم تبادل صكوك الابرام بأسرع ما يمكن الى عصبة الأمم ، توضع هذه المعاهدة موضع العمل ، مع الاتفاقات والعقود الملحقة بها يوم قبول سورية فى عصبة الأمم .

المادة الثامنة : حالما توضع هذه المعاهدة موضع العمل تسقط عن الحكومة الفرنسية المسئوليات والواجبات المترتبة عليها فيما يتعلق بسوريا سواء من جراء مقرارات دولية او من اعمال عصبة الأمم وما يبقى من هذه المسئوليات والواجبات ينتقل وتلقاء نفسه الى الحكومة السورية .

المادة التاسعة : كتبت هذه المعاهدة بالفرنسية والعربية وكلا النصين رسمى ويعول على النص الفرنسى

اذا حصل اختلاف بشأن هذه المعاهدة أو تطبيقها ولم يمكن حسمه نهائيا عن طريق المفاوضة مباشرة فالطرفان الساميان المتعاقدان متفقان على أن يلجأ الى اصول المصالحة والتحكيم المنصوص عليها فى ميثاق عصبة الأمم .

ثبت المصـادر والمراجع

اولا : الوثـائق :

دار الوثائق القومية بقلعة صلاح الدين بالقاهرة محافظ عابدين — محفظة رقم ٢٥٩ .

ثانيا : المصـادر والمراجع العربيـة :

احمـد عزت عبد الكريم : دراسـات فى تاريخ العرب الحديث — بيروت ، دار النهضة العربية ، ١٩٧٠ .

اسـد رسـتم : المحفوظات الملكية المصرية — بيان بوثائق الشـام — المجلد الأول ١٢١٥ — ١٢٤٧هـ / ١٨١٠ — ١٨٣٢م بيروت ، ١٩٤٠ .

اسماعيل ياغى ومحمود شاكر : تاريخ العالم الاسلامى الحديث والمعاصر ٨٩٧ — ١٤٠٠هـ .

اميـل البسـتانى : زحف العروبة — ترجمة عبد اللطيف ابو شرارة — بيروت ، دار الكتاب اللبنانى ، ١٩٦١م .

امـين سـعيد : الثورة العربية الكبرى ج ١ ، القاهرة ، دار احيـاء الكتب العربية ، ١٩٣٥م .

بيـير رونـوفن : تاريخ القرن العشرين — ترجمة نور الدين حاطوم — بيروت ، دار الفكر الحديث ، ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م .

جورج انطونيـوس : يقظة العرب — ترجمة على حيدر الركابى — دمشق مطبعة الترقى ، ١٣٦٥هـ / ١٩٤٦م .

حسـن الحـكيم : الوثائق التاريخية المتعلقة بالقضـية السوريـة فى العهدين العربى الفيصلى والإنتداب الفرنسى ١٩١٥ — ١٩٤٦م بيروت ، دار صادر ، ١٩٧٢م .

حنـا ابى راشـد : جبل الدروز ، القاهرة ، مكتبة زيدان ، الطبعـة الأولى ، ١٩٢٥ .

خيرية قاسمية : الحكومة العربية فى دمشق ١٩١٨ — ١٩٢٠ ، بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، الطبعة الثانية ١٩٨٢ .

ذوقان قرقوط : المشرق العربى فى مواجهة الاستعمار — قراءة فى تاريخ سوريا المعاصر ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٧ .

زاهية قدورة : تاريخ العرب الحديث ، بيروت ، دار النهضة العربية ، ١٩٧٥م .

شاكر الدبس : الدول العربية فى منظمة الأمم المتحدة ، دمشق دار الانشاء ، ١٩٤٨م .

صلاح العقاد : المشرق العربى المعاصر ، القاهرة ، الأنجلو المصرية ١٩٧٩م .

عبد الرحمن الرافعى : عصر محمد على ، القاهرة ، النهضة المصرية ، الطبعة الثالثة ، ١٩٥١م .

عز الدين اسماعيل وآخرون : ساطع الحصرى حجة الفكر القومى المعاصر ، بيروت ، دار العودة ، ١٩٧٥م .

عمر الديراوى : الحرب العالمية الأولى ، بيروت ، دار العلم للملايين الطبعة الثانية ، ١٩٨٢ .

عمر عبد العزيز : تاريخ المشرق العربى ١٥١٦ — ١٩٢٢ ، بيروت ، دار النهضة العربية ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .

عمر أبو النصر : سورية ولبنان حتى أوائل القرن التاسع عشر ، بيروت ، ١٩٢٧ .

كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية — ترجمة أمين فارس ومنير البعلبكى — بيروت ، دار العلم للملايين ، الطبعة الأولى ، ١٩٤٩م .

لوكا زهير زوير : ألمانيا الهتلرية والمشرق العربى — ترجمة احمد عبد الرحيم مصطفى ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٧١م .

محمد بن ايـــاس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور ، حـ ٣ ، القاهرة ، المطبعة الأميرية ببولاق ، ١٣١٢هـ .

محمـــد بديـــع شريف وآخرون : دراسات تاريخية فى النهضة العربيـــة الحديثة ، القاهرة ، جامعة الدول العربية ، د.ت .

محمـــد ســـعيد اطلس : تاريخ العرب ، جـ ٣ ، بيروت ، دار الأندلس .

محمد فـــؤاد شبـــكرى : الحملة الفرنسية وظهور محمد على ، القاهرة ، مطبعة المعارف ، ١٩٤٢م .

محمـــد كـــرد عـــلى : خطط الشـــام جـ ٣ ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م .

محمود صـــالح منسى : حركة اليقظة العربية فى المشرق الآسيوى ، القاهرة دار الفكر العربى ، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م .

وليم لانجـــر : موسوعـــة تاريخ العالم — ترجمـــة عبد المنعم أبو بكر ، القاهرة ، النهضة المصرية ، ١٩٧١م .

ثالثا : المصادر والمراجع الأجنبيـــة :

1 — Antonius, G. : The Arab Awakening 1938 .

2 — Wavell : Allenby, a study in Greatness, 1940 .

رابعا : الدوريـــات :

السياســـة الدوليـــة : يناير ١٩٧٦ .

المقتطف : يونيو — ديســـمبر ١٩٣٨ .

(٤)

تاريخ المملكة العربية السعودية الحديث والمعاصر

ينقسم التاريخ السعودى الى ثلاثة ادوار رئيسية هى :

١ ـ **الدور الأول :** ويبدأ فى عام ١١٥٧هـ / ١٧٤٤م وهو العام الذى تأسست فيه الدولة السعودية الأولى على اثر اتفاق الدرعية بـين الأمير محمد بن سعود ، والشيخ محمد بن عبد الوهاب وينتهى ذلك الدور تاريخيا فى عام ١٢٣٣هـ / ١٨١٨م وهو العام الذى سقطت فيه الدرعية عاصمة الدولة السعودية الأولى على يد ابراهيم باشا .

٢ ـ **الدور الثانى :** ويبدأ فى عام ١٢٣٥هـ / ١٨١٩م أى بعد سقوط الدرعية ، وبداية حكم الأمير مشارى بن سعودالكبير ويشمل عهود تركى ابن عبد الله ، وولده فيصل بن تركى ، وخالد بن سعود ، وعبد الله بن ثنيان ، وعبد الله بن فيصل ، وسعود بن فيصل وينتهى برحيل الأمير عبد الرحمن بن فيصل الى الكويت عام ١٣٠٩هـ / ١٨٩١م بعد استيلاء آل الرشيد حكام حائل على الرياض .

٣ ـ **الدور الثالث :** ويبدأ من عـام ١٣١٩هـ / ١٩٠٢م أى منـذ استرداد الأمير عبد العزيز آل سعود الرياض من حكم آل الرشيد بعد قتال مع عدو اكثر منه مالا ونفرا ، صارع فيه بفئة قليلة فئة كثيرة فكتب الله له الفوز والغلبة ، ويبدأ هذا الدور بالملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود من ١٣١٩ الى ١٣٧٣هـ المـوافق ١٩٠٢ ـ ١٩٥٣م ثم الملك سعود بن عبد العزيز من ١٣٧٣ الى ١٣٨٤هـ الموافق ١٩٥٣ / ١٩٦٤م ثم الملك فيصل بن عبد العزيز من ١٣٨٤هـ الى ١٣٩٥هـ الموافق ١٩٦٤ ـ ١٩٧٥م ثم الملك خـالد بن عبد العزيـز من ١٣٩٥ الى ١٤٠٢هـ فالملك فهد بن عبد العزيز خادم الحرمين الشريفين .

وقبل أن نعرض لهذه الأدوار نرى مـن الضرورى توضيح صورة العالم الاسلامى قبيل ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وقيـام الدولة السعودية الأولى .

احوال العالم الاسلامى قبيل ظهور الدعوة :

مر العالم الاسلامى قبيل ظهور الدعوة بمرحلة من الضياع ، بعد أن أصبح المسلمون فى حيرة من أمرهم نتيجة لالتباس الحق بالباطل وظهور نوع من الوثنية تمثل فى تقديس الأولياء والصالحين والتبرك بالأحجار وأوراق الأشجار .

وقد وصف أحد المؤرخين احوال العالم الاسلامى فى ذلك الوقت وصور ما يدور بداخله فقال :

« واستغرقت الأمم الاسلامية فى اتباع الأهواء والشهوات وماتت الفضيلة فى الناس ، وساد الجهل ، وانطفأت قبسات العلم الضئيلة ، وانقلبت الحكومات الاسلامية الى مطايا استبداد وفوضى واغتيال » كما وصف أحواله الاقتصادية بقوله « غلت الأيدى وقعد عن طلب الرزق ، وكاد العزم يتلاشى فى نفوس المسلمين ، وبارت التجارة بوارا شديدا ، واهملت الزراعة أيما اهمال »[١] .

وتحدث عن الحالة الدينية قائلا : « أما الدين فقد غشيته غاشية سوداء ، فألبست الوحدانية التى علمها صاحب الرسالة الناس سجفا من الخرافات ، وقشور الصوفية ، وخلت المساجد من أرباب الصلوات ، وكثر عدد الأدعياء الجهلاء ، وطوائف الفقراء والمساكين يخرجون من مكان الى آخر يحملون فى أعناقهم التمائم والتعاويذ والسبحات ، ويوهمون الناس بالباطل والشبهات ، ويرغبونهم فى الحج الى قبور الأولياء ، ويزينون للناس التماس الشفاعة من دفناء القبور . وغابت عن الناس فضائل القرآن . فصار يشرب الخمر والأفيون فى كل مكان ، وانتشرت الرذائل ، وهتكت ستر الحرمات على غير خشية ولا استحياء »[٢] واطبق على العالم الاسلامى فى ذلك الزمان جهل مطبق وجاهلية حقة ففى مصر ذهب الناس الى قبر السيد البدوى ، وغيره من قبور الصالحين والزهاد المشهورين يستغيثون ويندبون ، ويسألونهم المدد ، ويستحثونهم على كشف

---

(١) لوثروب ستودارد : حاضر العالم الاسلامى ج ١ — ترجمة عجاج نويهض — بيروت ، دار الفكر للطباعة والتوزيع ص ٢٥٩ .
(٢) نفسه ص ٢٥٩ — ٢٦٠ .

المصائب ، ويتداولون بينهم حكايات ، وينسبون اليهم كرامات ، وما الى ذلك من الاباطيل والهذيان الملىء بالزور والبهتان[٣] وكانوا يتبركون ببوابة المتولى الملؤة بالمسامير ويعقلون بها الشعور والخيطان ليذكر بالخير من علقها[٤] كما كان بعض المشعوذين يكتبون للناس الأحجبة والطلاسم ، ويتقاضون منهم الأموال فى مقابل ذلك .

وفى حلب ، ودمشق وغيرها من بلاد الشام بالغ اهالى تلك البلاد فى العكوف على تقديم القرابين والنذور ، والمجاهرة بالفسق والفجور ، ووضع الخراج على البغايا ، وأخذ المكوس[٥] .

وفى العراق كان الناس يؤمون قبر الامام أبى حنيفة ومعروف الكرخى ، والشيخ عبد القادر ، ويتوجهون اليهم بالدعاء والاستغاثة وهم يبكون ويتضرعون ، ويظهرون من التعظيم والخضوع اعظم مما يتوجهون به الى الله فى الصلاة كما كان البعض يعتبر أن الصلاة فى مشهد على ابن أبى طالب رضى الله عنه وزيارة قبره افضل من سبعين حجة[٦] .

اما فى الجزيرة العربية فان الأحوال لم تكن تختلف كثيرا ولا تقل بؤسا عن غيرها من البلدان ففى نجد ابتعد الناس عن تعاليم الاسلام ، وتركوا أوامره جانبا ، وحل محلها البدع والخرافات التى ساعد انتشار الجهل على دعمها[٧] حتى أوشكت معانى التوحيد أن تزول من قلوب الناس ، كما أوشك الباطل أن يتغلب على الحق ، واقتربت هذه البلاد من الهاوية والضلال ، فلم يبق لذكر الله اثر الا فى أفواههم وأمست تعاليم الدين بالنسبة لهم شىء غامض فلم يبق لهم من القرآن سوى اسمه ، كما تناسوا الزكاة والصيام وحج البيت وغير ذلك من أمور الدين ، وبدأت العقائد الفاسدة المنافية لأمور الدين تسيطر عليهم فاستغاثوا بالعفاريت

---

(٣) حسين بن غنام : تاريخ نجد جـ ١ — تحقيق ناصر الدين الأسد — القاهرة ، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م ص ١٥ .
(٤) أحمد أمين : فيض الخاطر جـ ٥ ، القاهرة ، النهضة المصرية ، الطبعة السادسة ص ١٩٦ .
(٥) ابن غنام : المرجع السابق جـ ١ ص ١٨ .
(٦) نفســـه جـ ١ ص ١٨ — ١٩ .
(٧) أحمد أمين : المرجع السابق جـ ٥ ص ٢٠٢ .

والجن وكانوا يذبحون لها الذبائح ، ويضعون لها الأطعمة فى زوايا البيوت حتى تشفى مرضاهم ويجلب النفع لهم[٨] وكانوا يتبركون بقبور الأموات ويقدمون لها النذور ، وكانوا يطلبون من الأشجار والأحجار قضاء حاجاتهم ، ويتوسلون اليها لترفع عنهم كروبهم كما كانوا يحلفون بغير الله فى أيمانهم ومن أمثلة ذلك أنه كان فى قرية الجبيلة القريبة من مدينة العينية قبة لقبر زيد بن الخطاب يتضرع الناس عندها لقضاء حاجاتهم وتحسين أحوالهم .

وكان فى الدرعية كهف يقدسه الناس ، ويزعمون أنــه كان ملجأ لبنت أحد الأمراء التى فرت هاربة من تعذيب أحد الفاسقين لها فاتجهت الى أحد الجبال الصخرية لتحتمى فيــه وأصبح عــلى هيئة كهف فآوت اليــه[٩] .

وفى منفوحة كانت العوانس من النسوة يتوسلن « بفحــل نخل » لاعتقادهن أن من تؤمه منهن تتزوج لعامها ، فكانت الفتاة منهن تخاطبــه « يا فحل الفحول ارزقنى زوجا قبل الحول » .

وكان أهل نجد أيضا يعتقدون فى شجرة تدعى شجرة « الذيب » تأتى اليها النساء اللاتى يرزقن بمواليد من الذكور ، ويعلقن عليها الخرق البالية لعل أولادهن يسلمن من الموت والحسد ، كما كانت تفد اليها النساء اللاتى يردن الزواج والعواقر ليرزقن بالأولاد ، والعــوانس ليأتى لهن الخطــاب .

وفى الخرج كانوا يعتقدون فى رجل أعمى اسمه « تاج بن شمسان » بأنه يجلب النفع والضر ، وكانوا يذهبون اليه ، وينسجون حوله الأساطير والخرافات ، ويعتقدون فيه الضر والنفع ويصرفون له النذور .

ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل كان أهل نجد يذبحون الذبائح ،

---

(٨) عثمان بن بشر : عنوان المجد فى تاريخ نجد ، بيروت ص ١٦ .

(٩) حسين خزعل : حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٣٩١هـ — ١٩٧٢م ص ٤٢ .

ويرمون لحومها فى البرارى زاعمين ان الجن والشياطين اذا اكلتها يشفى مرضاهم[١٠] .

وهكذا يتضح أن نجد كانت منغمسة فى الشرك والبدع والخرافـــات التى ينكرها الاسلام ، وتبتعد كل البعد عن العقيدة الصحيحة .

وأما الحجاز فقد نالت الأمور منها ما نالته من غيرها من مدن المسلمين فصـــار الحج ضربا من المستهزءات[١١] ، وكان بعض الحجيج يشربون التنباك بين الصفا والمروة ، ويصحبون معهم الزمـــور والطبول[١٢] . يضاف الى ذلك ما حدث من أمور كثيرة توضح انحـــراف العقيدة منها ما كان يفعل عند قبر خديجة أم المؤمنين رضى الله عنها من اختلاط الرجال والنســـاء يدعونها من دون الله ، ويطلبون منها الاغاثة لرفـــع الشدائد والكروب .

وفى المدينة المنورة كان الزائر يفعل عند قبر النبى صلى الله عليه وسلم من الأمور الشركية ما لا يمكن حصره من تقبيل مبانى الحجرات المقامة على قبره وقبرى صاحبيه والتمسح بها ويفعلون ما يشابه ذلك عند قبر حمزة رضى الله عنه ، وكذا عند بقية قبور شهداء احد ، يضاف الى ذلك ما كانوا يفعلونه من الانحناء وتعفير الخدود والركوع لغير الله تعـــالى .

وفى جدة كان يوجد قبر يبلغ طوله خمسة وسبعون قدما زعم الناس أن حواء ام البشر دفنت بداخله[١٣] وكان له سدنة يجمعون من زائريه كل عام مبالغ هائلة من المـــال ، وفى الطائف كان المنحرفون عن العقيدة يأتون قبر عبد الله بن عباس رضى الله عنه فيتضرعون اليه ، ويستغيثون به ، ووصل الأمر بهؤلاء أن الباعة عندما يأتون الى السوق فى الصباح كانوا ينادون « اليوم على الله وعليك يا ابن عباس » ويسألونه حاجتهم[١٤] .

---

(١٠) عبد الرحيم عبد الرحمن : الدولة السعودية الأولى ، القاهرة ، دار الكتاب الجامعى ١٩٧٩ ص ٢٣ .

(١١) لوثروب ستودارد : المرجع السابق ص ٢٥٩ — ٢٦٠ .

(١٢) عبد الرحمن الجبرتى : عجائب الآثار فى التراجم والأخبار ج ٤ ، القاهرة ، المطبعة العامرة الشرفية ، ١٣٢٢هـ ص ٥٤ .

(١٣) أمين الريحانى : ملوك العرب ج ١ ص ٥٦ .

(١٤) عبد الله الشبل : مذكرة فى تاريخ نجد ص ٥٤ — ٥٥ .

وفى بلدان اليمن تفشت انواع الشرك والأباطيل ، ومن ذلك ما كان يفعله أهل صنعاء عند قبـر الهادى من دعـاء واستغاثة واهـل برع ، وما يقومون به من تقديس للبرعى يستعينون بـه ويشكون اليه الحال ويستغيثون بـه .

وفى الحديدة كان أهلها يقومون بتعظيم « الشيخ صديق » حتى اذا أراد أحدهم ركوب البحر أو النزول منه يأتى اليه مسلما ، وطالبا منـه الاذن .

وفى حضرموت والشحر ويافع وعدن كان عندهم قبر العيدروس الذى يفعل عنده من السفه والضلال ما تنفر منه النفوس حيث يقول قائلهم : « شىء لله يا عيدروس ، شىء لله يا محى النفوس » .

أما عن بلدان الساحل فكان عندهم من ذلك الكثير فعند أهل المخا كانوا يستغيثون ويدعون « عـلى بن عمر الشاذلى » ويقصـدون قبره زرافات ووحدانا[١٥] .

وفى نجران وما حولها كان أهـل هـذه المنطقة يعظمون « السيد المكرمى » ويقدسونه .

وهكذا وصلت الأحوال بالمسلمين قبيل ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، عقائد ومفتريات تبعد الناس عن الاله الواحد القهـار ، وتشرك معه غيره ، وتسىء الى النفـوس ، وتجعلها ذليلـة وضيعة ، وتجردها من فكرة التوحيد وتفقدها التسامى[١٦] واصبح العالم الاسلامى فى حاجة الى مصلح يخرج هذه البـلاد من وهدتها ، وخـلال ذلك ظهر الشيخ محمد بن عبد الوهاب بدعوته الاصلاحية .

الشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعوته الاصلاحية :

بعد أن لمس الشيخ محمد بن عبد الوهاب ضعف المسلمين وانحرافهم عن الدين لم يطق صبرا على احتمال ذلك ، ورأى انه لا سبيل للاصلاح

---

(١٥) ابن غنام : المرجع السابق ص ١٦ — ١٧ .
(١٦) أحمد أمين : فيض الخاطر جـ ٥ ، ص ١٩٦ .

الا بالرجوع الى مبادىء الاسلام الأولى وذلك بالعودة الى كتاب الله وسنة رسوله والسير على طريق السلف الصالح ، ومحاربة البدع والخرافات التى أدخلت على الاسلام ، ومن هنا طالب الناس بالابتعـــاد عن تقديس الأولياء ، وعمل على تخليص الامة الاســـلامية ، والعقيدة المحمديـــة من البدع والخرافات ، والتمسك بالتوحيد بعد أن اختلطت السنن بالبدع ، فلا مكان للتبرك بالأشخاص والتماس القربى من الله بزيارتهم ، ولا مكان للبدع التى يتبرأ منها الدين ولا مكان للأضرحـــة وما تسببه من وثنية[١٧] خاصـــة وأن الرسول صلى اله عليه وسلم قد حـــارب بدعـــة تقديس الهياكل وعبادة الأصنام الموروثة من الجاهلية[١٨] .

يضاف الى ذلك أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب قـــرن عمله هذا بمحاربة المظاهر الخادعة فى الملبس وطريقة العيش اللينة ، واتباع الملذات الدنيوية التى تفقد الرجل خشونته وتبعده عن طريق الكفاح والجهـــاد فى سبيل الدين[١٩] .

ومن اجل ذلك تركزت مبادىء دعوة الشيخ على هدفين رئيسيين :

(أ) الدعوة الى التوحيد .

(ب) الاجتهـــاد .

وبالنسبة للهدفالأول فقد ارتكز على مســـألة التوحيد ، وأن تكون الدعوة لله وحده لا شريك له ، وافراد العبادة كلها لله فلا أصـــنام ولا اوثان ، ولا عبادة آباء وأجداد ، ومن اجل هـــذا سمى الشيخ واتباعه بالموحدين[٢٠] .

---

(١٧) المنهل : العدد ٤٧٢ فى ذى الحجة ١٤٠٩ مقال للأستاذ محمد العلمى تحت عنوان « الحركة الســـلفية ودورها فى نشر الوعى الدينى » ص ١٣ .

(١٨) محمد أحمد العقيلى : حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وآثاره العلمية ، المملكة السعودية ، نادى ابها الأدبى ١٤٠٤هـ ص ٣٢ .

(١٩) خزعل : المرجع السابق ص ٦٧ .

(٢٠) أحمد أمين : المرجع السابق ص ١٩٤ — ١٩٥ .

وقد اجتهد الشيخ وأصحابه فى تعريف أهل نجد بأصول التوحيد ، وأمرهم بتعلمها وهى معرفة الله تعالى بآياته ومخلوقاته الدالـة عـلى ربوبيته والوهيته مثل الشمس والقمر والنجوم والليل والنهار والسحاب المسخر بين السماء والأرض موضحا أن معرفة الاسلام تعنى تسليم الأمـر لله ، والانقياد له بالطاعة ، والامتناع عن نواهيه ومعرفة النبى صلى الله عليه وسلم ، ومعرفة اسمه ومبعثه وهجرته ثم معرفة البعث ، وأن من أنكره كافر ، ومعرفة دين محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو التوحيد ، وتجنب الشرك بالله[٢١] .

وقد جد الشيخ فى تعريف الناس بأصول التوحيد فألف كتابا لتوضيح دعوته وأهدافها أسماه « التوحيد الذى هو حق الله على العبيد » .

وفى البداية لم تلق دعوة الشيخ ومحاربة نواقضها من الأمور الشركية آذانا صاغية ، وكان من أشد خصومه سليمان بن سحيم الذى عارض هذه الدعوة ، وحاول تنفير الناس منها ومن مبادئها[٢٢] .

وقد دارت بين الشيخ ومعارضيه مراسلات ومكاتبات حاول فيها اقناعهم بصحة دعوته ، وتمسكه بكتاب الله وسنة رسوله وقد أكد ذلك فى احدى رسائله قائلا « لست ولله الحمد أدعو الى مذهب صـوفى ، أو فقيه متكلم أو امام من الائمة .. بل أدعو الى الله وحده لا شريك له وأدعو الى سنة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — التى أوصى بها أول أمته وآخرهم » كما اننى « متبع ولست بمبتدع عقيدتى »[٢٣] .

وبالنسبة لثانى المبادىء التى ارتكزت عليها الدعوة وهو الاجتهاد الذى لا يخرج عن نصوص القرآن والسنة وآثار السلف الصالح فقد ذكر الشيخ أن كل مستوف لأدوات الاجتهاد له الحق فى أن يجتهد ، ويستخرج

---

(٢١) عثمان بن بشر : المصدر السابق ص ٢٣ — ٢٤ .
(٢٢) مديحة درويش : تاريخ الدولة السعودية حتى الربع الأول من القرن العشرين ، جدة ، دار الشروق ، ١٤٠٠هـ ، ص ٢٢ .
(٢٣) جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية : مؤلفات الشيخ محمد ابن عبد الوهاب — القسم الخامس ، الرسائل الشخصية ، رسالة من الشيخ الى عبد الله بن محمد بن عبد اللطيف ص ٢٥٢ .

من الأحكام على حسب فهمه لكتاب الله وما صح من السنة[٢٤] ولم يلتزم الشيخ واتباعه بمذهب احمد بن حنبل فى كل الأحوال فنجد انه فى بعض المسائل الفرعية المؤيدة بنص من الكتاب والسنة يأخذ من الائمة الثلاثة الآخرين ويترك راى ابن حنبل كما حدث فى مسائل ارث الجد والأخوة[٢٥] .

اتصـــال الشيخ بآل سعود فى الدرعية :

وبعد أن تعرض الشيخ للعديد من المتاعب فى حريمـــلاء والعيينـــة وغيرها ذهب فى عام ١١٥٨هـ الى الدرعية حيث قابل الأمير محمد بن سعود وشرح له دعوته ، وقد قبل الأمير ما قاله الشيخ مرحبا به . وبايعه وتعاهد الرجلان على الجهاد والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وعلى اقامة الشعائر ونشر الدعوة باللسان عند من يقبلها ، وبالسيف عند من لم يقبلها[٢٦] . واستقر الشيخ بالدرعية واتخذ له منزلا قريبا من دار الأمير ، ومنذ ذلك الوقت بدات الوفود من كل الامارات تقبل على الدرعية لتنهل من علوم الشيخ وافكاره[٢٧] ، كما بايعه أهل الدرعية وبقدوم الشيخ محمد ابن عبد الوهاب الى الدرعية اصبحت منتدى فكريا ودينيا ، تصدى الشيخ من خلاله للبدع والخرافات ، كما بدا فى مراسلة اهالى البلدان المجـــاورة مبينا لهم دعوته ومعنى التوحيد فمنهم من اتبعه ، ومنهم من عارضه[٢٨] وانتهى الأمر بدخول مدن وقرى نجد فى الدعوة بعد حروب عديدة بـــين الدرعية والرياض ، ثم انتشرت الدعوة الى باقى أجزاء الجزيرة العربية وخرجت اشعاعاتها الى انحاء مختلفة من العالم الاسلامى .

وبعد أن امتد نفوذ الدولة السعودية إلى الحجاز ، وأحدثت الدعوة فزعا لدى مناهضيها ، حاولوا مقاومتها فشنوا عليها حربا نفسية وفكرية لا هوادة فيها بهدف ابعاد المسلمين عنها وايغار صدورهم ضدها فذكروا

---

(٢٤) احمد أمين : فيض الخاطر ص ١٩٦ .
(٢٥) عبد الرحيم عبد الرحمن : المرجع السابق ص ٤١ .
(٢٦) عمر عبد العزيز : تاريخ المشرق العربى ، بيروت ، دار النهضة العربية ١٤٠٥هـ ص ٢١٥ .
(٢٧) مديحة درويش : المرجع السابق ص ٢٤ .
(٢٨) ابن بشر : المرجع السابق ص ٢٤ .

أن اتباع الدولة عطلوا سبل الحج الى الحرمين الشريفين[٢٩] ، وانه من الواجب التخلص من هذه الدعوة استنقاذا للأماكن المقدسة من سيطرتهم رأت الدولة العثمانية ضرورة التخلص من الدعوة ورجالاتها ، ومن اجل ذلك استعانت بالعديد من ولاتها لتنفيذ هذه المهمة ، مثل والى دمشق وبغداد ، ولما فشلا فى القضاء على رجالات الدعوة طلبت الدولة العثمانية من محمد على ارسال قواته الى الحجاز فجرد عددا من الحملات المتتالية لهذا الغرض اسند قيادة بعضها لابنيه طوسون وابراهيم تارة ، وقاد بعضها تارة أخرى حتى انتهى الأمر بسقوط الدرعية وانتهاء الدولة السعودية الأولى فى ١٢٣٣هـ الموافق ٩سبتمبر ١٨١٨ وعلى الرغم من ذلك فان محمد على لم يستطع القضاء على المبادىء التى نادت بها الدعوة ، ولم يتمكن من انتزاعها من قلوب الناس خاصة وأنها مبادىء عقائدية وسرعان ما أصبحت هذه المبادىء بمثابة الركيزة التى قامت عليها الدولة السعودية الثانية[٣٠] يضاف الى ذلك أن الدعوة استطاعت أن تهز الركود التى أصاب العالم الاسلامى وأن تنقل أفكارها الى الكثير من بلدانه ، لهذا لم يكن من الغريب أن تتأثر بها معظم الحركات الاصلاحية التى ظهرت فى العالم الاسلامى فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين[٣١] .

قيام الدولة السعودية الثانية :

بعد سقوط الدولة السعودية الأولى ظهرت العديد من الانتفاضات ضد الوجود العثمانى فى نجد وملحقاتها ، ولم يهدأ آل سعود فى نضالهم لاستعادة ملكهم وكانت أولى هذه الحركات حركة الأمير مشارى بن سعود

---

(٢٩) حول الرد على ذلك واثبات عدم صحته انظر مقالنا المنشور فى العدد الأول من مجلة جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية والمعنون « دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب فى كتابات المؤرخ المصرى عبد الرحمن الجبرتى » ص ٣١٠ — ٣١٢ .

وانظر أيضا عبد الرحمن الجبرتى : عجائب الآثار فى التراجم والاخبار جـ ٤ ، القاهرة ، المطبعة الشرفية ص ٥٤ .

(٣٠) عبد الرحيم عبد الرحمن : من وثائق شبه الجزيرة العربية فى عصر محمد على . قطر ، دار المتنبى ١٤٠٢هـ ص ١٧ .

(٣١) عمر عبد العزيز : المرجع السابق ص ٢١٧ .

الذى استطاع أن ينجو من الاسر ، ويعود الى الدرعية حاملا لواء الثورة هناك ولكنه قتل بخديعة دبرت له[٣٢] وخلال ذلك تمكن الأمير تركى بن عبد الله بن سعود من العودة الى الدرعية مستغلا فرصة تذمر أهل نجد من العثمانيين ، وجمع حوله الأنصار واستطاع هزيمة قوات ابن معمر الموالية لمحمد على[٣٣] ، ونظرا لتضييق العثمانيين الخناق على الأمير تركى توجه الى الرياض واتخذ منها عاصمة جديدة له بدلا من الدرعية وكان ذلك فى عام ١٢٢٩هـ[٣٤] ثم بدأ فى توطيد حكمه فاستولى على الاحساء والقطيف وغيرها من المناطق التى كانت تحت حكم الدولة السعودية الأولى[٣٥] ولكن الأجل لم يمهله طويلا حيث دبر له ابن أخته مشارى بن عبد الرحمن مؤامرة أدت الى قتله فى عام ١٢٣٤هـ ، فتولى الحكم بعده ابنه فيصل بن تركى الذى يعتبره العديد من المؤرخين المؤسس الحقيقى للدولة السعودية الثانية .

ونتيجة لتمكن فيصل بن تركى من السيطرة على زمام الأمور انزعج الاتراك ومحمد على من ذلك ، وارسلوا حملة عسكرية الى الرياض استطاعت القبض على الأمير فيصل وارسلته الى مصر كرهينة ، وبعد ذلك تم تعيين الأمير خالد بن سعود أميرا على الرياض ونجد من قبل العثمانيين[٣٦] ونتيجة لنفور الناس من هذا الأمير الذى كان محمد على يسيره كيفما يشاء[٣٧] سيطر عبد الله بن ثنيان على الحكم ، وخلال ذلك تمكن فيصل بن تركى من الفرار من مصر والوصول الى نجد فانضم اليه الأهالى وساعدوه فى الوصول الى الحكم الذى دام ما يقرب من ثلاثة وعشرين عاما

---

(٣٢) سيد محمد ابراهيم : تاريخ المملكة العربية السعودية ص ١٦١ — ١٦٢ .

(٣٣) عبد الفتاح ابو علية : الدولة السعودية الثانية ، الرياض ، مؤسسة الأنوار للنشر ١٤٠١هـ / ١٩٨٠م ص ٣٠ .

(٣٤) عثمان بن بشر : عنوان المجد فى تاريخ نجد حـ ٢ ، الرياض ، مكتبة الرياض الحديثة ، د.ت ص ١١ — ١٢ .

(٣٥) سيد ابراهيم : المرجع السابق ص ١٦٥ .

(٣٦) الأمير ضارى بن الرشيد : نبذة تاريخية عن نجد ، الرياض ، دار اليمامة ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م ص ٤٠ .

(٣٧) أبو عليه : المرجع السابق ص ٦٦ — ٦٧ .

وقـد تمكن الأمـير فيصل خلال هذه الفترة من اجراء سلسلة من التغيرات الاداريـة كما قام بقمع حركات التمرد التى قامت ضده ، وأقام العـدل ونشر الأمن ، وبسط نفوذه على معظم انحاء الجزيرة العربية[٣٨] فيما عدا الحجاز وقد خلف اربعـة ابناء هم عبد الله ، وسعود ، وعبد الرحمن ومحمد .

وبعد أن توفى الأمير فيصل بن تركى فى عـام ١٢٨٢هـ / ١٨٦٥م تولى الحكم بعده ابنه الأكبر عبد الله ، ولكن اخوته نازعوه فى الحـكم مما ادى الى قيام الحـرب الأهليـة بينهم وتقلص نفوذه وانحصـاره فى الرياض ، ولم يقتصر الأمر على ذلك بل ثار أبناء أخيه سعود عليـه ، واستولوا على الرياض ووضعوه فى السجن . وقد استغل هذه المنافسة خصوم آل سعود من الترك وآل الرشيد ، فقد انتهز محمد بن الرشـيد أمير حائل هذه الفرصة وقام بمساندة الأمير عبد الله وأخرجه من سجنه ، واجبر ابناء الأمير سعود على الخروج من الرياض الى الخرج ، وترك فى الرياض حامية تابعة له .

وبعد وفاة الأمير عبد الله فى عام ١٣٠٦هـ تولى الأمير عبد الرحمن الفيصل الحكم ، وحاول أن يعيد للامارة هيبتها ولكن ابن الرشـيد لم يمكنه من ذلك حيث ضم الرياض الى امارته فى عـام ١٣٠٩هـ[٣٩] ولـما حاول الأمير عبد الرحمن استرجاع المدينة لم يتحقق له النجاح ، ومن هنا آثر الهجرة من وطنه ، واتجه ومعه عشرون من انصاره ، وابنـه عبد العزيز واخوه محمد الى الجنوب ، ثم تابع هجرته الى واحة الحريق ثم الى صحراء الربع الخالى ، ولـما لم تستقم له الأمور هناك ، رحل هو واسرته الى الكويت[٤٠] . وقد ظل الأمير عبد الرحمن واسرته هناك الى ان نجح ابنه عبد العزيز فى استرداد الرياض من آل الرشيد عام ١٩٠٢م ، ووضع أساس الدولة الجديدة[٤١] .

---

(٣٨) عبد الكريم غزال : المملكة العربية السعودية أمام قدرها الكبير ، دمشق ، المطبعة التعاونية ١٤٠٠ — ١٤٠١هـ ص ٨٦ .
(٣٩) أحمد الجاسر : مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ ص ١١٢ .
(٤٠) رابح لطفى جمعة : حـالة الأمن فى عهد الملك عبد العزيز ، الرياض ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م ص ٢٣ .
(٤١) نفسه ص ٢٤ .

الملك عبد العزيز وتوحيد شبه الجزيرة العربية :

كان اهل الجزيرة العربية قبيل الملك عبد العزيز منقسمين علـى انفسهم الى مناطق مختلفة وعصبيات متنافرة تتنازع وتتطاحن فيما بينها ، وتنشب الضغينة والشحناء أظفارهم فى كيان مجتمعهم . وبعد أن تمكن الملك عبد العزيز من استرداد ملك آبائه وأجداده باسترداد الرياض من آل الرشيد فى عام ١٣١٩هـ بدأ ينطلق منها لتوحيد شبه الجزيرة وجمعها فى اسرة واحدة وقد صـادف الملك عبد العزيز العـديد من الصعوبات والشدائد ومع ذلك لم تلن له عزيمة فقاد الجيوش وخاض المعارك حتى بسط سلطانه على معظم اطرافها ، ومضى بها نحو الوحـدة والاستقرار وفيما يلى نعرض لدور الملك عبد العزيز فى توحيد الجزيرة العربيـة ، ومغالبته لكافة الظروف بكل ايمان وقوة .

ضم القصـيم :

بعد أن تم للملك عبد العزيز فتح الرياض ، عزم على الاستيلاء عـلى المدن التى فى جنوبها ، فاستولى على الخرج والأفلاج ، والحوطة ووادى الدواسر[٤٢] ، بعد هزيمته لابن الرشيد .

وفى أواخر ذى الحجة ١٣٢١هـ / ١٩٠٣م اتجه الجيش السـعودى نحو عنيزة التى كانت ترابط فيها قوات ابن الرشيد المؤيدة من قبل الدولة العثمانية ، واصطدم الجيشان عند بلده البكيرية[٤٣] بالقصيم فى معـركة عنيفة انتهت بانتصار الجيش السعودى انتصارا حاسما مما دفـع ابن الرشيد الى الاستنجاد بالسلطان العثمانى عبد الحميد الثانى ، وتنظيم دفاعاته عند بلده الشنانة ، ولكن الملك عبد العزيز فاجأه بهجوم مباغت اضطر ابن الرشيد على اثره الى التقهقر الى حائل وبعدها سلمت بلدان القصيم الواحدة تلو الأخرى[٤٤] وفى شهر شـوال ١٣٢٤هـ طلب الملك

---

(٤٢) فؤاد حمزة : قلب جزيرة العرب ، الرياض ، مكتبة النصر ، الطبعة الثانية ١٣٨٨هـ ص ٣٧٠ — ٣٧١ .

(٤٣) تقع الى الغرب من مدينة بريدة .

(٤٤) أحمد عبد الغفور عطار : صقر الجزيرة جـ ١ ص ٣٦١ — ٣٦٣ وصلاح الدين المختـار : تاريخ المملـكة العربيـة السـعودية جـ ٢ ص ٥٢ — ٥٣ .

عبد العزيز من قائد القوات التركية هناك الرحيل فوراً من بلدان القصيم ، وبعد عدة مباحثات انتهى الأمـــر برحيل العثمـــانيين عن القصيم وانتهاء نفوذهم تماما من سائر منطقة نجد[٤٥] .

ضم الاحســـاء :

وبعد أن انتهى الملك عبد العزيز من سيطرة آل الرشيد على القصيم تطلع لضم منطقة الاحساء لسببين وهما :

١ — أن هذه المنطقة كانت تابعة للحكم السعودى خـــلال الدولتين السعودية الأولى والثانية[٤٦] .

٢ — أنها المنفذ الطبيعى لبلاده على الخليج العربى .

ومن هنا بدأ الملك عبد العزيز يترقب الفرص المواتية ، لضم هذه المنطقة الى ممتلكاته ، ولمـــا اندلعت الحرب العثمانية الايطالية وتبعتها الحرب العثمانية البلقانية بدأ الملك عبد العزيز يعد العدة للزحف بجيشه على الاحساء ، ثم سار على رأس قوة عسكرية قاصدا الهفوف حيث نزل بالقرب من آبار المياه القريبة منها ، ثم جمع رجـــاله ووضع لهم خطـــة الاستيلاء على المدينة ، وزودهم بالحبال اللازمة لتســـلق أسوارها[٤٧] وقبل أن يتدارك العثمانيون الأمر سقطت الهفوف فى يد القوات السعودية ثم استسلمت الحامية التركية فى القطيف والعقير ، وبذلك استرجع الملك عبد العزيز مقاطعة الأحساء بعد حكمها بواسطة العثمانيين حوالى أربعة وعشرين عاما .

وبانتهاء الحرب العالمية الأولى وجلاء العثمانيين عن العالم العربى كان بالجزيرة العربية خمس امارات تتنازع السيادة فيما بينها وهى امارة

(٤٥) سيد محمد ابراهيم : تاريخ الملـــكة العربيـــة السعوديـــة ص ١٨٩ — ١٩٠ .

(٤٦) صلاح العقاد : المشرق العربى المعاصر ، القاهرة ، الأنجلو المصرية ١٩٧٩ ص ٤٧٦ .

(٤٧) محمد عرابى نخله : تاريخ الاحساء الســـياسى ، الكويت ، دار السلاسل ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م ص ٢٣٢ — ٢٣٤ .

نجد والاحساء والقطيف والجبيل وتوابعها ويحكمها آل سعود ، وامــارة حائل لابن الرشيد فى الشمال ودولة الحجاز ويحكمها الشريف حســين ، وامارة صبيا ويحكمها محمد الادريسى ، وامارة صنعاء للامام يحيى حميد الدين فى الجنوب ، والى جانب هذه الامارات الخمس كانت هناك امارتان صغيرتان الأولى فى الجوف ويسيطر عليها آل الشعلان وكانت خاضعة فى الأصل لآل الرشيد ولمـا ضعف شأنهم انفصـلوا عنها ، أما الامارة الثانية فكانت امارة آل عائض فى أبها ، وقد استقلوا بها بعد أن استلموها من الاتراك حين جلائهم عنها فى عام ١٩١٨[٤٨] وفيما يلى نعرض لكيفية ضم الملك عبد العزيز لهذه الامارات .

ضم حـائل :

نتيجة لاصرار الملك عبد العزيز على أن تكون الجـزيرة العربيـة وحدة متماسكة ، ورغبة منه فى وقف مناوشات سعود الرشيد أمير حائل ضده ، هاجمه الملك عبد العزيز فى موقعة جراب وهزمه فى عام ١٣٣٣هـ ، كما أرسل ثلاث حملات الى حائل تمكن خلالها من ضمها الى أملاكه[٤٩] .

ولم يلبث الملك عبد العزيز أن استولى على امارة آل الشعلان فى الجوف ، وتمكن من ضمها الى كيان المملكة العربية السعودية ثم اتجـه بعد ذلك فى عام ١٩٢٢ الى عسير .

ضم عسـير :

ظلت عسير ضمن أملاك الدولة السعودية الأولى حتى سقوط الدرعية فى عام ١٢٣٣هـ ، وبعدها استقل عائض بن مرعى بعسير وخلفه ابنـه محمد على الامارة فى عام ١٢٧٣ ولكن ذلك لم يستمر طويلا حيث قامت الدولة العثمانية بالاستيلاء على عسـير وتحويلها الى متصرفية مركزها

---

(٤٨) رابح لطفى جمعـه : حـالة الأمن فى عهد الملك عبد العزيز ص ٣١ .

(٤٩) محمد منير البديوى : المتوكل على الودود عبد العزيز آل سعود ، الرياض ، مطابع نجد التجارية ، ١٣٩٧هـ ، ص ١٩٣ — ١٩٦ .

أبها . وبانتهاء الحرب العالمية الأولى خرج العثمانيون من عسير وحكمها حسن بن عائض الذى نفرت القبائل من حكمه ، ولما توسط الملك عبد العزيز فى الأمر ، رفض الأمير حسن هذه الوساطة مما دفع الملك عبد العزيز الى تجهيز جيش مكون من ألفى جندى بقيادة ابن عمه عبد العزيز بن مساعد بن جلوى ، وطلب منه أن يتفاوض أولا مع حسن ابن عائض ويطالبه بالسير على منهاج آبائه وأجداده فى ادارة البلاد وفى صداقتهم لآل سعود فان أبى يقوم بمحاربته .

ونتيجة لتعثر المفاوضات بين الطرفين دخل الجيش السعودى الى أبها فى شعبان ١٣٣٨هـ فخرج اليه حسن بن عائض بجيشه والتحم معه فى معركة حجلة بين ابها وخميس مشيط ، وكانت الهزيمة لابن عائض وجنوده ، ونظرا لرفض ابن عائض التقيد بأى شروط أمر الملك عبد العزيز بتولية ولاة آخرين على عسير[٥٠] وخلال ذلك اتصل حسن بن عائض بالشريف حسين أمير مكة سرا لمساعدته ضد الملك عبد العزيز ، فأمده الشريف بالمال والعتاد مما جعله يظهر تحديه للسعوديين ، ويتصدى لقواتهم . ونتيجة لذلك أرسل الملك عبد العزيز حملة عسكرية أخرى مكونة من ستة آلاف من اهالى نجد ، واربعة آلاف من قحطان وزهران بقيادة ابنه الأمير فيصل فى عام ١٣٤٠هـ الذى تمكن من دخول أبها فى عام ١٣٤١هـ[٥١] واجبار ابن عائض على الفرار الى الحرملة والتحصن بها . ولما كانت هذه البلدة على رأس جبل يصعب الوصول اليه ، فقد بذل الجيش السعودى جهودا شاقة فى فتح طريق اليها ودخولها والانتصار على ابن عائض وقواته[٥٢] .

---

(٥٠) محمد منير البديوى : المرجع السابق ص ١٤٩ — ١٥١ .

(٥١) محمد بن أحمد العقيلى : تاريخ المخلاف السليمانى ج ٢ ص ٧٤٣ .

(٥٢) محمد بن عبد الله الأنصارى : تحفة المستفيد بتاريخ الاحساء فى القديم والجديد ، الرياض ، مكتبة المعارف ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م ص ٢١٩ — ٢٢٠ .

ضم الامـــارة الادريسية :

ونظرا لاضطراب الأمور فى الامارة الادريسية نتيجة للحرب الأهلية التى قامت بين افرادها فى عام ١٣٤٤هـ استغل الامام يحيى امـــام اليمن الفرصة ، واخذ فى بسط سيطرته على بعض مناطقها ، ونتيجة لذلك ارتبط الحسن الادريسى بمعاهدة صداقة وحماية مع آل سعود فى ١٤ ربيـــع الثانى ١٣٤٥هـ وبمقتضاها تنازل عن ادارة كافة شـــئون امارتـــه للملك عبد العزيز[٥٣] ، وانتهى الأمر بأن أصبحت هذه المنطقة جزءا من جسد الوطن السعودى .

ضم الحجـــاز :

بعد ان اتسعت هوة الخلاف بين نجد والحجاز نتيجة لقيام الشريف حسين بمنع أهل نجد من اداء فريضة الحج قرر الملك عبد العزيز بعد عقده لمؤتمر فى الرياض حضره رؤساء العشائر ، وزعماء الاخوان الزحف على الحجاز ، فجهز جيشا قوامه ثلاثة آلاف مقاتل وامـــره بالتحـــرك من تربه الى الطائف . وبعد حرب قصيرة تمكن هذا الجيش من دخول الطائف فى صفر ١٣٤٣هـ الموافق ٧ سبتمبر ١٩٢٤م ، وعـــلى اثر ذلك انسحب الجيش الهاشمى الى جدة ، وبعد حوالى شهر من تلك المعركة قاد الملك عبد العزيز بنفسه قواته ودخل بها مكة محرما دون أن يلحق ضررا بأحد وفى مكة بايع علماؤها وشيوخها الملك عبد العزيز ، وبذلك صار الحجاز واقعا بين قوتين اسلاميتين متحاربتين الدولة السعودية التى تسيطر على مكة والطائف ، واشلاء الدولة الهاشمية التى اتخذت مقرها فى جـــدة ، واحتفظت بالمدينـــة وبعض الموانى الساحلية[٥٤] ولكن الأمـــور لم تستقر عـــلى ذلك حيث اجبـــرت القـــوات السعوديـــة القوات الهاشمية فى المدينة المنورة والقرى التابعة لها عـــلى الاستســـلام[٥٥] كما شرع الملك

---

(٥٣) لتفاصـــيل ذلك انظر : عبد المنعم الجميعى : الأدارســـة فى المخـــلاف الســـليمانى وعســـير ، القـــاهرة ، الطبعـــة الأولى ١٩٨٧ ص ٣٢ — ٣٣ .

(٥٤) صلاح العقاد : المشرق العربى المعاصر ص ٤٨٣ .

(٥٥) صلاح الدين المختار : تاريخ المملكة العربية السعودية ج ٢ ص ٣٨ .

عبد العزيز فى حصار جدة مما اضطر الشريف حسين الى التنازل عن الحكم لابنه على ، والاقامة فى قبرص حيث قضى فيها بقية أيامه . وعندما عجز الشريف على فى الدفاع عن جدة وسط الانجليز فى الأمـر ، ولكن اصرار الملك عبد العزيز على رفض انهاء الحرب مادام أحد أبناء الشريف حسين مقيما فى الحجاز ، جعل الشريف على يغادر بلاد الحجـاز ، تاركا أمـر تصريف شئونه للملك عبد العزيز(٥٦) .

اعلان قيام المملكة العربية السعودية :

وبعد نجـاح الملك عبد العزيز فى توحيد أجزاء مملكته فـكر بعض علماء الحجاز مع نخبة من أهالى نجد ، وبعض مستشارى الملك فى ايجاد اسم جديد للبلاد ، وعرضوا على الملك طلبهم بتحويـل اسم مملكته من المملكة الحجازية النجدية وملحقاتها الى المملكة العربية السعودية ، فرحب بذلك وأصدر مرسوما ملكيا رقم ٢٧١٦ بتاريخ ١٧ جمـادى الأولى عام ١٣٥١هـ يقضى بالموافقة عـلى تغيير اسم المملـكة ابتـداء من الخميس ٢١ جمادى الأولى ١٣٥١هـ(٥٧) .

وبعد صدور ذلك المرسوم تسابقت دول العالم الى الاعتراف بالمملكة الجديدة كدولة مستقلة ذات سيادة كاملة لتصبح بذلك المملكة أول دولة عربية تنال سيادتها واستقلالها الكامل من أى سيطرة أو نفوذ أجنبى(٥٨) .

وفى ١٦ من محرم ١٣٥٢هـ تمت البيعة بولاية العهد للأمـير سعود ابن عبد العزيز .

وهكذا اقـام الملك عبد العزيز صرح المملكة بعد أن بسطت نفوذها على معظم شبه الجزيرة ، منطلقة نحو الاستقرار والتقدم والرخاء .

---

(٥٦) رابح لطفى جمعه : حـالة الأمن فى عهد الملك عبد العـزيز ص ٣٤ .

(٥٧) أمين سعيد : تاريخ الدولة السعودية جـ ٢ ص ١٨٤ .

(٥٨) صلاح الدين المختار : تاريخ المملكة العربيـة السعودية جـ ٢ ص ٤٥٩ .

ويسير نظام الحكم فى المملكة العربية السعودية طبقا لأحكام القرآن ووفقا لسنة نبى الاسلام محمد بن عبد الله « القاتل يقتل ، والسارق تقطع يده ، والعين بالعين ، والسن بالسن ، والجروح قصاص فدستورها كتاب الله وقانونها سنة رسوله » .

أما عن علم المملكة فيتكون من ديباجة خضراء عليها سيف أبيض كتب فوقه لا اله الا الله محمد رسول الله وقد اختار الملك عبد العزيز اللون الأخضر رمزا الى رياض الجنة ، وكلمة الشهادة للدلالة على التوحيد الخالص ، وكون النبى محمد صلى الله عليه وسلم هو رسول الله ، وخاتم النبيين وأما السيف الموضوع تحتها فانه اشارة الى الجهاد لاعلاء كلمة الله ، أما شعار المملكة فهو سيفان متقاطعان من فوقهما نخلة .

وسارت المملكة فى طريق التقدم تحقق أماني شعبها يشهد لها القاصى والدانى بالحكمة والتعقل فى سياستها الداخلية وعلاقاتها السياسية مع دول العالم وبعد وفاة الملك عبد العزيز فى ٢ من ربيع الأول ١٣٧٣هـ الموافق ٩ من نوفمبر ١٩٥٣اعتلى عرش المملكة العربية السعودية ابنه الأكبر وولى عهده سعود فى الفترة من ١٣٧٣ الى ١٣٨٤هـ ، وكانت بداية حكمه تبشر بالخير حيث نهضت فيها البلاد نهضة واضحة فى العديد من مرافقها الحيوية ، كما سارت حكومة الملك سعود فى سياستها الخارجية على نفس النهج الذى رسمه الملك عبد العزيز ، ولكن ذلك لم يستمر طويلا حيث تردت الأوضاع الاقتصادية والسياسية فى المملكة الى درجة كبيرة مما جعل مجلس الوزراء يقرر بناء على مشورة العلماء والأمراء أن ينوب الأمير فيصل ولى العهد عن الملك سعود فى كل صلاحياته ، ثم قرر العلماء والأمراء بعد ذلك تنحية الملك سعود عن الحكم والمناداة بفيصل ملكا شرعيا على البلاد .

الملك فيصل بن عبد العزيز :

بعد أن اشتد الخلاف بين وجهتى كل من سعود وفيصل حول كيفية ادارة شئون المملكة ، وجد كبار العلماء والأمراء ضرورة تنحية الملك سعود ، ومبايعة فيصل ملكا ، وقد تم ذلك فى نهاية شهر جمادى الآخرة ١٣٨٤هـ .

وقد خطت المملكة فى عهد الملك فيصل خطوات جادة وبناءة شملت كافة مرافق الدولة ، وتأكدت فى عهده روح التضامن والتعاون مع الدول الاسلامية والعربية لدرجة قيل عنها أن وصول الملك فيصل الى الحكم كان مكسبا رائعا لا للسعودية فحسب بل للأمة العربية كلها »[٥٩] والأمثلة على ذلك متعددة نذكر منها ما يلى :

١ — عندما استفحلت مشكلة اليمن بين مصر والسعودية بذل الملك فيصل جهودا متصلة لمنع اى احتكاك يفيد تمزق الصف العربى ، ويعطى لاسرائيل الفرصة لتعميق جذور الخلافات بين البلدان العربية .

وقد أثمرت هذه المحاولات والنوايا الطيبة عن اجتماع بين الملك فيصل والرئيس جمال عبد الناصر فى جدة فى ٢٢ من أغسطس ١٩٦٥م والذى تم بمقتضاه توقيع اتفاقية جدة فى ٢٤ من أغسطس من العام نفسه التى قضت بوقف اطلاق النار فى الحال ، والاتفاق على حل المشكلة اليمنية .

٢ — عندما نشبت حرب يونيو ١٩٦٧ أعلن الملك فيصل وقوف المملكة مع شقيقاتها العربيات ازاء الاعتداء الاسرائيلى الغادر كما القى خطبة اعلن فيها الجهاد ، وانه سيستعمل سلاح البترول فى الوقت المناسب[٦٠] .

٣ — وعندما التقى القادة العرب عقب هزيمة ١٩٦٧ فى مؤتمر الخرطوم ساند الملك فيصل دول المواجهة مع اسرائيل ، وشجع على دعمها ماديا لمواجهة متطلبات المعركة وازالة آثار العدوان .

٤ — وعندما اندلعت حرب اكتوبر ١٩٧٣ القى الملك فيصل بثقل المملكة فحشد للمعركة كافة الطاقات والامكانات ، وتزعم القرارات النفطية لدعم المعركة اقتصاديا وسياسيا فاعلنت السعودية وقف تصدير البترول عن الدول المساندة لاسرائيل .

---

(٥٩) محمد أنور السادات : البحث عن الذات ، القاهرة ، المكتب المصرى الحديث ص ٢١٢ .

(٦٠) حسن محمد حسن : عشر سنوات مع الملك فيصل ، بيروت ، مطابع فغالى ص ١٧٥ .

وبينما كان الملك فيصل يتحدث بثقة عن المستقبل ودوره فيه فإن القدر لم يتح له مواصلة هذا الدور حيث انتقل الى جوار ربه فى الثالث عشر من ربيع الأول عام ١٣٩٥هـ الموافق ٢٥ من مارس ١٩٧٥م فى وقت كانت فيه القضية العربية تمر بظروف حرجة ، وكانت الحاجة الى جهوده ماسة .

الملك خالد بن عبد العزيز :

بعد وفاة الملك فيصل اجتمع أفراد الأسرة السعودية وأعلنوا بيعتهم لولى العهد الأمير خالد بن عبد العزيز ملكا على البلاد . وقد أرسى الملك خالد دعائم النهضة ، وواصل مسيرة البناء فى مجالات التعليم والصحة والزراعة والصناعة مما جعل المواطن السعودى يعيش فى ظلال الرفاهية والاستقرار .

وعلى المستوى الاسلامى والعربى كان الملك خالد متحمسا للقضية الفلسطينية ، وكان يتابع تطورها ويواصل دعمها وكانت قضية فلسطين والفلسطينيين هى الشغل الشاغل له فى أواخر أيامه .

الملك فهد بن عبد العزيز :

بعد وفاة الملك خالد بن عبد العزيز تمت مبايعة الأمير فهد بن عبد العزيز ملكا فى ٢١ من شعبان ١٤٠٢هـ وكان للدور البارز الذى قام به الملك فهد فى دعم أسس النهضة الحديثة فى المملكة أثر كبير فى دفع عجلة التقدم التى شملت مختلف مرافق الحياة ، وانماء المجتمع السعودى فى كافة نواحيه خصوصا النواحى التعليمية ، وترسيخ الأمن الوطنى والاشراف على الشئون العليا فى القطاعات الرئيسية بالمملكة[٦١] . كما أولى الملك فهد جل اهتمامه لخدمة المشاعر المقدسة ، فأصدر أوامره فى ٢٤ من صفر ١٤٠٤هـ بعمل الدراسات الخاصة لتوسعة الحرم المكى ،

---

(٦١) مصطفى النحاس جبر : آل سعود فى الجزيرة العربية ، القاهرة ، دار الكتاب الجامعى ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م ص ١٦٨ .

ومشاريع التنمية والتطوير فى مكة المكرمة والمدينــة المنورة[٦٢] لذلك تم تطوير مرافق الحج وتوسعتها[٦٣] .

وتأكيدا على اهتمام الملك فهد بالمشاعر المقدسة اصــدر أمرا ملكيا فى صفر ١٤٠٧هـ بالغاء لقب صاحب الجلالة واستبداله بلقب خادم الحرمين الشريفين .

وفى المجال الخارجى تقوم سياسة الملك فهد على أسس ثابتــة اهم قواعدها نصرة الاسلام والعروبة بكل الامكانات والطاقات واقامة الدولة الفلسطينية على ارض فلسطين والدعوة الى التضامن الاسلامى واحترام الأعراف الدولية ، ودعم قرارات الأمم المتحدة ، وتأييد كل المواقف الهادفة للحفاظ على كرامة الانسان وسلامه وأمنه .

---

(٦٢) المجلة العربية العدد ١٢٨ فى ١٤٠٨/٩/٥هـ .

(٦٣) لتفاصيل ذلك انظر : وجيه مزبودى : موعد مع الغد ، الطبعة الأولى ، شــوال ١٤٠٦هـ ص ٥ — ١١ واخبــار العالم الاســلامى فى ٢٣ شعبان ١٤٠٧هـ .

ملحق

الأمر الملكى الخاص بتحويل اسم المملكة
الحجازية النجدية ، وملحقاتها الى اسم المملكة العربية السعودية

بعد الاعتماد علي الله ... وبناء على ما رفع الينا من البرقيات من كافة رعايانا فى المملكة الحجازية ونجد وملحقاتها .. ونزولا على رغبة الرأى العام فى بلادنا وحبا فى توحيد أجزاء هذه المملكة العربية .. أمرنا بما هو آت :

ـ المادة الأولى : يحول اسم المملكة الحجازية النجدية وملحقاتها الى اسم المملكة العربية السعودية ويصبح لقبنا الآن .. ملك المملكة العربية السعودية .

ـ المادة الثانية : يسرى مفعول هذا التحويل اعتبارا من تاريخ اعلانه .

ـ المادة الثالثة : لا يكون لهذا التحويل اى تأثير على المعاهدات والاتفاقات والالتزامات الدولية التى تبقى على قيمتها ومفعولها وكذلك لا يكون له تأثير على المقاولات والعقود الافرادية بل تظل نافذة .

ـ المادة الرابعة : سائر النظامات والتعليمات والأوامر السابقة والصادرة من قبلنا تظل نافذة المفعول .

ـ المادة الخامسة : تظل تشكيلات حكومتنا الحاضرة سواء فى الحجاز ونجد وملحقاتها على حالها مؤقتا الى أن يتم رفع تشكيلات جديدة للمملكة كلها على أساس التوحيد الجديد .

ـ المادة السادسة : على مجلس وكلائنا الحالى الشروع حالا فى وضع نظام أساسى للملكة ونظام لتوارث العرش ونظام لتشكيلات الحكومة وعرضها علينا لاستصدار أوامرنا فيها .

— المـــادة السابعة : لرئيس مجلس وكلائنا أن يضم الى أعضاء مجلس الوكلاء أى فرد أو أفراد من ذوى الرأى حين وضع الأنظمة السالفة الذكر للاستفادة من آرائهم والإستنارة بمعلوماتهم .

— المـــادة الثامنة : اننا نختار يوم الخميس الواقع فى ٢١ جمادى الأولى سنة ١٣٥١هـ الموافق لليوم الأول من الميزان يوما لاعلان توحيد هذه المملكة العربية السعودية ونسأل الله التوفيق .

صدر فى قصرنا فى الرياض فى هذا اليـــوم الســـابع عشر من شهر جمادى الأولى سنة ١٣٥١هـ .

التوقيع

عبد العزيز آل ســـعود

ثبت المصادر والمراجع

أحمد أمين : فيض الخاطر جـ ٥ ، القاهرة ، النهضة المصرية الطبعة السادسة .

أحمد عبد الغفور عطار : صقر الجزيرة جـ ١ .

أمين الريحانى : ملوك العرب جـ ١ .

أمين سعيد : تاريخ الدولة السعودية جـ ٢ .

جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية : مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب — القسم الخامس الرسائل الشخصية ، الرياض .

حسن محمد حسن : عشر سنوات مع الملك فيصل ، بيروت مطابع غفالى .

حسين خزعل : حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٣٩١هـ / ١٩٧٢م .

حسين غنام : تاريخ نجد جـ ١ — تحقيق ناصر الدين الأسد — القاهرة الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .

حمد الجاسر : مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ .

رابح لطفى جمعة : حالة الأمن فى عهد الملك عبد العزيز ، الرياض دارة الملك عبد العزيز ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .

سيد محمد ابراهيم : تاريخ المملكة العربية السعودية .

صلاح العقاد : المشرق العربى المعاصر ، القاهرة ، الأنجلو المصرية ١٩٧٩م .

صلاح المختار : تاريخ المملكة العربية السعودية .

ضارى بن الرشيد : نبذة تاريخية عن نجد ، الرياض ، دار اليمامة ١٣٨٦هـ .

عبد الله الشبل : مذكرة فى تاريخ نجد ، الرياض .

عبد الرحمن الجبرتى : عجائب الآثار فى التراجم والأخبار حـ ٤ ، القاهرة ، المطبعة الشرفية ١٣٢٢هـ .

عبد الرحيم عبد الرحمن : (أ) الدولة السعوديـــة الأولى ، القاهرة ، دار الكتاب الجامعي ، ١٩٧٩م .

(ب) من وثائق شبه الجزيرة العربية فى عصر محمد على ، قطر ، دار المتنبى ١٤٠٢هـ .

عبد الفتاح أبـــو علية : تاريخ الدولة السعوديـــة الثانيـــة ، الرياض ، مؤسسة الأنوار للنشر ١٤٠١هـ / ١٩٨٠م .

عبد الكريم غزال : المملكة العربية السعودية أمـــام قدرها الكبير ، دمشق المطبعة التعاونية ١٤٠٠هـ / ١٤٠١هـ .

عبد المنعم الجميعى : الأدارسة فى المخلاف السليمانى وعسير ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٧ .

عثمان بن بشر : عنوان المجد فى تاريخ نجد ، الرياض مكتبة الريـــاض الحديثة ، د . ت .

عمـــر عبد العـــزيز : تاريخ المشرق العربى ، بيروت ، دار النهضة العربية ١٤٠٥ هـ.

فؤاد حمـــزة : قلب جزيرة العرب ، الرياض ، مكتبة النصر ، الطبعة الثانية ١٣٨٨هـ .

لوثروب ستودارد : حاضر العالم الاسلامى ج ١ — ترجمة عجاج نويهض — بيروت دار الفكر للطباعة والتوزيع .

محمد بن أحمد العقيلى :

(أ) حياة الشـــيخ محمد بن عبد الوهـــاب وآثاره العلمية ، ابها ، نادى ابها الأدبى ١٤٠٤هـ .

(ب) تاريخ المخلاف السليمانى ج ٢ ، الريـــاض ، دار اليمامـــة .

محمد أنـــور السادات : البحث عن الذات ، القاهرة ، المكتب المصرى الحـــديث .

محمد بن عبد الله الانصارى : تحفة المستفيد بتاريخ الاحســـاء فى القديم والجديد الرياض ، مكتبة المعارف ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

محمد عرابى نخلة : تاريخ الاحساء السياسى : الكويت ، دار السلاسل ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .

محمد منير البديوى : المتوكل على الودود عبد العزيز آل سعود ، الرياض مطابع نجد التجارية ، ١٣٩٧هـ .

مديحة درويش : تاريخ الدولة السعودية حتى الربع الأول من القرن العشرين ، جدة ، دار الشروق ، ١٤٠٠هـ .

مصطفى النحاس : آل سعود فى الجزيرة العربية ، القاهرة ، دار الكتاب الجامعى ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .

وجيه مزبودى : موعد مع الغد ، الطبعة الأولى ، شوال ١٤٠٦م .

الدوريات

أخبار العالم الاسلامى : شعبان ١٤٠٧هـ .

مجلة جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية : العدد الأول رجب ١٤٠٩هـ .

المجلة العربية : العدد ١٢٨ فى رمضان ١٤٠٨هـ .

مجلة المنهل : العدد ٤٧٢ فى ذى الحجة ١٤٠٩هـ .

(٥)

العراق في التاريخ الحديث والمعاصر

١ — العراق بين الصفويين والعثمانيين :

بعد أن اتخذ الصفويون من المذهب الشيعى مذهبا رسميا لدولتهم عمل الشاه اسماعيل بن حيدر الصفوى على نشر هذا المذهب فى العراق[١] وتطلع الى الاستيلاء عليه طمعا فى خيراته ، ولوجود العتبات المقدسة (النجف وكربلاء)[٢] فيه فاستولى على بغداد فى ٢٠ من جمادى الآخرة ٩١٤هـ / ١٥٠٨م وأجرى مذابح واسعة النطاق ضد اهل السنة ، ودمر مزاراتهم ومساجدهم وأوقع بهم أشد أنــواع العقاب[٣] ونتيجــة لذلك استنجد أهل العراق بالدولة العثمانية التى كانت تعد نفســها فى ذلك الوقت حامية للمذهب السنى فبادرت باعلان الحرب عــلى الصفويين[٤] ونجح السلطان سليم فى هزيمتهم فى وادى جالديران فى ٢ من رجب ٩٢٠هـ اغسطس ١٥١٤م ، ودخول عاصمتهم « تبريز »[٥] .

ونتيجة لذلك نجح العثمانيون فى وقف الزحف الشيعى عــلى العراق لفترة ، وزعزعة النفوذ الايرانى فى المنطقة العربية ، وهز كيان الموالين

---

(١) عبد العزيز الشناوى : الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها جـ ١ القاهرة ، الانجلو المصرية ، ١٩٨٠ ص ١٩ .

(٢) عبد العزيز نوار : تاريخ العراق الحديث من نهاية حكم داود باشا الى نهاية حكم مدحت باشا ، القاهرة ، دار الكتاب العربى ، ١٣٨٨هـ ١٩٦٨م ص ٥ .

(٣) أحمد عبد الرحيم مصطفى : فى أصول التاريخ العثمانى ، بيروت ، دار الشروق ١٤٠٢هـ ص ٧٨ .

(٤) بديع جمعه : الشاه اسماعيل الكبير ، بيروت ، دار النهضــة العربية ١٩٨٠ ص ٥ .

(٥) محمد فريد : تاريخ الدولة العلية العثمانية — تحقيق احسان حقى ، بيروت ، دار النفائس ، الطبعــة الثانيــة ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ص ١٩٠ .

لـــه[٦] . لدرجة أن أعلن « ذو الفقار » حاكم بغداد ٩٣٤ — ٩٣٦هـ / ١٥٢٧ — ١٩٢٩م انفصاله عن الصفويين والولاء للعثمانيين وخطب باسم السلطان العثمانى على المنابر فى بغداد .

وعلى الرغم من انتصارات العثمانيين الكاسحة ضد الصفويين فقد اكتفى السلطان العثمانى بضم المناطق الشمالية من العراق والموصل الى دولته ، وبعدها انشغل العثمانيون عن أمور العراق مما إتاح للشـــاه « طهماسب » السيطرة عليه مرة اخرى[٧] واتاح للبرتغاليين القيام بحملتهم الأولى على البصرة بقيادة « مونادى كونها »[٨] .

وظل الصراع على العراق بين العثمانيين والفرس حتى تمكن السلطان سليمان القانونى من ارسال حملة تمكنت من الاســـتيلاء عليه فى ٢٤ من جمادى الآخرة ٩٤١ الموافق ٣١ من ديسمبر ١٥٣٤م . وعلى الرغم من ان السلطان سليمان القانونى قد انتهج سياسة المحافظة عـــلى مشاعر اهل السنة والشيعة فى العراق ، وشدد على عدم الحاق الأذى بالأهالى ، وقام بزيارة بعض الأماكن الشيعة ، وامر ببعض المشاريعالعمرانية ، فان الفرس استطاعوا اكتساب ولاء بعض العشائر العراقية ، واستمروا فى نزاعهم مع العثمانيين من أجل السيطرة على العراق منذ الثلاثينـــات من القرن السادس عشر الميلادى ، وحتى أوائل القرن التاسع عشر وكانت هذه الحروب تنقطع أحيانا بين الدولتين لبعض الفترات لتعود أشد ضراوة من سابقتها[٩] وتبادل الفرس والعثمانيون العراق فيما بينهما فقـــد غزا الفرس العراق فى الثلاثينات من القرن السابع عشر ، وفى الأربعينات من القرن الثامن عشر ، وفى العشرينات من القرن التاسع عشر بمعدل غزو . كل قرن هذا فضلا عن حوادث الحدود المتكـــررة وكان كل من الطرفين

---

(٦) مجموعة من الأساتذة العراقيين : العراق فى التاريخ ، بغداد ، ١٩٨٣ ص ٥٦٥ .

(٧) عبد العزيز نوار : الشعوب الاسلامية ، بيروت ، دار النهضة العربية ١٩٧٣ ص ١١١ .

(٨) العراق فى التاريخ ص ٥٧٠ .

(٩) الشناوى : المرجع السابق ج ٢ ص ٨٢٢ .

الفارسى والعثمانى يستغل العصبيات فى العراق للدفاع عن مصالحه[١٠] ومع ذلك فان فترات الوجود الفارسى فى العراق كانت محدودة اذا ما قورنت بفترات الحكم العثمانى هناك .

والجدير بالذكر أنه بعد أن تمكن العثمانيون من السيطرة على العراق تم تقسيمه الى أربع ولايات هى بغداد ، والموصل ، وشهر روز ، والبصرة وان كان قد حدث فيما بعد تبدلات فرعية فى هذه التقسيمات .

ورأس الجهاز الحكومى « الوالى » ، وكان غالبا برتبة وزير ، وكان لوالى بغداد صلاحيات أوسع مما لولاة الولايات الأخرى ويساعد الوالى موظف يعرف باسم « كتخدا » ، وكان يعاون الوالى فى الشؤون العسكرية والسياسية ، وينوب عنه فى غيابه أما « الدفتردار » فهو المسئول عن النواحى المالية بتسجيل ايراداتها ومصروفاتها فى سجل خاص ، ويلى الوالى فى المكانة الاجتماعية القاضى فهو مسئول عن تطبيق العدل ، والاهتمام بالشرع ، ومراقبة الأسواق . وكان يساعد القاضى فى تنفيذ أوامره موظفان يلقب الأول بـ (صوباشى) — وهى رتبة عسكرية — وهو بمثابة رئيس الشرطة ، والثانى يعرف باسم (احتساب أغاسى) أى المحتسب[١١] .

وخلال الحكم العثمانى للعراق لم يكن العراق بعيدا عن التيارات التى تجرى فى أقطار العروبة الأخرى ، وقد تمثلت أهم تلك التيارات فى القرن التاسع عشر عندما استطاع محمد على تقويض أركان السيطرة العثمانية فى الشام فى عام ١٢٤٨هـ / ١٨٣٢م وضم العديد من المدن السورية حيث جرت العديد من الاتصالات بين الزعماء العراقيين الناقمين على السلطات العثمانية والقيادة المصرية فى الشام تحرضها على التقدم لضم العراق بأكمله الى الدولة الجديدة ، مما زاد من حراجة الموقف العثمانى فى بغداد ، ولكن بريطانيا لم تسمح بتفاقم الموقف الى أكثر من ذلك خاصة وأنها كانت تعمل على توطيد نفوذها فى العراق .

---

(١٠) نوار : تاريخ العراق الحديث ص ٨٢٧ .

(١١) العراق فى التاريخ ص ٥٧٣ — ٥٧٤ .

٢ — الأطماع الانجليزية فى العراق وتصدى العراقيين لها :

بدأ اهتمام بريطانيا بالعراق نتيجة لازدياد حجم التجارة البريطانية معه ، ولما اكتسبه طريق العراق من أهمية بالغة كطريق للمواصلات البريطانية الى الهند ، يضاف الى ذلك ان الأوضاع السياسية فى الشرق الأوسط ، وفى وسط آسيا زادت من رغبة الانجليز فى مد خطوط حديدية عبر العراق وان كان افتتاح قناة السويس فى عام ١٨٦٩م فقد جعل الانجليز يعيدون حساباتهم[١٢] .

ونتيجة لوحدة المانيا ، ورغبتها فى الاتجاه نحو الشرق طبقا لمشروع Drang Nachosten فقد رأى المسئولون الألمان أهمية انشاء خط حديدى يجتاز الأناضول وشمال سورية والعراق الى الخليج ، ونظرا لأن الانجليز كانوا يخشون من نمو النفوذ الألمانى فى هذه المناطق تحول المشروع عن مقصده الى حلقة من حلقات الصراع السياسى والاقتصادى على المصالح بين الدول الأوربية الكبرى . وقد وقف السلطان العثمانى خلال ذلك الصراع بجانب الألمان خصوصا وانه وجد فى المانيا دولة أقل أطماعا فى بلاده من الانجليز والفرنسيين الذين كانوا يلاحقون الدولة العثمانية بأغلالهم وقيودهم . ونتيجة لذلك وبعد مفاوضات المانية تركية تم ابرام العقد النهائى فى الخامس من مارس ١٩٠٣ والذى تم بمقتضاه الاتفاق على ما يأتى :

١ — أن يمتد الخط الحديدى من قونية الى أدنه فالموصل فسامراء فبغداد فالبصرة ، وينتهى الى نقطة على الخليج يتم تحديدها فيما بعد .

٢ — اعطاء الامتياز للألمان لمدة ٩٩ عاما .

٣ — قدرت التكاليف الانشائية للمشروع بخمسمائة مليون فرنك والتزمت الحكومة التركية بضمان سنوى قدره « ١٦٥٠٠ فرنك » لكل كيلو متر .

---

(١٢) عمر عبد العزيز : تاريخ المشرق العربى ١٥١٦ / ١٩٢٢ ، بيروت ، دار النهضة العربية ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ص ٣٨٨ ، ٣٩٨ .

٤ — التزمت الدولة العثمانية بجعل تشغيل الخط فى يد « شركة سكة حديد الاناضول » .

وهكذا كان ابرام هذه الاتفاقية نجاحا كبيرا للسياسة الألمانية ، وسببا فى اعتراض الدول الأوربية على قيام الالمان بانشاء هذا الخط الحديدى مما ادى الى تعكير الجو الدبلوماسي والاعلامى والسياسى بين هذه الدول خصوصا وان بريطانيا كانت تشعر وكأنها الدولة المهيمنة على تنظيم أمور الشرق الأدنى والخليج (١٣) . ونتيجة لذلك عقدت بريطانيا اتفاقا سريا مع الشيخ مبارك حاكم الكويت فى عام ١٨٩٩ اتفق بمقتضاه على التزام حاكم الكويت بألا يتنازل عن أى جزء من أراضيه لأى دولة أجنبية دون موافقة الحكومة الانجليزية (١٤) .

وظل الصراع على أشده بسبب هذا الخط حتى قامت الحرب العالمية الأولى ، ودخلت الدولة العثمانية بجانب المانيا فى الحرب ضد بريطانيا وفرنسا والروسيا ، وخرجت المانيا من هذه الحرب خاسرة مما أحاط السكون على استمرار تنفيذ هذا الخط الحديدى .

وخلال هذه الفترة ظهرت بين العرب صيحات تهيب بأبناء الأمة العربية فى السلطنة العثمانية أن يهبوا من رقادهم ، ويسعوا لاعلاء شأنهم ، وينفضوا عن أنفسهم غبار الخمول الذى تراكم عليهم قرونا عديدة ، ولكن هذه الصيحات أخذت بحذر من ابناء الأمة العربية الذين غمرتهم الفرحة والحماسة الوطنية العثمانية بعد اعلان دستور ١٩٠٨م ، ولكنهم سرعان ما وجدوا أنفسهم وجها لوجه أمام نوايا الاتحاديين المعادية للعرب ، فتملكهم التشاؤم ، وأخذوا فى تنظيم الجمعيات وبث الدعايات بهدف نيل حقوقهم ، وصدا لطغيان تيار الاتحاديين عليهم الذين حاولوا هضم حقوق العرب ، وامتهان لغتهم (١٥) ، ونتيجة لذلك

---

(١٣) مصطفى ماهر وكمال رضوان : المانيا والعالم العربى ص ٣٧٢ — ٣٧٥ .

(١٤) نفسه ص ٤٠٨ .

(١٥) المقتطف : المجلد الثالث والتسعون ، يونيو / ديسمبر ١٩٣٨ مقال لأنيس المقدسى تحت عنوان « الحركات العربية المنظمة » ص ٤٢١ — ٤٢٢ .

ظل العراق حتى اعلان الحرب العالمية الأولى فى عام ١٩١٤م جـــزءا من أملاك الدولة العثمانية ، تحكمه حكما مباشرا ، وترسل اليه الولاة والحكام من قبلها ، ولمـــا أعلنت الحرب وانضم الأتراك الى جانب ألمـــانيا وحلفائها اغتنم الانجليز الفرصة — وكانت لهم أطماع قديمة فى العراق — وسيروا الجيوش لاحتلال البصرة وتمكنوا من انزال جنودهم فيها بحماية أسطولهم ثم بدأوا عملياتهم الحربية ضد الدولة العثمانيـــة[١٦] . ونتيجـــة لاشتداد المقاومة ضد الانجليز فى العراق وتكبدهم خسائر بشرية ضخمة قام الانجليز باستمالة العرب ، وفصـــلهم عن الترك بعد أن أذاعوا فى طـــول البلاد وعرضها أنهم ما جاءوا فاتحين ولا مستعمرين بل جاءوا منقذين ومحررين ، وأنهم انما يحاربون باسم حليفهم وصديقهم الشريف الحسين بن على شريف مكة[١٧] . وبعد أن استتب الأمر للانجليز فى العـــراق تجاهلوا وعودهم للعراقيين ، فانشأوا نظاما غريبا يقضى بالحاق العراق بحكومة الهند ، بمعنى أن يصبح العراق مستعمرة لادارة استعمارية تابعة لحكومة الهند ، يضاف الى ذلك أنهم أثقلوا كواهل العراقيين بالمصادرات والغرامات بهدف تغطية الجزء الأكبر من نفقات الجيش البريطانى فى العراق[١٨] ، ونتيجة لذلك كبر على العراقيين الأمر ، ونشطت جمعياتهم الوطنية فى اضرام نار الثورة ضد الانجليز ، كما نشطت المساعى السلمية من أجل الاســـتقلال فعندما بدأت اجتماعات مؤتمر الصلح فى باريس فى ١٨ يناير ١٩١٩م طالب الأمير فيصل بن الحسين بانهاء الاحتلال البريطانى للعراق واقامة حكومة عربية فيه[١٩] ، ولكن الحلفاء فى مؤتمر سان ريمو قرروا وضع العراق تحت الانتداب البريطانى مما أصاب أمانى العراقيين بخيبة أمل ، وادخل قضيتهم فى طور جديد حيث بدأت الثورة العراقية فى الثلاثين من يونيو ١٩٢٠م وعمت معظم أنحاء العراق ودارت على أثرها معارك عنيفة بين العراقيين والقوات الانجليزية قام العراقيون خلالها بقطع السكك الحديدية شـــمالى

---

(١٦) العراق فى التاريخ ص ٦٦٣ .

(١٧) أمين سعيد : ملوك المسلمين المعاصرون ودولهم ، القاهرة ، البابى الحلبى ، ١٩٣٣ ص ٧٧ .

(١٨) العراق فى التاريخ ص ٦٦٤ .

(١٩) محمود صالح منسى : حركة اليقظة العربية فى الشرق الآسيوى ، القاهرة ، دار الفكر العربى ، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م ص ٤١٧ — ٤٢٢ .

بغداد وجنوبى الحلة[٢٠] . ونظرا لتفاقم الأمور اضطر الانجليز الى تبديل سياستهم ، وادراك مدى اهمية التفاهم مع العرب ، وانتهى الأمر بالاتفاق على انشاء حكومة عربية برئاسة فيصل بن الحسين واعتراف بريطانيا باستقلال العراق ، وقيام حكومة وطنية فيه[٢١] ، وان تقوم بريطانيا بتركيز علاقاتها مع العراق على أساس معاهدة تحالف بينهما ، وأن تسعى لتحقيق غاياتها عن طريق المفاوضات بدلا من فرض رغباتها كما فعلت فى سان ريمو . وهكذا اثبتت الثورة العراقية مدى قوة الوعى لدى العرب ، وقدرتهم على الصمود والمقاومة[٢٢] وفى ١١ من يوليو ١٩٢١ قرر مجلس الشورى العراقى تقديم عرش العراق الى الأمير فيصل بن الحسين والمناداة به ملكا ابتداء من ٢٣ من اغسطس ١٩٢١م[٢٣] .

٣ — العلاقات العراقية الايرانية :

نتيجة لاستمرار النزاع بين العثمانيين والفرس على العراق ظلت مشكلة الحدود العراقية الايرانية معلقة حتى ابرمت معاهدة ارضروم الأولى فى ٢٨ من يوليو عام ١٨٢٣ ، ونظرا لأن هذه المعاهدة لم تحسم الأمر تماما فقد تدهور الموقف بين الطرفين فى الأربعينات من القرن التاسع عشر بشأن المشكلة الكردية[٢٤] ووقعت المصادمات بين السلطتين العثمانية والفارسية فى عربستان وكذلك فى منطقة السليمانية وبنى لام ، وزهاب وطالب الفرس بلواء السليمانية وبعربستان ، وردت الدولة العثمانية على ذلك بتعبئة قواتها على الحدود ، وبدات المناوشات العنيفة بين الطرفين مما ادى الى تدخل روسيا وبريطانيا فى الأمر وقبول الطرفين للوساطة لحسم ما بينهما من خلاف ، وعلى اساس ذلك وضعت معاهدة ارضروم الثانية فى ٣١ من مايو عام ١٨٤٧[٢٥] ولحقها بروتوكول طهران عام ١٩١١

---

(٢٠) العراق فى التاريخ ص ٦٦٦ .
(٢١) امين سعيد : المرجع السابق ص ٨٠ — ٨١ .
(٢٢) جورج انطونيوس : يقظة العرب — ترجمة على حيدر الركابى — دمشق ، مطبعة الترقى ، ١٣٦٥هـ ص ٣٩٤ .
(٢٣) العراق فى التاريخ ص ٦٦٧ .
(٢٤) الشناوى : المرجع السابق ج ٢ ص ٨٢٤ — ٨٢٥ .
(٢٥) نوار : تاريخ العراق الحديث ص ٣٣٤ .

وبرتوكول القسطنطينية عام ١٩١٣ ونتيجة لذلك قبلت الدولتان تسوية الحدود بينهما بصفة نهائية (٢٦) ، ولكن سرعان ما تخلت ايران عن هذه الاتفاقات وطرحت القضية أمام عصبة الأمم التى أوصت بالعمل على حل الموضوع عن طريق المفاوضات المباشرة . وقد تفاوضت السلطات العثمانية مع الفرس وكانت خلال تفاوضها لا تضع فى اعتبارها مصالح العراق وانما كانت تعالج المشكلة فى اطار مصالحها فحسب ، فسوت بعض مشاكلها مع ايران على حساب العراق (٢٧) .

وعلى كل حال فبعد المناداة بفيصل بن الحسين ملكا على العراق فى أغسطس ١٩٢١م (٢٨) ظلت ايران لا تعترف بحكم الملك فيصل على عرش العراق حتى عام ١٩٢٩ عندما أرسل الشاه رضا بهلوى برقية الى الملك فيصل يهنئه فيها على حكمه للعراق ، وعلى ما حصل من الغاء للامتيازات الأجنبية فى بلاده ، وقد رد الملك فيصل ببرقية تهنئة مماثلة الى الشاه . وعلى الرغم من هذه المبادرات الحسنة فقد قامت ايران ببناء مخفر حدودى على الأراضى العراقية مما جعل العراق يحتج لدى حكومة ايران . ونتيجة لذلك ابدت الحكومة الايرانية أسفها ، وأصدرت أوامرها الى قواتها بعدم تكرار ذلك ، كما وجه شاه ايران الدعوة الى الملك فيصل الأول لزيارة ايران ، وقد قبل الملك فيصل الدعوة ، وسافر الى ايران فى عام ١٩٣٢ ، وخلال ذلك قدمت ايران طلباتها بشأن تعديل الحدود فى شط العرب بما يتناسب مع رغباتها ، ولكن فيصل رفض ذلك الطلب رفضا قاطعا مما أثار الحكومة الايرانية ، وجعل علاقاتها مع العراق فى تدهور مستمر ، فبدأت ايران سلسلة من الاعتداءات على العراق منها الاعتداء على شط العرب ، وتجاوزاتها على الأراضى العراقية وبناء المخافر الحدودية فى العمق العراقى (٢٩) .

---

(٢٦) الشناوى : المرجع السابق جـ ٢ ص ٨٢٦ .

(٢٧) عبد العزيز نوار : العلاقات العراقية الايرانية ، بيروت ، دار الفكر العربى ، ١٩٧٤ ، ص ١٤٨ — ١٤٩ .

(٢٨) العراق فى التاريخ ص ٦٦٧ .

(٢٩) عبد الرازق أسود : موسوعة الحرب العراقية الايرانية ، المجلد الأول ، بيروت ، الدار العربية للموسوعات ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م ص ٣٣ — ٣٨ .

٤ — العراق بين الاستقلال المنقوص والاستقلال الحقيقى :

سعت بريطانيا لعقد معاهدة مع الملك فيصل لتنظيم أمور انتدابها على العراق ، فوقع العراق مع بريطانيا اتفاقية فى أكتوبر ١٩٢٢ تضمنت فى متنها أسس الانتداب وفى ملاحقها الأربعة امتيازات واسعة للجانب البريطانى منها ضمان حقوق الموظفين البريطانيين فى العراق ، وعقد اتفاقية عسكرية تضمن وجوب مساعدة بريطانية للعراق ، واتفاقية قضائية لغرض حماية مصالح الأجانب ، هذا الى جانب اقرار اتفاقية مالية تضمن نقل المنشآت العامة البريطانية الى الحكومة العراقية لقاء ثمن باهظ جدا[٣٠] .

ونتيجة لازدياد حدة المعارضة الوطنية ضد هذه المعاهدة بدأت مفاوضات أخرى بين الطرفين انتهت بمعاهدة ١٩٣٠ التى تتلخص نصوصها فى الاعتراف بالعراق دولة مستقلة وانهاء الانتداب البريطانى عليه ومساعدته فى دخول عصبة الأمم فى نظير أن تقوم بعثة عسكرية بريطانية بتدريب الجيش العراقى ، وأن يقوم العراقيون بتقديم التسهيلات اللازمة لبريطانيا من حيث طرق المواصلات وغيرها ، وأن يكون لبريطانيا قاعدتان حربيتان احداهما فى الحبانية بالقرب من بغداد والأخرى قرب البصرة ، وقد حددت مدة هذه المعاهدة بخمسة وعشرين عاما .

ونتيجة لذلك أعلن استقلال العراق ، ودخل على أساس ذلك عصبة الأمم فى عام ١٩٣٢م ، وأصبح موئلا لحركة النهضة العربية ، فلجأ اليه المجاهدون العرب الفارون من التنكيل والملاحقة من سلطات الانتداب أو السلطات المحلية سواء فى فلسطين أم فى شرق الأردن أم فى سورية ، وتجمع العشرات منهم ليشكلوا تيارا وطنيا ينادى بتحرير الأقطار العربية ومقارعة الانتداب[٣١] .

---

(٣٠) العراق فى التاريخ ص ٦٦٨ .

(٣١) اسماعيل ياغى : العراق وقضية الاسكندرونة ، مقال منشور بمجلة كلية العلوم الاجتماعية بالرياض ، العدد السابع ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ص ٢٥ .

وقد استمر الملك فيصل فى حكم العراق اثنتى عشر سنة قاد خلالها العراق فى جميع مراحل تكوينه الدستورى وتحرره السياسى كما أدى دورا اساسيا فى معالجة قضاياه وادارة أعماله(٣٢) فقد عمل فيصل على تأسيس الجيش العراقى الحديث وتطوير نظم التعليم ، والتوسع فى المشروعات السياسية ، وبرهن على انه رجل دولة مقتدر ، وسياسى ذكى وماهر استطاع أن يكسب ثقة شعبه ، ويتحرك فى هدوء لانهاء النفوذ البريطانى(٣٣) وبعد أن وافاه الأجل فقد العراق بموته القيادة الرزينة الحكيمة ، وخلفه ابنه غازى — فى الفترة من عام ١٩٣٣ الى عام ١٩٣٩ — وكان شـــابا فى الحادية والعشرين من عمره يعوزه الخبرة ، وسداد الراى ، وخـــلال فترة حكمه حدثت العديد من التطورات السياسية فى العراق ، فقد شهد العراق العديد من التغييرات السياسية ، وشهد فساد الحياة النيابية ، كما شهد تدخل الجيش فى السياسة ، وقيامه بأول انقلاب عسكرى بقيادة بكر صدقى للاطاحة بوزارة ياسين الهاشمى . وعلى الرغم من فشل هذا الانقلاب فقد ظل الجيش هو القوة المحركة للحركة السياسية فى العراق .

ونتيجة لمقتل الملك غازى الغامض(٣٤) فى عام ١٩٣٩م نودى بابنـــه فيصل الثانى ملكا على العراق وكان وقتئذ يبلغ الرابعة من العمر ، ونظرا لصغر سنه عين خاله الأمير عبد الاله وصيا على العرش ، وظل يحـــكم بالتعاون مع نورى الســـعيد الذى تآمر عـــلى مصالح العراق لخدمـــة بريطانيا .

ونتيجة لقيام الحرب العالمية الثانية فى عام ١٩٣٩م أسرعت حكومـــة نورى السعيد بقطع علاقات العراق الدبلوماسية مع المـــانيا ، ووضـــع موارد وامكانات العراق لمساعدة بريطانيا فى الحرب . ولكن ذلك لم يرض العديد من القوى العراقية التى طالبت باتخاذ موقف الحياد فى هذه الحرب ، مما أدى الى استقالة وزارة نورى السعيد وتأليف وزارة جديدة برئاســـة رشيد عالى الكيلانى فى عام ١٩٤٠م .

---

(٣٢) انطونيوس : المرجع السابق ص ٣٩٥ .
(٣٣) العراق فى التاريخ ص ٦٨١ .
(٣٤) اتهمت الحكومة البريطانية كما اتهم نورى السعيد بتدبير مقتله نظرا لتعزيز علاقته بقيادة الجيش وتأثره بالأفكار الوطنية والقومية .

وكان رشيد الكيلانى من الرجال الذين يجزمون بلزوم الاستفادة من هذه الفرصة لتخليص اكثر ما يمكن من حقوق الأمة العربية ، وكان لا يشك مطلقا بأنه اذا انتهت الحرب فستضاعف العقبات كثيرا فى سبيل استعادة الحقوق المهضومة برغم ادعاء الحلفاء بأنهم يحاربون فى سبيل الديمقراطية ضد النازية[٣٥] ومن هنا حاول الضغط على بريطانيا فطالبها بمنح فلسطين استقلالها ، وبالمساعدة على استقلال سورية ، وضمان تسليح الجيش العراقى بأسلحة حديثة ، والحصول على مكاسب اقتصادية لتطوير الأوضاع فى العراق ، وتعديل المعاهدة البريطانية العراقية ، ونيل اقصى ما يمكن نيله من الحقوق لأهالى الكويت وذلك فى نظير مساندة الحكومة العراقية للحلفاء ، واعلان الحرب على المحور[٣٦] . ولما رفض الانجليز مثل هذه الضغوط اتجهت وزارة الكيلانى الى المانيا التى أعلنت عطفها ، وتأييدها للقضايا العربية ، ونتيجة لذلك عملت بريطانيا على الاطاحة بوزارة الكيلانى ، واقامة وزارة أخرى موالية لها برئاسة طه الهاشمى ، ولكن ضباط الجيش العراقى الذين ساءهم هذا الوضع ارغموا وزارة الهاشمى على الاستقالة واعادة وزارة الكيلانى مما أثار ثائرة بريطانيا وجعلها تتذرع الأسباب لضرب العراقيين ، فقدمت السفارة البريطانية طلبا الى حكومة العراق بالموافقة على انزال القوات البريطانية فى البصرة بحجة عبورها الى فلسطين عن طريق العراق فوافقت الحكومة على هذا الطلب ، ولكنها طلبت تحديد عدد القوات البريطانية بما لا يزيد عن تسعة آلاف جندى فى وقت واحد ، وان لا يطول مكوثهم فى الأراضى العراقية بأكثر من ثلاثة أيام ، ونظرا لمخالفة القوات البريطانية لهذه الشروط احتجت الحكومة العراقية وقامت بتطويق قاعدة الحبانية[٣٧] مما دفع الانجليز الى اطلاق نيران مدافعهم على العراقيين المحاصرين للقاعدة ونشوب القتال بين الطرفين . ونظراً لتأزم الموقف أعلن العراق قطع علاقاته مع بريطانيا ، وطلب المعونة العسكرية والسياسية من المانيا ، وقد وعدت المانيا بتقديم كافة المعونات لمساندة العراق ضد

---

(٣٥) عثمان كمال حداد : حركة رشيد عالى الكيلانى ١٩٤١ ، صيدا ، المكتبة العصرية ص ٩ .

(٣٦) العراق فى التاريخ ص ٦٩٥ .

(٣٧) نفسه ص ٦٩٩ .

الانجليز ، ولكن نظرا لتأخر وصول هذه المساعدات تمكن الانجليز من هزيمة الجيش العراقى ، ولجأ الكيلانى الى ألمانيا ، وانتهت حركته[(٣٨)] . والجدير بالذكر انه على الرغم من الموقف الوطنى الصلب الذى وقفه الكيلانى ورجاله ضد الانجليز دفاعا عن كرامة العراق والأمة العربية فان العراق لم يكن فى وضع يمكنه من محاربة الانجليز ، وكانت النتيجة اصابته باضرار مادية ومعنوية كان من الممكن تفاديها .

وعلى كل حال فقد قام نورى السعيد بتشكيل وزارة جديدة فى العراق عمل من خلالها على تصفية العناصر الوطنية ، والخضوع الكامل للسياسة الانجليزية . وبعد انتهاء الحرب توالت على العراق العديد من الوزارات ، واعلن الوصى عبد الاله عن عزم الحكومة العراقية على اطلاق الحريات والسماح بتأليف الأحزاب ، فقدم نورى السعيد استقالته ، وشكلت وزارة جديدة برئاسة « حمدى الباجه جى » سمحت بعودة النشاط السياسى والتنظيم النقابى[(٣٩)] .

وخلال ذلك شارك العراق فى تأسيس جامعة الدول العربية كما انضم الى المؤتمر التأسيسى لانشاء الامم المتحدة كما جرت بينه وبين بريطانيا مفاوضات فى عام ١٩٤٦م من أجل تعديل المعاهدة القائمة بينهما وانتهت بتوقيع معاهدة فى عام ١٩٤٨ تنص على التحالف الدفاعى بين الطرفين ، وأن يقوم العراق بمقتضاها بتقديم التسهيلات للجيوش البريطانية فى أراضيه ، وعلى اقامة قواعد جوية تساعد على الدفاع عنه ، وقد رفض

---

(٣٨) بعد انتهاء الحرب فى عام ١٩٤٥ استطاع رشيد الكيلانى التخفى ، والوصول الى الرياض والالتجاء الى الملك عبد العزيز آل سعود . وقد اصطدم الملك عبد العزيز باصرار البريطانيين على ابعاد رشيد وتسليمه الى حكومة العراق بحجة انه مجرم حرب ومحكوم عليه بالأعدام ، ودارت محاورات بشأنه بين الحكومتين السعودية والعراقية ، واستطاع الملك عبد العزيز حماية ضيفه واستمر رشيد فى زمره مستشاريه الى أن توفى مؤسس المملكة فى عام ١٩٥٣ فلجأ رشيد الى القاهرة . انظر : خير الدين الزركلى : شبه الجزيرة فى عهد الملك عبد العزيز ج ٣ ، دار العلم للملايين ١٩٧٧ ص ١٢١٩ .

(٣٩) العراق فى التاريخ ص ٧١٢ .

الشعب العراقى هذه المعاهدة ، وقامت المظاهرات المناهضة لها مما اضطر الوصى عبد الاله الى الغائها .

وعندما اندلعت حرب فلسطين ١٩٤٨ ساد العراق جوا من الارهاب السياسى وانكمشت الحركة النقابية ، ومـع ذلك اشـتد موقف الشعب العراقى فى مطالبة حكومته بارســال قوات الى فلسطين للقتــال بجانب المناضلين ، وقد تم ارسال قوات عراقية الى فلسطين ولكنها لم تتمكن من أداء دورها القتالى تماما خصوصــا وان استعداداتها كانت غــير مهيأة وتنقصها المعلومات عن العدو مما دفع نورى السعيد الى سحب الجيش العراقى من فلســطين ، ومــكن العصابات الصهيونيــة من احتــلال مواقعه[٤٠] .

وبعد استقالة وزارة نورى السعيد فى يوليو ١٩٥٢ أخذت الأحزاب العراقية تطالب بالاصلاح العام ، ولكن الحكومة استطاعت كبح جماح هذه الحركة ، ومارست الحكم الدكتاتورى باسم الأحكام العرفية وعــلى الرغم من أن فيصل الثانى قد توج ملكا على العراق فى عام ١٩٥٣ فقــد ظل خاله عبد الاله ونورى السعيد يحركان الأحداث فقام نورى السعيد فى عام ١٩٥٤ بتكميم الأفواه كما قام باشراك بلاده فى حلف بغداد فى عــام ١٩٥٥ الذى قررت الدول الغربية تشكيله بهدف الدفاع عن الشرق الأوسط ضد الشيوعية[٤١] ورفضته الدول العربيــة مما زاد من نقمــة الشعب العراقى عليه وانتهى الأمر بتحرك الجيش العراقى فى عام ١٩٥٨ وقيامه بانهاء الحكم الملكي ، واعلان النظام الجمهورى مما احدث تغييرات جذرية واضحة فى تاريخ العراق ، ودل عــلى أن الشخصية العربيــة بطاقاتها الكامنة ، وبامكانيات أداء رسالتها الانســانية الحضارية شخصية قابلة على الاستمرار فى الوجود ، ترفض التسليم والاستسلام بل هى تنتقــل دوما من حالة السلب الى حالة الايجاب وبدأ العراق يختط لنفسه طريقا آخر غير الطريق الذى رسم له من قبل .

وبعد أن تولى عبد الكريم قاسم رئاسة الحكومة وقيادة الجيش عمل على الانفراد بالأمر ، وأزاح زميله عبد الرحمن محمد عارف عن السلطة ،

---

(٤٠) العراق فى التاريخ ص ٧٢٦ — ٧٢٧ .

(٤١) نفسه ص٧٣٤ .

لأنه كان يمثل نقطة قيادية فى العراق وبدات امارات الانحــراف تظهر فى سياسته خاصـــة بعد بطشه بالوطنيين ، ونجاح الشيوعيين فى السيطرة عليه عن طريق الادعاء بأنهم يريدون أن يكون الزعيم الأوحــد فى العراق[٤٢] يضاف الى ذلك أنه قام بشن عملية ابادة حقيقية ضد معارضيه اسفرت عن سقوط آلاف الضحايا كما تميزت سياسته الخارجية بالعديد من الأزمات مع الدول العربية ، وانتهى أمره بانقلاب عسكرة اطاح بـــه فى الثامن من فبراير ١٩٦٣ وتسلم الحكم من بعده عبد السلام محمد عارف الذى استمر فى الرئاسة حتى سقطت به الطائرة فى البصرة عام ١٩٦٦ .

وقد تسلم رئاسة الجمهورية بعد الرئيس عارف أخوه عبد الرحمن عارف الذى استمر فى الحكم حتى استطاع حزب البعث العربى الاشتراكى أن يقوم بانقلاب عسكرى عليه فى ١٧ من يوليو ١٩٦٨ ويتسلم السلطة .

وبعد أن تسلم حزب البعث ادارة دفة أمور العراق ، تولى الفريق أحمد حسن البكر رئاسة الجمهورية ، وفى عام ١٩٧٩ تنازل عنها للرئيس صدام حسين .

الحرب العراقية الايرانية :

وبعد قيام الثورة فى ايران ، بدات النوايا الاستفزازية ضد العراق تتضح فى تصريحات القادة الايرانيين ، كما تعرضت المصالح العراقية فى ايران لأعمال عنف واعتداء ، **فتعرضت سفارة العراق فى طهران للعديد** من الأعمال الاستفزازية ، والتهديد بالحرق والاحتلال ، ومارست السلطات الايرانية أساليب غير مسئولة ضد المدارس العراقية فى ايران،واخذت فى الاساءة الى العراق هناك[٤٣] كما أخذت ايران فى انتهاك روابط حسن الجوار مع العراق فبدأت تتدخـــل فى شئونه عن طريق تشكيل امتدادات تنظيمية لمـــا يسمى بحزب الدعوة الذى يقوم بمساندة الحركات المناهضة ضد العراق ، والى جانب ذلك تعرضت حدود العراق الشرقية ومجاله

---

(٤٢) أحمد فوزى : ثورة ١٤ رمضان ، القاهرة ، الشركة العربيـــة للطباعة والنشر ، ١٩٦٣ ص ٢٧ — ٢٨ .
(٤٣) عبد الرازق أسود : المرجع السابق ص ١١١ — ١١٣ .

الجوى الى العديد من التجاوزات التى شملت قيام الطيران العسكرى الايرانى باختراق حرمة الأجواء العراقية وقصف المخافر ، والأراضى والقرى الحدودية ، ومهاجمة دوريات الشرطة ، وحرس الحدود داخل الأراضى العراقية ، وكذلك انتهاك حرمة المياه الاقليمية العراقية والاعتداء عليها[٤٤] .

ونتيجة لذلك اندلعت نيران الحرب بين العراق وايران ثم دخلت هذه الحرب مرحلة خطيرة من التصعيد الشامل لحرب الناقلات وضرب الأهداف الاقتصادية والصناعية للعراق فقد واصلت ايران ضرب الناقلات فى المياه الدولية بالخليج ، وقصف المدن والمراكز السكانية العراقية خاصة مدينة البصرة[٤٥] .

وفى نفس الوقت قامت الطائرات العراقية بغاراتها على العمق الايرانى والأهداف البحرية الايرانية ، واستمرت الحرب بين الدولتين المسلمتين تحصد الأرواح وتأكل الثمار وخطط التنمية والثروات،وكادت تتسع دائرتها لتشمل دولا اخرى فى المنطقة خاصة بعد أن أعلنت الكويت عن اطلاق صاروخين ايرانيين على بعض المنشئات المدنية والصناعية بها[٤٦] .

وفى الوقت الذى بدأ فيه مناخ الوساطات الاقليمية والدولية الساعية لبذل جهودها لوقف نزيف الدم فى هذه الحرب المدمرة ، والتى أصبحت اتجاهاتها تصب فى صالح أعداء الاسلام الذين يتربصون بالأمة الاسلامية ويريدون تدمير قدراتها وتحطيم منجزاتها .

وعلى الرغم من نداءات العراق للسلام ، وجهود السكرتير العام لهيئة الأمم المتحدة السلمية ، فقد استمر النظام الايرانى فى مراوغته ضد السلام ، وفى الماطلة والتسويف فى الاستجابة لارادة المجتمع الدولى . ونظرا لخطورة الحرب على الأمن والسلام الدوليين ، والخسائر المادية

---

(٤٤) نفسه ص ١١٧ — ١١٨ .
(٤٥) عكاظ السعودية : العدد ٧٧٣٢ فى ١٤٠٨/١/١١هـ .
(٤٦) الشرق : العدد ٤٢١ فى ١٩ محرم ١٤٠٨هـ .

والبشرية التى تعرض لها البلدان فى أطول حرب وقعت ، وأكثرها شراسة وفداحة وبشاعة من حيث خسائرها البشرية والمادية بدأ المجتمع الدولى يحاول وضع حد فورى للنزاع فأصدر مجلس الأمن الدولى قراره رقم (٥٩٨) والذى يقضى بوقف اطلاق النار بين البلدين المتحاربين وانسحاب كافة القوات الى الحدود المعترف بها دوليا ، وارسال فريق من مراقبى الأمم المتحدة من تنفيذ وقف اطلاق النار ، وتأكيده والاشراف عليه ، وأن يتم اطلاق سراح أسرى الحرب ، واعادتهم الى بلادهم وفقا لاتفاقية جنيف الثالثة لسنة ١٩٤٩م .

وبعد صدور القرار بات من الواضح أن هنـاك ارادة دولية تحبذ وقف اطلاق النار بين البلدين المتحاربين ولكن مع هذه الارادة يصعب نفى وجود خلافات بين الدول الخمس الكبرى الدائمة العضوية فى مجلس الأمن حول الوسيلة الأنجح لوضع حل نهائى للحرب خاصـة على ضوء رفض ايران القبول بمبدأ وقف اطلاق النار وقيامها فى الوقت ذاته بزرع الألغام البحرية فى الخليج(٤٧) ونتيجة لذلك فقد كلفت الدول الخمس الكبرى الأعضاء فى مجلس الأمن السكرتير العام للأمم المتحدة « دى كويلار » باتخاذ الاجراءات اللازمة لتنفيذ القرار ٥٩٨ .

وقد تمسك العراق بتنفيذ القرار ، ورحب بتنفيذه فى حين طالبت طهران بتحميل العراق مسئولية تفجير النزاع ، وأصرت على تحديد الطرف البادىء بالحرب ، وفرض العقوبات الصارمة عليـه قبل وقف اطـلاق النار ، واستمرت الحرب بين البلدين ولكن اصرار المجتمع الدولى عـلى ايقاف الحرب ونتيجة للمقاطعة التجارية والعسكرية التى فرضتها الولايات المتحدة والدول الأوربية على ايران(٤٨) أجبرت ايران فى نهاية الأمر على وقف اطـلاق النـار ، والدخـول فى المفاوضـات تحت اشراف الأمم المتحدة بجنيف .

وقد استحوذت مسألة السلام بين العراق وايران ، وسبل الانتقال من حالة وقف اطلاق النار الى حالة السلام اهتمام المسئولين فى العديد

(٤٧) الشرق : فى ١٩ محرم ١٤٠٨هـ ص ١٢ .

(٤٨) اليمامة السعودية : العدد ٩٧٨ فى ١٣ ربيع الأول ١٤٠٨هـ .

من الدول فبالاضافة الى ما بذله الأمين العام للأمم المتحـدة « بيريزدى كويلار » من مساع حثيثة لتوفير فرص البدء لاقامة حوار صريح يؤدى الى حسم المسائل المتعلقة بين البلدين برزت مبادرة الرئيس العراقى صدام حسين والتى تضمنت الدعوة الى مفاوضات مباشرة فى العاصمتين ، مـع اجراءات لفتح الحدود ، واتخاذ خطوات ملموسة أخرى منها تشكيل خمس لجان من الخبراء والفنيين ، تجتمـع فى بغداد وطهـران وبالتناوب لبحث جميع عناصر أنواع النزاع بين البلدين خلال مدة أقصاها ثلاثـة أشهر ، وذلك تمهيدا لعقد اجتماع بين وزيرى خارجية البلدين دون استبعاد لقاء على مستوى أعلى يحضره الأمين العام للأمم المتحدة فى مكان وزمان يتفق عليهما وذلك لايجاد الأساس لانهاء النزاع بين البلدين ، واقرار حقوقهما المشروعة ، واقامة علاقات حسن جوار حقيقية بين الطرفين ، وان يعقب ذلك اتفاقية سلام جديدة بين العراق وايران[٤٩] .

كما أعلنت موسكو عن استعدادها لعقد لقاء وزارى بين الطرفين من أجل التوصل الى حل شامل للنزاع بينهما .

ومن الواضح أن العراق يريد فتح صفحة جديدة مع ايران خاصة وأنه كان يسير بخطوات واثقة وعزيمة قوية ، ويتمتـع بدعم مـالى وسياسى ودبلوماسى ومعنوى من الدول الخليجية فى حين أصبحت ايران تعانى ضعفا فى بنيانها السياسى اضافة الى الوهن الاقتصادى والتخبط الفكرى والارتبـاك الداخلى[٥٠] يضاف الى ذلك أن حالة العراق العسكرية كانت لا تزال قوية وقادرة على مواجهة أية مواقف محتملة ، كما أنه كان بوسعها الحفاظ على الوضع الراهن من منطلق ميزان القوى ، ومن منطلق التأكيد على ضرورة احترام الحدود الشرعية القائمة والمعترف بها دوليا . وقد اثبت ذلك وسائل التقييم التى تمتلكها الدول الكبرى من الأقمار الصناعية الى الاستخبارات والتحاليل السياسية[٥١] ، كما اثبته النجاح الذى حققه مجاهدو التصنيع

---

(٤٩) هيئة كتابة التاريخ بالعراق : الندوة القوميـة لمواجهة الدس الشعوبى جمادى الأولى ١٤١٠هـ — ديسمبر ١٩٨٩م ، البيـان الختامى والتوصيات ص ٧ .

(٥٠) الشرق الأوسط : العدد ٤٠٨٥ فى ١٩٩٠/٢/٣ .

(٥١) الحوادث اللبنانية فى ١٩٨٦/١٠/١٠ ص ٦٦ .

العسكرى فى العراق باطلاق منظومة العابد ، وصواريخ تموز البعيدة المدى ، وما أشاعه هذا الانتصار من عظيم الفرح والاستبشار ، وما عمق من ايمان بالقدرات العربية[٥٢] .

والواقع ان المفاوضات التى تمت تحت رعاية الأمم المتحدة لم تتعثر بسبب خلاف أولويات تنفيذ القرار ٥٩٨ بل بسبب افتقار الجانب الايرانى الى قرار حاسم فى شأن السلام فايران لم ترغب فى مفاوضاتها التطرق الى النواحى الجوهرية فى القضية والعمل على ايجاد تسوية شاملة ، وعقد معاهدة صلح متكاملة ، بل كانت تحاول أن تجعل من القرار ٥٩٨ مجرد هدنة بين البلدين ، والتقاطا للأنفاس[٥٣] .

وفى الحقيقة أن هذه الحرب لن تنته بمنتصر ، وكان على الايرانيين الاقتناع بضرورة أن الموقف لن يحسم الا عن طريق السلام[٥٤] وانه يجب تحكيم العقل والمنطق لقطع الطريق على محاولات التدخل الأجنبى التى تتبلور تحت مظلة حرب المصالح فى المنطقة .

وعلى كل حال فان هذه الحرب قد أدت الى تمزيق الصف الاسلامى فى وقت كان فى اشد الحاجة فيه الى الوحدة والترابط مما اتاح للقوى الخارجية العمل على استغلال هذا الصراع للاخلال بموازين العلاقات فى العالم الاسلامى ، ومما جعل اسرائيل تنتهز فرصة اشتعال هذه الحرب ، وتقوم بضرب المفاعل النووى العراقى على أطراف بغداد فى يونيو من عام ١٩٨١[٥٥] هذا الى جانب قيامها بتزويد ايران بالأسلحة والمعدات الحربية لضرب العراق .

ونتيجة لتبين الخيوط الواضحة للنصر العراقى فى حرب الخليج بدأ العراق يتجه نحو التحرر من التبعية بكافة صورها الاقتصادية والعلمية

---

(٥٢) هيئة كتابة التاريخ بالعراق : النـدوة القومية لمواجهة الدس الشعوبى ١٤١٠هـ — ديسمبر ١٩٨٩ ، البيان الختامى والتوصيات ص ٥ .

(٥٣) اليمامة : العدد ١٠١٩ فى ٩ محرم ١٤٠٩هـ .

(٥٤) الحوادث فى ١٠/١٠/١٩٨٦ ص ٦٦ .

(٥٥) مجلة الدعوة : العدد ١٠٥٩ فى ٢٥/١/١٤٠٧هـ .

والتكنولوجية والتسليحية ، كما بدا فى قطع شوط بعيد نحو بناء المستقبل ، ونحو زيادة قدراته المستقبلية فى الدفاع عن نفسه وارضه . ومن هنا بدأ أعداء تقدم العرب ، والراغبين فى اجهاض اى تفوق عربى الى محـــاولة تشويه موقف العراق لاجهاض تقدمه [٥٦] وقد رد عليهم الرئيس العراقى صدام حسين بأن بلاده لديها التصميم والارادة بأن ترد على أى عدوان ، وعندما ازدادت التهديدات الصهيونية للعراق رد عليهم الرئيس العراقى بأنه سيحرق نصف اسرائيل بالأسلحة الكيماوية المزدوجة اذا حاولت الاعتداء على العراق .

ان اسرائيل لم تخف أهدافها المعلنة ضد العراق . فقد قال « اسحاق شامير » و « شمعون بيريز » و « رفـــائيل ايتان » أكثر من مرة أن تل أبيب كانت على الدوام تخشى القوة العسكرية المتنامية فى العراق [٥٧] .

ونتساءل فى النهاية هل من خاسر فى هذه الحرب المجنونة غير ابناء الشعبين المتحاربين ، وأشقائهما من العرب والمسلمين .

وفى الوقت الذى كان ينتظر فيه العالم العـــربى الدعم والمساندة من العراق ، قام الرئيس العراقى بغزو الكويت فى الثانى من اغسطس ١٩٩٠ مما أدى الى تفتيت شـــمل العالم العـــربى ، واهتزازه أمنيـــا واقتصاديا واجتماعيا ، وانتهى الأمر باصدار مجلس الأمن لقراراتـــه بشـــأن انسحاب العراق من الكويت ، ورفض العراق لهذه القرارات وقيام الحرب بين قوات التحالف وقوات صدام حسين التى انتهت بهزيمة الجيش العراقى واعادة السيادة الى الكويت ، وتأخير المنطقة العربية تنمويا وعمرانيا مراحل زمنية ترمم خلالها بنيتها وتستعيد توازنها واستقرارها .

---

(٥٦) القبس الكويتية : الثلاثاء فى ٨ رمضان ١٤١٠هـ / ٣ ابريل ١٩٩٠م .

(٥٧) المشرق : ١٩ محرم ١٤٠٨هـ ص ١١ .

الـملاحق

ملحق رقم (١)

رسالة من الأمير شكيب ارسلان الى الكاتب العراقي عثمان حداد يوضح له فيها وجهة نظره في القضية العربيـــة

جنيف في ٣ رمضان المبارك ١٢٥٩ الى بغداد .

الى الأخ والابن عثمان المحترمين أطال الله بقاهما واخذ بأيديهما .

قد وصلني المكتوب الثـــاني الذي تاريخه ٢٥ مايو . وقد صرت باعثا اليكم بمكتوبين بواسطة برلين أولهما تاريخـــه ١٢ ايلول وثانيهما تاريخه ٢٤ منه أرجو تعريفي وصولهما مع تعريفي وصول هذا الذي انا كاتبه الآن وان تكتبوا الي بواسطة برلين :

قضية الاعلان الرسمي الذي يقترح على دولتي المحور الاسراع به باعترافهما باستقلال البلاد العربية التي انفصلت عن السلطة العثمانية والبلاد العربية التي كانت مستقلة من قبـــل ذلك والبـــلاد العربية التي استقلت بعد الحرب العامة كالعراق ومصر هذه أنا : الفقـــير الى ربـــه متابعها من أكثر من سنة بكل الحاح لاسيما في برلين وقد اقترحتها شفاها ثم بعد أيابي من برلين الى سويسرة في أول شهر رمضان الفائت كتبت بشأنها عدة مرات وكانوا يجيبون انهم اذاعوا ذلك بالراديو وكنت أجيبهم ان كلاما يذهب في الهواء لا أعده تصريحا رسميا فنحن لأجل اطمئنان الأمة العربية نريـــد تصريحا خطيا من الحكومة الألمـــانية بذلك تنشره الجرائد وتذيعه المذاييع . وكلما طالبناهم بهذا عمدوا الى الراديو فكرروا الشيء نفسه وعمدنا نحن الى الكتابة قائلين : هذا لا نعده تصريحا رسميا وانما نريده بالورق منشورا بالصحف . والى الآن لم نحصـــل عليـــه حسبما طلبناه . أهذا على نية انهم لا يريدون أن يتقيدوا بازاء الغـــرب بتصريح رسمي في مسئلة جليلة كهذه ! أهذا لأنهم لا يجدونني كافيا لأمثل العرب وحدي في طلب كهذا وهم ينتظرون صدور هذا الطلب عن ابن سعود والامام

يحيى والحاج امين الحسينى وزعماء العراق وسورية ! اهذا لأنهم مشغولون بالحرب وبما هواهم من هذا الآن ؟ لا اعلم . ولذلك قلت فى كتابى السابق أن تطلبوا اليهم هذا الطلب . لورق موقعا عليه منكم ومن زعماء العرب العراقيين وتأخذوا مثله من الزعماء السوريين وان أمكن أن تبعثوا الى جلالة الامامين ليقترحا على برلين هذا الاقتراح وانا لو كانت البوسطة حرة لكتبت اليهما بذلك ولكن من شهر ابريل جاءنى من جلالة عبد العزيز مكتوب فتحته المراقبة الانكليزية والصقت عليه علامة الفتح وكتبت انا اليه بما وجدت وقدمت له الورقة المكتوب عليها بالانكليزى انه فتح فما جاءنى جواب فعلمت ان البوسطة فى أيدى هؤلاء الجماعة فقطعت مكاتبتى لهما مع انى من أول الحرب كانت المكاتبة بينى وبين كل منهما متصلة واظننى قد كنت ذا تأثير فى ملازمتهما للحياد فقد كان كل منهما يجاوبنى على كل كتاب طالبا مواصلة الكتابة اما ايطاليا فقد نصحت لها بان تطمئن المصريين على استقلالهم وانها ان كسرت الانكليز فى مصر سحبت جنودها منها فى الحال وكان قنصل ايطاليا فى جنيف يبلغ ما أقوله تلغرافيا الى رومة ويؤكد لى ان كتاباتى وآرائى تقدم الى موسولينى حالا . وقد نشرت ايطاليا هذا البيان بالورق وكررته واعلنت زيادة عليه أنها تعد القاهرة مدينة مفتوحة فلا ترميها بالقنابل وهكذا استجابت الحكومة المصرية الى فكرة عدم الحرب .

واطمئن المصريون على مستقبلهم وابوا أن يدخلوا فى الحرب برغم مساعى انكلترا فى ادخالهم فيها وبرغم النقراشى واحمد ماهر واضرابهما وقنصل ايطاليا الجنرال هنا وهو بينهم من السياسيين يقول لى ان آراءى هذه أثرت كثيرا فى خطة زعيم ايطاليا هذه .

اخبرتكم فى كتابى السابق انه يوم طلبت فرنسا الصلح واجتماع الزعيمين الالمانى والطليانى فى مونيخ بعثت الى كل منهما ببرقية احداهما بشيفرة قنصلية المانيا والثانية بشيفرة قنصلية ايطاليا « باننا لا نقدر ان نطيق وجود فرنسا فى سورية ولبنان وكذلك مسلمو شمالى أفريقية ينتظرون ساعة خلاصهم من فرنسا دولتى المحور تعترفان لنا بالاستقلال التام الناجز وانى أنا ذو صلاحية لذلك » .

هذا لم يرد لي جواب منهما عنه وانا مقصدى ان يعرفا ماذا نريد حتى لا يقولا لنا فى المستقبل : ما ذكرتم لنا شيئا مما تطلبون .

ثم ذكرت لكما فى احد مكتوبى السابقين ان اشارة من برلين وردتنى بابداء آرائى كيف يجب أن تكون حكومات البلدان العربية بعد هذا الحرب فحددت لائحة ٣٠ صفحة تتضمن أن تكون سورية ولبنان وفلسطين وشرق الأردن مملكة متحدة ثم نرتبط باتحاد آخر أو بمحالفة مع العراق وكذلك مع الملكة السعودية وان أصر السوريون على الاتحاد بالعراق فلابد من ارضاء ابن سعود بشرق الأردن وان رضى اهل فلسطين فتكون فلسطين وشرق الأردن تحت سيادته . هذا أمر يفصل فيه مؤتمر عربى تتمثل فيه كل البلاد العربية . ثم ان هذه الممـــالك ترتبط سياسيا واقتصاديا وعسكريا مع الملكة السعودية والملكة اليمنية داخلة فيها الحج والنواحى التسع وحضرموت والمكلا وينضم الى هذه الملكة ايضا الملكة العمانية والبحرين والكويت . ثم تنعقد محالفة بين هذه الكتلة العربية ومصر المتحدة مع السودان فيكون الجميع نحو ٥٠ مليون نسمة ، ووجود هذه الكتلة العربية ضرورى للسلام العام اذ بقاء هذه البلدان مبعثرة يعرضها للخطر سواء من جهة تركيا أو من جهة دول أوربية فتشب الحروب بسببها . وقد تكلمنا على معاهدة تحالف بـــين هـــذه الكتلة العربيـــة ودولتى المحور ملخصا . وانا خائف من خلاف بين ابن سعود والعراق من أجل سوريـــة أشرتما بان أذهب الى رومة وبرلين لأجل المفاوضة فى هذا الشأن ولو أدى ذلك الى منع رجوعى الى سويسرة والحال انى أنا كتبت كل ما أريده من هنا الى برلين وروما فهما تعلمان كل أفكارى بواسطة قنصليتيهما هنا على انى لو تحققت ان سفرى اليهما يأتى بالنتيجة المطلوبة لذهبت ولم أبال بعدم الرجوع ولكن الذهاب من دون دعوة من هناك قد يكون بلا نتيجـــة وافقد حرية الرجوع وتبقى عائلتى فى جنيف وحدها وهى لا تستطيع أن تعيش أن لم اكن عندها وأحوال المعيشة فى اثناء هذه الحرب ضنك شديد . نحن فى انتظار جوابكما والسلام عليكما ورحمة الله وبركاته .

ابـــو غـــالب

أعاد الله هذا الشهر المبارك عليكما
مائة عام بالسعد والاقبال

ملحق (٢)

رسالة من الأمير شكيب أرسلان الى الكاتب العراقى عثمان حداد فى ١٠ / ١٠ / ١٩٤٠

جنيف فى ٧ شهر رمضان المبارك ١٣٥٩

حضرة ولدنا الأعز الأجل السيد عثمـــان كمال حفظـــه الله وادام توفيقـــه .

اخذت اليوم كتابك رقم ٢١ شعبان وفهمت منه وصول كتابى المؤرخ فى ١٠ شعبان وسيصلكم ان شاء الله غيره فانى كتبت اليكم مكتوبا ثانيا فى ٢٤ أيلول وفق ٢٤ شـــعبان ثم مكتوبا ثالث فى ٧ تشرين الأول اى فى ٤ رمضان وكل هذا على طريق برلين وهاانذا الآن كاتب الرابع على الفور لمـــا اوصيت بـــه من أن لا اكتب اليك بعد ٢٠ رمضـــان لأن الرســـول لا ينتظر الا الى هذا التاريخ فعسى أن يدركه كتابى هـــذا وهو لا يزال فى مدينة السلام .

اخبرتكم من قبل أن المكتوب الأول عاد فوصل وقد اعتذر عن تأخيره بعدم وصوله الى رومة فى حينه . أما أن المـــانيا اعترفت لايطاليا بكونها سيدة البحر المتوسط فلا يستلزم ذلك مساس ايطاليا لاستقلال البـــلاد العربية فهذا شىء آخـــر . ولا اظن المـــانيا ستنظر الى البلاد العربيـــة سورية وفلسطين والعراق وجزيرة العرب كمستعمرات لايطاليا ؟ لو كان ذلك كذلك ما جاءتنى اشارة من برلين لبيان آرائى فيما يجب أن يـــكون عليه مستقبل الممالك العربيـــة ؟ ثم لو كان ذلك كذلك ما جاءنى اثنان من مأمورى الخارجية الألمـــانية فطلبا الى — وذلك من ٢٠ يوما — توصية الى جلالة ابن سعود وشـــبه اشارة تعـــريف الى من اعتمـــد عليهم فى سورية . وأنا مع كونى أرجح أن المـــانيا جعلت لحليفها حق التقـــدم فى الشرق الأدنى لا أعتقد أن المـــانيا ستلقى حبلها على غاربها فيه . ومع هذا فنحن ان كنا « أوادم » تقرب الينا كل من هؤلاء واعترفوا باستقلالنا التام واكتفوا بالمحالفات التى لا تجحف بحقوقنا ومصالحنا وان لم نـــكن

« أوادم » كما كنا فى بيئات كثيرة فلا تفيدنا المـــانيا ولو اصدر لنا هيتلر فرمـــانا مطنطنا بكل اســـتقلال نريده . وبالاختصــــار ان مست ايطاليا استقلال سورية أو فلسطين أو مصر — وهذا لا أظنه — نكون أعداء لها بكل وجه وان وافقتها المـــانيا على ذلك نعادى المـــانيا أيضا ونعود فنصالح أعداء دولتى المحور ونتفق مع الأتراك وان لجأ الأمـــر مـــع البولشفيك فان الدنيا لا تصير كلها صفا واحدا . فأى من اعتـــدى علينا صارحناه بالعداوة وصادقنا عدوه . لا تظنوا انى اكتب هذا فى رســـالة خصوصية لكم وللسيد صلاح فقد كتبته بامضائى فى جريدة البيان الواصلة فى طيـــه من الاحتياط لعل هذه المقالة لمـــا تصلكم . وقد ترجمتها وبعثت بها الى رومة صحبة مكتوب منى أؤيدها فيه وذلك بواســـطة كورتيزى قنصـــل ايطاليا الجنرال هنا . ومثل ذلك فعلت تجاه المـــانيا تماما . وأنتم فابلغوا من تجتمعون بهم من الطليان والالمـــان ذوى العلاقة بالسياسة اننا نحن لا نعتقد بأنهم يغدرون ويفعلون افعال الانكليز والفرنسيين الا أنه عـــلى فرض البعيد جرى هذا منهم فالأمة العربية ستكون هذه خطتها كما قلت انا ولا حكمة غير هذه الحكمة .

قرىء فى بعض الجرائد المصرية ان العراق يقترح اعادة الحكومـــة الوطنية العربية فى الشام فعسى أن يتم ذلك قريبا ويعود مجلس النواب السورى كما كان — لأن حل فرنسا له كان من جملة النصب — ويعـــود هاشم الأتاسى رئيسا للجمهورية ويكون شكرى القوتلى رئيسا للحـــكومة السورية ويقصى عنها المذبذبون ... ولا يلزم انتظار نهاية الحرب فمن يعلم متى تكون نهايتها ؟ ليس عندىمن الأخبار الا ماتعلمونه بالجرائد والراديو وعسى أن يكون وراء اجتماع هيتلر وموسولينى تدابير يقصر بها اجـــل الحرب (وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم) وسلامى الى صـــلاح افندى الذى ذكره ورد فى تقريرى الذى تقدم الى برلين فى ٢٢ آب وقيـــل فيه انه لابد أن يؤخذ برأيه فى كل مسئلة عربية وانه اعظم خصم رأتـــه انكلترة فى طريقها الى الشرق الأدنى هكذا بالحرف فلا ازال اتوجس خيفة الخلاف بين ابن سعود والعراق من أجل سورية فى المستقبل . وعلى الله فليتوكل المتوكلون .

المخلص
أبـــو غالب

ثبت المصادر والمراجع

احمد عبد الرحيم مصطفى : فى اصول التاريخ العثمانى ، بيروت ، دار الشروق ، ١٤٠٢هـ .

احمد فوزى : ثورة ١٤ رمضان ، القاهرة ، الشركة العالمية للطباعة والنشر ، ١٩٦٣م .

امين سعيد : ملوك المسلمين المعاصرون ودولهم ، القاهرة ، البابى الحلبى ، ١٩٣٣م .

بديع جمعة : الشاه اسماعيل الكبير ، بيروت ، دار النهضة العربية ، ١٩٨٠م .

جورج انطونيوس : يقظة العرب — ترجمة على حيدر الركابى — دمشق مطبعة الترقى ، ١٣٦٥هـ .

خير الدين الزركلى : شبه الجزيرة فى عهد الملك عبد العزيز ج ٣ ، بيروت دار العلم للملايين ، ١٩٧٧م .

عبد الرازق اسود : موسوعة الحرب العراقية الايرانية ، المجلد الأول بيروت ، الدار العربية للموسوعات ، ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م .

عبد العزيز الشناوى : الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها ج ١ القاهرة ، الأنجلو المصرية ، ١٩٨٠ .

عبد العزيز نوار :

(أ) تاريخ العراق الحديث من نهاية حكم داود باشا الى نهاية حكم مدحت باشا ، القاهرة ، دار الكتاب العربى ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م .

(ب) الشعوب الاسلامية ، بيروت ، دار النهضة العربية ، ١٩٧٣م .

(حـ) العلاقات العراقية الايرانية ، بيروت ، دار الفكر العربى ، ١٩٧٤ .

عثمان كمال حداد : حركة رشيد عالى الكيلانى ١٩٤١ ، صيدا المكتبة العصرية ، د . ت .

عمر عبد العزيز : تاريخ المشرق العربى ١٥١٦ — ١٩٢٢ ، بيروت دار النهضة العربية ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .

مجموعة من الأساتذة العراقيين : العراق فى التاريخ ، بغداد ، ١٩٨٣ .

محمد فريد : تاريخ الدولة العلية العثمانية — تحقيق احسان حقى — بيروت ، دار النفائس ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م .

محمود صالح منسى : حركة اليقظة العربية فى الشرق الآسيوى ، القاهرة دار الفكر العربى ، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م .

مصطفى ماهر وكمال رضوان : ألمانيا والعالم العربى .

هيئة كتابة التاريخ بالعراق : الندوة القومية لمواجهة الدس الشعوبى جمادى الأولى ١٤١٠هـ ديسمبر ١٩٨٩م ، البيان الختامى والتوصيات .

الدوريات :

الحوادث اللبنانية : ١٠/١٠/١٩٨٦ .

الدعوة : العدد ١٠٥٩ فى ٢٥ / ١ / ١٤٠٧ هـ .

الشرق الأوسط : العدد ٤٠٨٥ فى ٣ / ١٩٩٠م .

عكاظ السعودية : العدد ٧٧٣٢ فى ١١ / ١ / ١٤٠٨هـ .

القبس الكويتية : ٨ رمضان ١٤١٠هـ — ٣ ابريل ١٩٩٠م .

مجلة كلية العلوم الاجتماعية بالرياض : العدد السابع ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .

المقتطف : المجلد الثالث والتسعون ، يونيو — ديسمبر ١٩٣٨م .

اليمامة السعودية : العدد ٩٧٨ فى ١٣ ربيع الأول ١٤٠٨هـ والعدد ١٠١٩ فى ٩ محرم ١٤٠٩هـ .

(٦)

الجزائر في التاريخ الحديث والمعاصر

١ ـ الجزائر تحت الحكم العثمانى :

اصبحت الجزائر جزءا من املاك الدولة العثمانية منذ عام ١٥١٨م وذلك بعد أن استنجد خير الدين بربروسا[١] Barberoussa بالسلطان سليم الأول العثمانى[٢] وارسل اليه القاضى « أبو العباس أحمد بن قاضي[٣] » لتصوير اوضاع المسلمين المتردية فى الجزائر ، وعرض ابعاد القضية عليه ، ومطالبته بربط مصير الجزائر السياسى بالدولة العثمانية ، وتقديم المساعدات العسكرية لها حتى تتمكن من قيادة عمليات الجهاد الدينى ضد الأسبان خصوصا وأن النزاع بين بنى مرين وحكام تلمسان قد أدى الى توغل الأسبان فى السواحل الجزائرية ، وقد نجحت البعثة الجزائرية فى تحقيق أهدافها حيث سارع السلطان سليم بارسال قوة من سلاح المدفعية العثمانية مع الفين من الجنود الانكشارية الى الجزائر ، كما سمح بالتطوع لمن يشاء من رعاياه من المسلمين ، والانخراط فى صفوف المجاهدين يضاف الى ذلك انه أعطى خير الدين بربروسا رتبة

---

(١) عبد العزيز الشناوى : الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى جـ ٢ ، القاهرة ، الانجلو المصرية ، ١٩٨٠م ص ٩٠٧ .

(٢) أرجمند كوران : السياسة العثمانية تجاه الاحتلال الفرنسى للجزائر ـ ترجمة عبد الجليل التميمى ـ تونس ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٤ ص ١٧ .

(٣) للتفاصيل ، وحول رغبة خير الدين بربروسا فى الذهاب الى استنبول بنفسه ثم عدوله عن ذلك ، وارساله بمبعوث شخصى له الى السلطان سليم ، انظر : المجلة التاريخية المغربية ، تونس ، العدد السادس ، يوليو ١٩٧٦ ، مقال للدكتور عبد الجليل التميمى تحت عنوان « أول رسالة من أهالى مدينة الجزائر الى السلطان سليم » .

« بيكلربك » افريقية اى بك بكوات المغرب[٤] ، والتى تخول لصاحبها العديد من الاختصاصات ، كما أعطاه لقب قبودان باشا الذى أتاح له قيادة الأساطيل العثمانية ، وقيادة القوات المسلحة ، ونتيجة لذلك دخلت الجزائر رسميا تحت السيادة العثمانية[٥] ، وتحقق لبربروسا الحصول على القوات اللازمة لصد الهجوم الأسبانى على بلاده[٦] ، وتوجيه العديد من الضربات القوية للسواحل الأسبانية والى جانب ذلك اصبح بربروسا الحارس الأمامى للدولة العثمانية فى الحوض الغربى للبحر المتوسط ، كما عهد اليه السلطان سليمان القانونى بفتح تونس ، وقد تمكن من ذلك بعد أن طرد منها المولى الحسن حليف الأسبان[٧] واعلنت تونس ولاية تابعة للدولة العثمانية[٨] ونتيجة لذلك قدم بربروسا للاسلام خدمات جليلة خاصة وأنه قام بدور رائع فى الدفاع عن الاسلام وعروبة شمالى أفريقية ، ومع ذلك فان بعض المؤرخين والباحثين المسلمين ساروا على أقوال المؤرخين الأوربيين دون روية ، فاتهموا بربروسا وسكان شمالى افريقية بالقرصنة خلال دفاعهم عن بلادهم ، والحقيقة انهم مجاهدون اسلاميون وليس بقراصنة[٩] .

وعلى كل حال فبعد أن هبطت حدة الصراع بين الدولة العثمانية وأسبانيا فى شمالى أفريقية واطمأن العثمانيون لابعاد أخطار الغزو الصليبى عن تلك الأقطار الاسلامية ، بدأت سلطة الدولة فى التراخى والدخول فى دور الاضمحلال ، فأصبحت السلطة الحقيقية فى أيدى رؤساء القوات غير النظامية ، ولم يصبح للسلطان العثمانى سوى السيادة الاسمية

---

(٤) جلال يحى : المغرب الكبير جـ ٣ ، العصور الحديثة وهجوم الاستعمار ، بيروت دار النهضة العربية ، ١٩٨١ ص٢٥ — ٢٦ .

(٥) الشناوى : المرجع السابق حـ ٢ ص ٩١١ — ٩١٢ .

(٦) محمد فريد : تاريخ الدولة العثمانية — تحقيق احسان حقى — بيروت ، دار النفائس ، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ / ١٩٨١م ص ٢٣١ .

(٧) جلال يحى : المرجع السابق حـ ٣ ص ٢٦ ، وكوران : المرجع السابق ص ١٢ .

(٨) الشناوى : المرجع السابق حـ ٢ ص ٩١٤ — ٩١٥ .

(٩) نفسه ص ٧٦٥ .

فقط فمنذ سنة ١٦٧١م أصبح الحاكم الملقب بالداى والذى يتم اختياره عن طريق الانتخـــاب هو المتقلد الرسمى لأمـــور الحـــكم ، ونتيجة للسلطات الواسعة التى أعطيت للدايات تحولت الجزائر تدريجيا الى دولة شـــبه مستقلة فقد كان من حق الدايات عقد المعاهدات مع الدول الأجنبية دون الرجوع الى السلطان العثمانى ، ولم تكن ايرادات البلاد يرسل منها شىء الى الآستانة بل كانت تصرف فى معظمها داخل الجزائر(١٠) .

وخلال القرن الثامن عشر الميلادى شهدت الجزائر انهيارا اقتصاديا بسبب كساد الحركـــة التجارية نتيجـــة لحصـــار بعض الدول الأوربيـــة للشواطىء الجزائرية ، كما شهدت فوضى سياسية بسبب النزاع بـــين الدايات ، وبعض رجال الجيش من جهة ، وقراصـــنة البحر من جهـــة أخرى مما أدى الى اضطراب الأمن ، وفقدان الدايات للسيطرة على أمور بلادهم ، وعقدهم للمعاهدات مع بعض الدول الأوربية مما كان له أثره فى زيادة النفوذ الأوربى فى الجزائر(١١) .

ونتيجـــة لتردى العلاقات بين فرنســـا واوجاق الجـــزائر فى عهد امبراطورية نابليون(١٢) راودت نابليون بونابرت فى عام ١٨٠٨م فـــكرة الاستيلاء على الجزائر ، فكلف أحد ضباطه بوضع خطة عسكرية لمشروع حملة فرنسية على الجزائر . وقد قام هذا الضابط بكتابة تقرير للسلطات الفرنسية أوضح فيه امكانية الاستيلاء على الجزائر ، وأشار الى الأماكن التى تصلح لانزال الجنود الفرنســـيين والطرق والآبـــار التى يمـــكن أن يستخدمها رجالات الحملة(١٣) .

وعلى الرغم من أن هذا التقرير قـــد حفز نابليون على الاســـتيلاء

---

(١٠) شوقى الجمل : المغرب العربى الكبير فى العصر الحـــديث ، القاهرة ، الأنجلو المصرية ، الطبعة الأولى ١٩٧٧ ص ٢٥٤ .

(١١) رأفت الشيخ : فى تاريخ العرب الحديث ، القـــاهرة ، دار الثقافة الطبعة الأولى ١٩٧٥م ص ٣٨٥ .

(١٢) كوران : المرجع السابق ص ٢٠ .

(١٣) مسعود مجاهد الجزائرى : أضواء على الاستعمار الفرنسى للجزائر ، القاهرة دار المعارف ص ١١ .

على الجزائر فان الظروف الدولية فى ذلك الوقت لم تسمح له بتحقيق هذه الأطمــاع .

الاحتلال الفرنسى للجزائر ١٨٣٠ أسبابه ودوافعه :

ترجع دوافع الاحتلال الفرنسى للجزائر الى أسـبـاب كثـيـرة منها أسباب مباشرة وأخرى غير مباشرة وفيما يلى نعرض لهذه الأسباب .

أولا : الأسباب غير المباشرة :

١ — استياء الشعب الفرنسى من مليكه شارل العاشر نتيجـة لمـا عرف عنه من تسلط واستبداد ، ورغبة ذلك الملك فى احراز نصر خارجى لتخفيف الاستياء العام ، وجعل أنظار الفرنسيين تتجه الى الخـارج حتى يتم تعطيل انفجار الثورة ضده[١٤] .

٢ — التنافس الدولى على البحر المتوسط ، ورغبة فرنسا فى حسم الموقف لصالحها[١٥] .

٣ — رغبة كبار الملاك الفرنسيين فى امتـلاك الأراضى الجديدة حتى تعوضهم عما فقدوه بعد هزائم بلادهم ، وفقدانها معظم أجزاء امبراطوريتها الأولى فيما وراء البحار وتنازلها لانجلترا عن معظمها مما جعلها تفـكر فى احتلال الجزائر[١٦] .

٤ — العوامل الدينية والتى منها رغبة الكنيسـة فى فتح الأبـواب لنشر النصرانية فى شمالى افريقية[١٧] ، ورغبة فرنسا فى اظهار نفسـها بالحامية الكبرى للبابوية والمدافعة عن مصالحها[١٨] .

---

(١٤) رأفت الشيخ : المرجع السابق ص ٣٨٦ .
(١٥) شوقى الجمل : المرجع السابق ص ٢٥٤ .
(١٦) نفســه ص ٢٥٥ .
(١٧) رأفت الشيخ : المرجع السابق ص ٣٨٧ — ٣٨٨ .
(١٨) محمد على دبور : نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة ، المطبعة التعاونية ، ١٣٨٥ هـ ص ٥ .

٥ — انتهاز فرصة فقدان الدولة العثمانية لاسطولها فى موقعة نفارين البحرية ١٨٢٧م ومحاولة فرنسا اقتطاع الجزائر من أملاك العثمانيين[١٩] .

٦ — الدوافع الاقتصادية والتى من بينها رغبة فرنسا فى الحصول على المواد الأولية ، وايجاد الأسواق لمصنوعاتها ، وتوظيف رؤوس أموالها فى المستعمرات[٢٠] .

ثانيا : السبب المباشر :

يرجع هذا السبب الى مماطلة فرنسا فى دفع المستحقات التى عليها للجزائر نظير أثمان الحبوب التى استوردتها منها[٢١] ومحاولة الداى معرفة سبب هذه المماطلة من القنصل الفرنسى فى الجزائر « ديفال Deval » الذى أجاب على الداى بطريقة جافة تحمل بين جنباتها ترفع ملك فرنسا عن مكاتبته مما أثار ثائرة الداى ، ودفعه الى أن يصرخ فى وجه القنصل ملوحا له بالخروج من مجلسه ثم ضربه بمروحة كانت فى يده ثلاث مرات وكان ذلك فى ٢٩ ابريل ١٨٢٧م[٢٢] . كما طالب الداى فرنسا باستدعاء قنصلها وتبديله بقنصل آخر يكون موضع ثقته ، ولكن وزير خارجية فرنسا اعترض على ذلك وطالب حكومته بمحاصرة شواطىء الجزائر البحرية حتى يقوم الداى بالاعتذار عما لحق بالقنصل الفرنسى من اهانة[٢٣] والانتقام لكرامة التاج الفرنسى . ولكن فرنسا أملا منها فى الوصول الى حل سلمى يريق ماء وجهها ظلت مترددة فى اتخاذ موقف حربى حاسم يبعد عن كاهلها النفقات العسكرية التى يتطلبها اعلان الحرب على الجزائر[٢٤] فأرسلت فى يونيو ١٨٢٧ اربع سفن حربية الى الشواطىء الجزائرية ووجهت انذارا الى الداى كانت اهم بنوده الترضية الكاملة

---

(١٩) الشناوى : المرجع السابق حـ ٢ ص ٩٥٤ .
(٢٠) مسعود مجاهد : المرجع السابق ص ٢٠ .
(٢١) مسعود مجاهد : المرجع السابق ص ١٢ .
(٢٢) رافت الشيخ : المرجع السابق ص ٣٨٧ .
(٢٣) شوقى الجمل : المرجع السابق ص ٢٥٦ .
(٢٤) رافت الشيخ : المرجع السابق ص ٣٨٨ .

عما لحق بفرنسا من اهانة ، وتقديم كافة الضمانات التى تحول دون تعرض السفن الفرنسية لأية اجراءات تفتيشية من السفن الجزائرية ، وأن تتمتع فرنسا فى الجزائر بحق الدولة الأكثر رعاية ، وأن يعلن الداي أن حكومة فرنسا قد أوفت بالتزاماتها المالية تجاه الجزائر ، وأنه ليس له أى حق قبلها[٢٥] .

وقد هددت فرنسا باعلان الحرب على الجزائر فى حالة رفضها لشروط الانذار ، ومع ذلك فقد رفض الداى الانذار الفرنسى وأصر على التمسك بموقفه ، واخذ يتهكم على المطالب الفرنسية بقوله « لم يبق الا أن يطلبوا امراتى »[٢٦] .

ونظرا لأن قيام فرنسا بعملية حربية ضد الجزائر أصبحت شبه مؤكدة[٢٧] ابلغت فرنسا الدولة العثمانية بأن والى الجزائر الذى اظهر عداءا واضحا للفرنسيين بتحقيره لقنصل فرنسا ، ورفضه تقديم الترضية العلنية قد جعل الحرب محققة بين فرنسا والجزائر . ولما كانت الدولة العثمانية منشغلة فى مشاكلها فى جزيرة المورة ، ولا تنوى اضافة أعباء اخرى تضاف الى همومها فقد تباطأت فى حسم الموقف بالطريقة المناسبة مما اعطى لفرنسا فرصة الانفراد بالأمر ، وخلال هذه الفترة بدأت فرنسا فى البحث عن حلول اخرى تجنبها نفقات الحرب ، وفى نفس الوقت تجعل المسلمين يقاتلون بعضهم بعضا فاقترح « دورفتى Drovetti »[٢٨] قنصل فرنسا فى الاسكندرية قيام محمد على والى مصر بحملة على الجزائر بمساندة فرنسا لتأديب الداى والقضاء على حكومته ، واحتلال الجزائر وضمها الى أملاكه على أن يكون لحليفته فرنسا امتيازات واسعة فى هذه البلاد[٢٩] .

---

(٢٥) شوقى الجمل : المرجع السابق ص ٢٥٧ .

(٢٦) صلاح العقاد : المغرب العربى — دراسة تاريخية فى تاريخه الحديث وأوضاعه المعاصرة ، القاهرة ، الانجلو المصرية ص ٨٢ .

(٢٧) كوران : المرجع السابق ص ٢٣ — ٢٤ .

(٢٨) نفسه ص ٢٩ .

(٢٩) رأفت الشيخ : المرجع السابق ص ٣٨٨ .

ولما فوتح محمد على فى الأمر تردد فى البداية خشية فقدان ثقة العالم الاسلامى فيه وقال للقنصل الفرنسى « انتم مسيحون اما نحن والجزائريون فمسلمون ، وسماع اقوال كتلك ونحن ذوو دين ، وأمة وشريعة ودولة واحدة ، لا يتلاءم مع ديننا ودولتنا »(٣٠) ولكن سرعان ما عدل محمد على عن رأيه ووافق على فكرة القيام بحملة لتأديب الداى بشرط أن تدفع له فرنسا مبلغا ماليا ، ودعما بحريا(٣١) يمكنه من اعادة بناء اسطوله الذى تحطم فى موقعة نفارين البحرية عام ١٨٢٧م(٣٢) .

وفى محاولة من محمد على لتكشف الموقف ارسل الى الداى برسالة ينصحه فيها ويحذره من العواقب الوخيمة اذا أصر على موقفه المعادى لفرنسا ، وكان رد الداى عليه فليذهب محمد على ليأكل الفول(٣٤) .

وحتى يأخذ مشروع محمد على بالحملة على الجزائر شكلا رسميا لا تعترض بريطانيا أو غيرها عليه رأت فرنسا ضرورة أخذ موافقة السلطان العثمانى على المشروع(٣٤) وعندما تسرب الخبر الى الانجليز اعترضوا عليه وحرضوا السلطان العثمانى ضده ، كما حذرت بريطانيا محمد على الذى بدأ يرتبط بالمصالح الفرنسية من الاقدام على هذا العمل(٣٥) .

كما ثارت الدول الأوربية ضد هذا المشروع يضاف الى ذلك أن الدولة العثمانية عارضت إمتداد نفوذ محمد على الى شمالى افريقية وازاء هذه العقبات اغمضت فرنسا اعينها عن هذا المشروع ، وظلت تتحين الفرص المواتية للقيام بنفسها بحملة عسكرية ضد الجزائر والانفراد باحتلالها(٣٦) وقد جاء الوقت المناسب لذلك عندما انشغلت بريطانيا بالانقلاب النيابى

---

(٣٠) كوران : المرجع السابق ص ٣٥ .
(٣١) شوقى الجمل : المرجع السابق ص ٢٥٩ .
(٣٢) رأفت الشيخ : المرجع السابق ص ٣٨٨ .
(٣٣) عبد الرحمن الجيلالى : تاريخ الجزائر العام ج ٣ ، بيروت ، دار الثقافة ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م ص ٣٧٥ .
(٣٤) كوران : المرجع السابق ص ٢٩ .
(٣٥) جلال يحى : المرجع السابق ح ٣ ص ١٠٥ .
(٣٦) احمد عزت عبد الكريم : دراسات فى تاريخ العرب الحديث ، بيروت ، دار النهضة العربية ، ١٩٧١ ، ص ٣٩٤ — ٣٩٥ .

الذى حدث فيها خلال ذلك الوقت[٣٧] وانشغلت الروسيا وبروسيا والنمسا بالثورات التى اندلعت فى ايطاليا وبولنده فى تلك الفترة[٣٨] فتذرعت فرنسا أمام الرأى العام الأوربى أنها تدافع عن قضية أوربية تدعم من خلالها قواعد العدل[٣٩] ، وأصدر ملكها قرارا فى ٧ فبراير ١٨٣٠ باعلان التعبئة العامة ثم صدرت الأوامر بعد ذلك بغزو الجزائر فابحر الاسطول الفرنسى من ميناء طولون[٤٠] فى شهر مايو من نفس العام وهو يحمل ٢٠ الفا من رجال البحرية وقام الجيش الفرنسى المكون من ٣٧٦٠٠ مقاتل ، ٩١ قطعة مدفعية بغزو الجزائر[٤١] ، وبدأ بانزال فى سيدى فرج على بعد ٢٥ كيلو مترا غربى مدينة الجزائر[٤٢] ونتيجة لذلك عهد الداى الى صهره ابراهيم اغا بقيادة القوات المدافعة . وقد دافع الجزائريون عن بلادهم دفاعا مجيدا استطاعوا خلاله حصر الزحف الفرنسى فى شريط ساحلى لا يشمل كل الشواطىء الجزائرية ، ومرت ثلاث سنوات دون أن يستطيع الفرنسيون من فرض سيطرتهم على اكثر من بضع موانى ساحلية بينما أصبح داخل البلاد فى أيدى الزعماء ورؤساء القبائل[٤٣] .

وخلال الفترة من ١٨٣٠ الى١٨٣٩ قامت سياسة فرنسا فى الجزائر على فكرة الاحتلال المحدود المقتصر على الساحل دون الداخل ثم تحولت هذه السياسة الى التوغل فى الداخل ، فنجح الفرنسيون فى احتلال سيدى فرج والوصول الى مدينة الجزائر ، ومهاجمة قلعة السلطان ، وحصن القصبة ، واشعال النار فى مخازن الذخيرة ولما راى الداى تحول الموقف

(٣٧) كوران : المرجع السابق ص ٤٥ .
(٣٨) الشناوى : المرجع السابق ج ٢ ص ٩٥٥ .
(٣٩) مسعود الجزائرى : المرجع السابق ص ٤ .
(٤٠) الجيلالى : المرجع السابق ﺣ ٣ ص ٣٨٠ .
(٤١) جلال يحى : المرجع السابق ص ١٠٨ .
(٤٢) كان من المتوقع أن ارسال جيش فرنسى الى الجزائر سيؤدى الى اشغال افكار الشعب الفرنسى عن مشاكله الداخلية ، بيد أن دخول هذا الجيش الى الجزائر لم يحدث التأثير المتوقع فى فرنسا بل أدى بعد ذلك الى الاطاحة بملكية شارل العاشر .

كوران : المرجع السابق ص ٢٢ .
(٤٣) رافت الشيخ : المرجع السابق ص ٣٨٩ ، وجلال يحى : المرجع السابق ص ٨٦ وما بعدها .

في غير صالحه حاول الحصول على صلح مشرف مع الفرنسيين ، ووسط في ذلك قنصل بريطانيا[٤٤] ولكن الفرنسيين رفضوا هذه الوساطة[٤٥] واصروا على فرض شروطهم والتي كان من اهمها ما يلي :

١ — تسليم حصن القصبة ، وجميع حصون مدينة الجزائر وأبوابها للفرنسيين .

٢ — ضمان القائد الفرنسي حماية الداي ، وممتلكاته الشخصية .

٣ — ترك الحرية للداي في الاقامة او الرحيل الى أي مكان يريده .

٤ — عدم اتخاذ أي اجراءات انتقامية ضد الجنود الجزائريين .

٥ — كفالة حرية الجزائريين في اقامة شعائرهم ، وصيانة ممتلكاتهم وتجارتهم وصناعتهم ، والمحافظة على أعراضهم[٤٦] .

وقد وافق الداي على هذه الشروط التي تضمنت متطلباته وقرر مغادرة مدينة الجزائر هو وأسرته الى نابلي بايطاليا ، ونتيجة لذلك انتهت آخر مظاهر التبعية للعثمانيين في الجزائر[٤٧] ووقعت أعباء المقاومة على الشعب الجزائري نفسه ، وبدأ الاستعمار الفرنسي الرسمي في الجزائر ، واخذ الفرنسيون في استغلال موارده مستخدمين في ذلك شتى السبل والوسائل للوصول الى اهدافهم[٤٨] كما حاولوا التقرب الى رؤساء القبائل في محاولة لكسب اعترافهم بالسيادة على اقاليمهم ، ولكن تصميم الشعب الجزائري على استقلال بلاده جعل مهمة الفرنسيين شديدة الصعوبة[٤٩] .

---

(٤٤) الجمل : المرجع السابق ص ٢٦١ .

(٤٥) جلال يحي : المرجع السابق حـ ٣ ص ١١٢ .

(٤٦) مسعود مجاهد : المرجع السابق ص ٨٤ .

(٤٧) الجمل : المرجع السابق ص ٢٦١ .

(٤٨) للتفاصيل انظر : جلال يحي : المرجع السابق حـ ٣ ص ١٢٢ — ١٢٣ .

(٤٩) بسام العسيلي : المقاومة الجزائرية للاستعمار الفرنسي ، بيروت ، دار النفائس ، ١٤٠٠هـ .

وفي خلال هذه الفترة برزت مقاومة «أحمد باى» ضد الفرنسيين في قسطنطينية، وكانت له مع الجند الفرنسى وقائع وطنية مشرفة ، ولكن رغبته فى الانفراد بالسلطة جعل دوره محـدودا[٥٠] ، كما أن احتـلال الفرنسيين لمدينـة قسطنطينة فى عـام ١٨٣٧ كان وراء نهايـة المقاومة المنظمة لقواتـه[٥١] فانتقلت الأمور من يده الى الأمير عبد القادر الجزائرى الذى تعتبر ثورته الحلقة الرئيسة فى تاريخ المقاومة الجزائرية ضد الفرنسيين[٥٢] فحمل راية الكفاح فى غرب الجزائر ، ومنع فرنسا من فرض سيطرتها على داخليـة البلاد وبخاصة فى مقاطعتى وهران وقسطنطينة ، واتخذ من مدينة معسكر عاصمة له ، وبدأ فى مد سلطانه على القبائل المناهضة له ، وجعل منها جبهة واحدة تحت سيادته ، وبعدها بدأ فى قتال الفرنسيين وأجبرهم على التقهقر الى السواحل الشمالية الجزائرية ، والاكتفاء باحتلال بعض النقط الساحلية[٥٣] .

ويمكن تقسيم نضال الجزائريين بقيادة الأمير عبد القادر الى ثـلاث مراحل تنتهى كل منها بمعاهدة .

المرحلة الأولى وقد أجبر الأمير عبد القادر فيها الفرنسـيين عـلى عقد معاهدة ١٨٣٤م التى نصت على الاعتراف بكل غرب الجزائر عدا ثلاث مدن ساحلية تحت قيادته .

والمرحلة الثانية : وفيها اعترف الفرنسيون بسلطة الأمير عبد القادر فى غرب الجزائر ، ووقعوا معـه معاهدة فى ١٨٣٧م نصت عـلى تبادل الممثلين والمندوبين بـين الطرفين ، وقد اسـتمرت هذه المـدة عامين نشب بعدها القتال بين الطرفين وتقهقر خلاله الأمير عبد القادر واضطر الى اللجوء لمراكش والاستنجاد بسلطانها ، ولكن سلطان مراكش خشى من عاقبة الأمور خاصـة بعد تهديد فرنسا له بغزو بلاده ، وآثر كف يده

---

(٥٠) شوقى الجمل : المرجع السابق ص ٣٦٥ .
(٥١) مسعود مجاهد : المرجع السابق ص ٩١ .
(٥٢) العقاد : المرجع السابق ص ٩٩ .
(٥٣) جلال يحى : المرجع السابق جـ ٣ ص ١٤٠ .

عن مساعدة عبد القادر وطالبه بالخروج من بلاده وعلى الرغم من ذلك فان حركة النضال الجزائرية لم تتوقف بل ازدادت اشتعالا ، فواجه الأمير عبد القادر الفرنسيين دون انتظار المعونة من احد ، وحقق الجزائريون خلال ذلك العديد من الانتصارات التى اذهلت الفرنسيين ، وكانت السنوات من ١٨٤٥ الى ١٨٤٦ من اصعب الفترات التى قضتها القوات الفرنسية فى الجزائر .

اما عن المرحلة الثالثة من مراحل جهاد الأمير عبد القادر والتى استمرت حتى عام ١٨٤٧م فقد اتبعت فيها فرنسا سياسة تطبيق الاحتلال الشامل ، ومحاولات اخضاع الجزائريين على طريق المواجهات العسكرية والارهاب والتى انتهت باستسلام الأمير عبد القادر فى ٢٤ من رجب ١٢٦٣هـ / ٨ يوليو ١٨٤٧ ونفيه الى دمشق[٥٤] هو وأسرته بعد أن أمضى خمسة عشر عاما فى الجهاد ضد الفرنسيين[٥٥] .

وبعد استسلام الأمير عبد القادر أعلنت فرنسا أن الجزائر أصبحت جزءا لا يتجزأ من الأراضى الفرنسية[٥٦] وعمدت الى القضاء على هويتها العربية وشخصيتها الاسلامية ومع ذلك لم يتوقف النضال فثار الجزائريون ضد فرنسا[٥٧] ، وكانت اهم ثوراتهم ثورة محمد المقرانى الذى انضم اليه حوالى مائة الف مقاتل ، واستطاع أن يكتسح القوات الفرنسية ، ويستولى على العديد من المناطق ، وساعده على ذلك تطور الأمور فى أوربا فى غير صالح فرنسا نظرا لهزيمتها من المانيا فى سيدان ، وسقوط الامبراطورية

---

(٥٤) للتفاصيل انظر : لوثروب ستودارد : حاضر العالم الاسلامى — ترجمة عجاج نويهض ، بيروت ، دار الفكر ، الطبعة الرابعة ١٣٩٤هـ / ١٩٧٣م ص ١٧٢ .

(٥٥) جلال يحى : المرجع السابق حـ ٣ ص ١٧٨ .

(٥٦) اسماعيل ياغى ومحمود شاكر : تاريخ العالم الاسلامى الحديث والمعاصر .

(٥٧) عن هذه الثورات انظر : انتونى نتنج : العرب وانتصاراتهم وأمجاد الاسلام — ترجمة راشد البراوى — القاهرة ، الانجلو المصرية ١٩٧٤م ص ٣٦٢ .

الفرنسية ، وزحف الجيش الألمــانى على باريس ، واضطرار فرنســا لعقد صلح فرنكفورت مع المــانيا . ونتيجة لذلك عمت الثورة فى الجزائر ضد الفرنسيين ودارت العديد من المعــارك التى ارتكبت فيها القــوات الفرنسية شتى أنواع الجرائم(٥٨) ، واستشهد فيها ما يقرب من ستين الف جزائرى ، ومع ذلك لم تتوقف الثــورة الا بعد استشهاد المقرانى فى ١٨٧١/٥/٥ وسقوط أخيه اسيرا فى العام الذى بعده .

ومع أن نضال الشعب الجزائرى لم يتوقف ، فقد اتجــه اتجاها آخر ، وهو النضال السياسى فتأسست لجنة وطنية فى عام ١٩١٠ برئاسة المحــامى (أبو دربه) وقد سعت هــذه اللجنة الى الارتبــاط بالحركات التحررية القائمة فى العالم الاسلامى وتتذاك .

وفى أعقاب الحرب العالمية الأولى وأثناء انعقــاد مؤتمر الصلح فى باريس تبنى بعض الضباط الجزائريين برئاسة خالد الهاشمى فكرة حضور المؤتمر والمطالبة بمنح الجزائر حق تقرير مصيرها(٥٩) كما تأسست منظمة « نجمة شمال افريقيا » فى عام ١٩٢٦ للمطالبة باستقلال الجزائر ، وجلاء الجيوش الفرنسية عنها هذا الى جانب قيام « عباس فرحات » بتأسيس حزب « الاتحاد الشعبى الجزائرى » للمناداة بحقوق الانســان والمواطن وحزب البيان ثم حزب « أصدقاء البيان الجزائرى » الذى اصدر بيانا فى فبراير ١٩٤٣م طالب فيه باقامة جمهورية جزائرية داخل الاتحاد الفرنسى . ونتيجة لقيام السلطات الفرنسية بابعاد عباس فرحــات اتجــه الشباب الجزائرى للكفاح المسلح من جديد ، وخلال احتفــال دول العالم بنهاية الحرب العالمية الثانية وسقوط النازية والفاشية خرج الشعب الجزائرى فى ١٣٦٤/٥/٢٤هـ الموافق الثامن من مايو ١٩٤٥ فى مظــاهرات شعبية سلمية حاملا باقات الزهور باحدى يديه لوضعها على مقــابر الشهداء ورافعا بيده الأخرى اللافتات والأعلام المطالبة بالحرية وتقرير المصير ، الا أن السلطات الفرنسية التى راعها أن تشاهد راية الحرية ترفرف على أرض الجزائر تدخلت لقمع المظاهرات ، وبدات مجزرة رهيبة استخدمت

---

(٥٨) شوقى الجمل : المرجع السابق ص ٢٨٥ .

(٥٩) ياغى وشاكر : المرجع السابق ص ٥٩ .

فيها القوات الفرنسية مختلف أنواع الأسلحة من بنادق ورشاشات ودبابات ومصفحات وحتى الطائرات[٦٠] واحتدمت المعارك بين الشعب الجزائرى الأعزل من السلاح والجيش الفرنسى سقط خلالها ما يزيد عن ٤٥ الف من الشهداء . ونتيجة للبطش الفرنسى بالجزائريين شكلت فى عام ١٩٤٧م تنظيمات سرية تمخضت فى النهاية عن ظهور « جبهة التحرير الوطنى الجزائرى » التى استطاعت أن تفجر الثورة الكبرى فى عام ١٩٥٤م وقد انضم الى هذه الجبهة معظم الأحزاب السياسية كما انضم اليها بجانب الشباب والرجال العديد من الفتيات وكان منهن « جميلة بو حريد » و « جميلة بو عزة » و « جميلة بو باشا »[٦١] .

ونظرا لتصاعد نضال هذه الجبهة ضد الفرنسيين ، واستمرار هجمات افرادها القوية عليهم خصوصا فى شمالى قسطنطينة فى اغسطس ١٩٥٥ ، وفى اماكن تجمعاتهم بدأ الفرنسيون يتتبعون افرادها ، وخلال قيام المناضلة « جميلة بوحريد » بحمل قنبلة كانت تحاول وضعها فى مقهى يقطنه بعض الجند الفرنسيين القى القبض عليها ، وفى محاولة من الفرنسيين لاجبارها على الاعتراف باسماء زملائها فى الكفاح بدأوا يستعملون معها اشد انواع التعذيب ، فوضعوا اسلاك كهربية على كل مكان فى جسمها ثم اخذوا يديرون التيار الكهربى عليها حتى تدلى باعترافاتها ، وعلى الرغم من أن « جميلة بو حريد » لم تعترف بشىء يؤكد التهمة المنسوبة اليها فقد وجه اليها الاتهام قرار الحكم بالاعدام ، ثم خفف الى الأشغال الشاقة المؤبدة نتيجة لاهتزاز الشعور العالمى والانسانى على هذا الحكم الجائر[٦٢] .

وعلى الرغم من محاولات الفرنسيين القضاء على حركة المقاومة الجزائرية فقد استمر نضال الجزائريين ضد فرنسا حتى صوتت الجمعية العامة للأمم المتحدة فى العاشر من فبراير ١٩٥٨م على ضرورة ايجاد حل عادل للمشكلة الجزائرية .

---

(٦٠) عبد الرحمن الجيلالى : المرجع السابق حـ ٤ ص ٣٦٧ .
(٦١) محمود الشرقاوى : صور من الجزائر ، القاهرة ، الانجلو المصرية ص ٥٨ .
(٦٢) الشرقاوى : المرجع السابق ص ٦٠ — ٦١ .

وفى نفس هذا العام انشئت حكومة الجـزائر المؤقتـة بالقاهرة ، وبدأت هذه الحكومة تتلقى تأييدا دبلوماسيا اسـلاميا وعربيا ، ودوليا ، وانتهى الأمر باعتراف هيئة الأمم المتحدة بحق الجزائر فى الاسـتقلال فى ١٨ ديسمبر ١٩٦٠ ، وذلك بأغلبية ١٦٣ صوتا ، وامتناع ٢٧ عن التصويت ومعارضة ثمانية أعضاء(٦٣) .

وفى مطلع عام ١٩٦٢ جرت محادثات مكثفة بـين الجانبين الفرنسى والجزائرى تم خلالها الاتفاق على وقف القتال ، واطلاق سراح الزعمـاء السياسيين ، والاعلان عن حق الجزائر فى الاستقلال ، وتقرير المصير ، وانتهى الأمر باعلان اسـتقلال الجـزائر فى أول يوليو ١٩٦٢ واختـير أحمد بن بيلا كأول رئيس للجمهورية .

وفى أواخر يونيو ١٩٦٥ حدث تغيير فى القيادة الجزائريـة فعزل أحمد بن بيلا ، وتألف مجلس ثورة بقيادة العقيد « هوارى بومدين » لادارة شئون البلاد .

وقد حققت الجزائر الكثير من الانجازات فى ظـل الاسـتقلال كما شاركت الدول العربية فى الكثير من المسئوليات خصوصا تأييدها للقضية الفلسطينية .

وبعد وفـاة الرئيس بومـدين . انتخبت جبهـة التحـرير الوطنى الجزائرى الرئيس الشاذلى بن جديد .

---

(٦٣) ياغى وشاكر : المرجع السابق ص ٨٢ .

ثبت المصادر والمراجع

أحمد عزت عبد الكريم : دراسات فى تاريخ العرب الحديث ، بيروت دار النهضة العربية ، ١٩٧١ .

ارجمنت كوران : السياسة العثمانية تجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر ترجمة د. عبد الجليل التميمى — تونس ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٤ .

اسماعيل ياغى : تاريخ العالم الاسلامى الحديث والمعاصر ، الرياض ، دار المريخ .

انتونى نتنج : العرب انتصاراتهم وامجاد الاسلام — ترجمة راشد البراوى ، القاهرة ، ١٤٠٠هـ .

بسام العسيلى : المقاومة الجزائرية للاستعمار الفرنسى ، بيروت ، دار النفائس ، ١٤٠٠هـ .

جلال يحى : المغرب الكبير حـ ٣ ، العصور الحديثة وهجوم الاستعمار ، بيروت ، دار النهضة العربية ، ١٩٨١ .

رأفت الشيخ : فى تاريخ العرب الحديث ، القاهرة ، دار الثقافة الطبعة الأولى ، ١٩٧٥م .

شوقى الجمل : المغرب العربى الكبير فى العصر الحديث ، القاهرة ، الانجلو المصرية ، الطبعة الأولى ١٩٧٧م .

صلاح العقاد : المغرب العربى — دراسة فى تاريخه الحديث وأوضاعه المعاصرة ، القاهرة ، الانجلو المصرية .

عبد الرحمن الجيلالى : تاريخ الجزائر العام حـ ٣ ، بيروت ، دار الثقافة ، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .

عبد العزيز الشناوى : الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها القاهرة ، الانجلو المصرية ، ١٩٨٠ .

لوثروب ستودارد : حاضر العالم الاسلامى — ترجمة عجــاج نويهض ، بـــيروت ، دار الفـكر ، الطبعـــة الرابعـــــة ، ١٣٩٤هـ / ١٩٧٣م .

محمد على دبــور : نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة ، المطبعـــة التعاونية ، ١٣٨٥هـ .

محمـــد فريـــد : تاريخ الدولة العلية العثمانية — تحقيق احسان حقى — بـــيروت ، دار النفــــائس ، الطبعـــة الثانيـــة ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨١م .

محمود الشرقاوى : صور من الجزائر ، القاهرة ، الانجلو المصرية .

مسعود الجزائرى : أضواء على الاستعمار الفرنسى للجزائر ، القـــاهرة ، دار المعـــارف .

الدوريـــــات :

المجلة التاريخية المغربية : تونس — العدد السادس ، يوليو ١٩٧٦ .

(٧)

المغرب في التاريخ الحديث والمعاصر

عاشت بلاد المغرب منذ عصرها الحديث فى ظروف خاصة اعتزت خلالها بشخصيتها الاقليمية ، ووقفت ضد الأطماع التى هددتها ، وتمكنت من ان تحافظ على حدودها من جهتين هما :

١ ــ الوقوف أمام الخطر الأسبانى الذى كان يهدد سيادتها ويطمع فى أراضيها .

وقف الزحف العثمانى الذى اقترب من حدودها بعد أن استولى العثمانيون على الجزائر وتونس ، وحاولوا ادماج مراكش فى بقية اقاليم الدولة العثمانية .

ونتيجة لذلك ظل المغرب طيلة خمسة قرون وحتى أوائل القرن العشرين من منأى عن السيطرتين العثمانية والأوربية على الرغم من وقوع بعض الجيوب الساحلية منه فى يد البرتغاليين والأسبان ونتيجة لذلك ظل للمغرب طابعه ومظهره ، كما ظلت أوضاعه ثابتة[١] فى حين كان العالم العربى فى مجمله قد سقط تحت الحكم العثمانى ، وبدأ التغلغل الأوربى ينفذ الى أرجائه ، وقد عبر عن ذلك المؤرخ « ليفى بروفنسال » بقوله « كان المغرب لمدة خمسة قرون خلت الدولة الاسلامية الوحيدة التى وعت نفسها على انها أمة »[٢] .

---

(١) جلال يحى : المغرب الكبير ــ العصور الحديثة وهجوم الاستعمار الاسكندرية ، الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦٦ ص ٣٤٣ .

(٢) روم لاندو : تاريخ المغرب فى القرن العشرين ــ ترجمة نقولا زيادة ــ بيروت ، دار الثقافة ، الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م ص ٣٧ ــ ٣٨ .

ولكن ذلك لم يستمر طويلا فقد تغلغل النفــوذ الأسبانى فى مراكش بموجب معاهدة ١٨٦١م التى عقدها السلطان محمد بن عبد الرحمن مــع أسبانيا ، يضاف الى ذلك أن مراكش تعرضت للتغلغل الأوربى فى أعقاب الوحدة الألمــانية عام ١٨٧٠م وذلك عندما بدأت ألمــانيا تعانى من مشكلة عدم تملكها للمستعمرات أسوة ببريطانيا وفرنســا حتى تستطيع تصريف منتجاتها ، والحصول على المواد الخام اللازمة لصناعتها وانشاء أسواق لها فيها ، ومن هنا بدأت المــانيا تتطلع للبحث عن مستعمرات لها خــارج أوربا ، ونتيجة لذلك بدأ التنافس بينها وبين فرنسا من أجــل مراكش ، وقد تصدت فرنسا لهذه المحاولة ، وذلك بربط نفسها بعدة اتفاقات مــع بعض دول أوربا ، فعقدت اتفاقا مع ايطاليا اتفقت معها فيه على أن تطلق ايطاليا يد فرنســا فى مراكش فى مقــابل أن تطلق فرنســا يد ايطاليا فى طرابلس وبرقة ، كما عقدت اتفاقا مع أسبانيا فى ٢٧ يونيو ١٩٠٠ اتفقتا فيه على اقتسام الأجزاء الجنوبية من مراكش ، فتحصــل اسبانيا عــلى منطقة الريف التى تشمل الشريط الساحلى من مراكش المقابل للســاحل الأسبانى عند جبل طارق بينما تحصل فرنسا على ما تبقى من مراكش . كما تقربت فرنسا من بريطانيا وعقدت معها الاتفاق الودى فى الثامن من أبريل ١٩٠٤م والذى أطلقت بريطانيا بمقتضاه يد فرنسا فى مراكش فى مقابل أن تطلق فرنسا يد انجلترا فى مصر[٣] ، ومنذ ذلك الحين بدأت فرنســا تتربص بمراكش ، وتعد العدة للاستيلاء عليها وقد تركزت خطتها فى ذلك بأن يقوم وزير خارجيتها دلكاسيه بتقديم العديد من المقترحات الى سلطان مراكش بشأن الاصلاحات الداخلية فى بلاده حتى اذا رفضها يكون فى ذلك ذريعة لتدخل فرنسا عسكريا لفرضها بالقــوة كل ذلك أزعج الألمــان ، وجعلهم يقومون باتصالات مباشرة مع حاكم مراكش يعربون فيها عن عدم ارتياحهم لمــا جاء فى الاتفاق الودى ، ويحرضونه على رفض مقترحات دلكاسيه .

وأعقب ذلك قيــام الامبراطور الألمــانى وليم الثانى بزيارة لمينــاء

---

(٣) رأفت الشيخ : فى تاريخ العرب الحــديث ، القــاهرة ، دار الثقافة ، ١٩٧٥ ، ص ٣٩٨ .

طنجة فى ٣١ من مارس ١٩٠٥ فى محاولة منه لافساد الاتفاقات التي عقدتها فرنسا مع بعض الدول بشأن مراكش ، وليؤكد صداقته لسلطانها فألقى خطابا دراميا مسرحيا أوضح فيه تأييد المانيا لاستقلال مراكش ، ودعا الى أن تحافظ مراكش على استقلالها ، وطالب سلطانها باتباع سياسة الباب المفتوح لجميع الدول على السواء بحيث لا يكون لدولة فيها امتياز على الأخرى بل يظل المغرب منفتحا لتنافس سلمى بين جميع الدول[٤] وطالب بأن تسير سياسة مراكش مع جميع الدول على مبدأ المساواة المطلقة ، واقترح الامبراطور الالمانى عقد مؤتمر دولى لبحث هذه المسألة ، مما أدى الى تأزم الموقف الدولى واستفزاز فرنسا .

وخشية تطورات الموقف الذى بدأ ينذر بظهور شبح حرب عالمية اتفق على عقد مؤتمر دولى فى أوائل عام ١٩٠٦م فى بلدة الجزيرة الخضراء[٥] لدراسة الأوضاع فى مراكش وبالموافقة على عقد هذا المؤتمر حققت المانيا نصرا دبلوماسيا كبيرا وقد اشترك فى هذا المؤتمر اثنتا عشرة دولة بالاضافة الى مراكش وهذه الدول هى المانيا ، والنمسا ، وبلجيكا ، واسبانيا ، والولايات المتحدة ، وفرنسا ، وبريطانيا ، وايطاليا ، وهولندا ، والبرتغال ، وروسيا ، والسويد .

وقد خرج هذا المؤتمر بعدة نتائج كانت فى معظمها فى غير صالح المانيا حيث وقف معظم مندوبى الدول المشاركين فى المؤتمر الى جانب فرنسا ولم يبق بجانب المانيا سوى النمسا . وقد تم الاتفاق على الاعتراف بسيادة سلطان مراكش ، وتقرر انشاء قوة بوليسية من فرنسة واسبانيا للمحافظة على الأمن فى مراكش ، وأن تدير كل منهما شئون الجمارك هناك ، وتقوم بما تراه مناسبا من الاصلاحات . كما اقر المؤتمر بمبدأ حرية التجارة بالمساواة لجميع الدول الممثلة فى المؤتمر[٦] .

---

(٤) لاندو : المرجع السابق ص ٨٩ .

(٥) بلدة تقع على شاطىء البحر المتوسط الأسبانى ، وقريبة من جبل طارق .

(٦) عبد الكريم الفيلالى : المغرب ملكا وشعبا ، القاهرة ، دار الطباعة الحديثة ، ١٩٥٧ ص ٨٢ ، ولاندو : المرجع السابق ص ٩٢ .

وتبعا لذلك اخذت كل من فرنســا واسبانيا فى بذل اقصى جهودها للسيطرة على مراكش بحيث لم يمض عام واحد عــلى توقيــع الاتفاقيــة حتى احتل الفرنسيون وجدة ، والدار البيضاء ، واحتل الأســبان مليلة وسبتة على الرغم من تعهداتهم باحترام استقلال مراكش . وبالرغم من أن المانيا خرجت خالية الوفاض من مؤتمر الجزيرة فقد ظلت مترقبــة للفرص لمحو هزيمتها الدبلوماسية وقد حانت فرصتها بعد أن تفاقمت القلاقل فى مراكش ، وأعرب المراكشيون عن نقمتهم عــلى سلطانهم ، مما أدى الى استنجاد السلطان عبد الحفيظ بالفرنسيين للقضاء على الثورة فى بلاده ، وكانت تلبية فرنسا للنداء وانتهازها هذه الفرصة وارسال قواتها البحرية الى الدار البيضاء ثم قيامها بحملة حربية على مراكش فى ربيع عام ١٩١١م بحجة الاستجابــة لرغبــات السلطان وحمــاية رعاياها هناك واجبارها لسلطان مراكش على توقيع معاهدة حماية فرنسية على بلاده .

وقد اعتبرت ألمــانيا ما حدث انتهاكا لمصالحها فى مراكش ، وأخذت بسياسة استعراض القوة ، فأرسلت فى أوائل يوليو ١٩١١ الطراد بنثر Panther فى مظاهرة بحرية عند مياه اغادير[٧] احتجاجا على ارســال فرنسا لحملتها الحربية على مراكش ، وبحجة حماية مصالحها التجاريــة هناك ، وقد أحــدث ذلك ردود فعــل عنيفــة فى العــديد من العواصم الأوربية ، وأصبح العالم يخشى من وقوع صــدام قد يؤدى الى حــرب عالمية[٨] .

ولتهدئة الموقف بدأت المساومات بين الفرنسيين والألمــان وانتهت بتوقيع اتفاقية فى الرابع من نوفمبر ١٩١٤ حصلت المانيا بمقتضاها على جزء من الكونغو الفرنسية[٩] فى مقابل الاعتــراف بمكانة فرنســا المتميزة فى مراكش ، وانتهى الأمر بفقدان مراكش لاستقلالها واضفاء الصبغة القانونية على الحماية الفرنسية لها . وفى اعقاب ذلك بدأت فرنســا مفاوضــات مباشرة مع أسبانيا لاقتسام المغرب ، وتوصلت الى اتفاق يسمح لأسبانيا

---

(٧) ميناء صغير على المحيط الأطلسى فى طرف المغرب الجنوبى .
(٨) جلال يحى : المرجع السابق حـ ٣ ص ٧٣٣ .
(٩) كان يبلغ مساحتها حوالى ثلاثة آلاف كيلو متر تقريبا .

بأن تبسط سيطرتها على الريف بأسره مقابل اطلاق يد فرنســا فى باقى أجزاء المغرب[١٠] مما ادى الى انتهاء أمر هذه البلاد كوحدة سياسيــة مستقلة[١١] وعلى الرغم من ذلك ومع أن السلطان عبد الحفيظ قد وقع معاهدة الحماية الفرنسية عــلى بلاده ، فان الأمر لم يستقر للفرنسيين هناك ، فقامت الأمة المغربية بعربها وبربرها ضد الحماية الفرنسية ، ولم تستطع فرنسا اخضاع المغرب بأسره لحكمها الا بعد عشرين عاما تقريبا من غزوها لأراضيه[١٢] .

ولــا شرعت أسبانيا فى احتلال منطقة الريف وجبالة تصاعد النضال الشعبى المسلح بقيــادة الشريف أحمد الريسونى فى منتصف ابريل ١٩١٢ وحتى ابريل ١٩١٥ وتمكن رجال المقاومة من تحقيق انتصارات ساحقة على الأسبان ، واعاقة تقدمهم الى داخل البلاد ، واذا كان الطابع القبلى قد طغى على النضال خلال هذه الفترة فان بروز الأمير عبد الكريم الخطابى[١٣] وابنه محمد[١٤] يعد نقطة تحول فى طريق الكفاح المســلح بمنطقة الريف مما هدد الوجود الاستعمارى فى شمالى أفريقية خلال هذه الفترة وجعل

---

(١٠) العرب : الجزءان السابع والثامن فى محرم وصفر ١٣٩٨ هـ مقال للأستاذ محمود شبيب تحت عنوان « من أبطال العرب » — عبد الكريم الخطابى ص ٥٦٢ .

(١١) لاندو : المرجــع السابق ص ٧٧ .

(١٢) نفســه ص ١٠٨ .

(١٣) ينتمى الى أسرة عربية هاجرت قبل قــرون من بلده ينبــع فى الحجاز ويمتد نسبها الى الخليفة الثانى عمر بن الخطاب ، ولهذا فانــه أصبح يعرف باسم الخطابى .

العرب : المقال السابق ص ٥٦١ .

(١٤) تذكره بعض المصادر باسم عبد الكريم كعادة أهــل الريف فى ذلك الوقت فى أن يعطى الابن البكر اسم والده .

انظر : شوقى عطا الله الجمل : المغرب العــربى الكبير فى العصر الحديث ، القاهرة ، الانجلو المصرية ، الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ / ١٩٧٧م ص ٣٤٤ .

من الأمير عبد الكريم علما من اعلام التحرر فى كل بلدان المغرب العربى والشغل الشاغل لوكالات الأنباء والصحافة العالمية[١٥] .

وعلى الرغم من التحذيرات التى وجهها الأمير عبد الكريم للأسبان الا أن هؤلاء بما لديهم من قوة هائلة تصوروا أن الغزو المرتقب سيكون نزهة ، وهكذا بدات المناوشات فى أوائل عام ١٩٢٠ والتى استطاع الأمير عبد الكريم خلالها احراج مركز الأسبان فى بلاده[١٦] .

وبعد وفاة الأمير عبد الكريم نتيجة دس السم له ، انتقلت القيادة الى ابنه الأمير محمد الذى انصرف الى دعوة قبائل الريف للانضمام الى قواته والوقوف فى وجه الحكم الأسبانى[١٧] الذى اتسم بالعنف والفساد والظلم والعجز ، وقد استطاع الأمير محمد مواجهة الأسبان والاستيلاء على احدى مراكزهم الحربية فى « دارابارا » بعد معركة عنيفة قتل فيها ثلاثمائة من الجنود الأسبان وغنم فيها الكثير من المدافع والبنادق والذخيرة والأدوات الطبية .

كما استطاع الانتصار على الأسبان فى معركة شرسة بمنطقة انوال فى يوليو ١٩٢١[١٨] ، واجبارهم على التقهقر من هذه المنطقة والمراكز التى حولها والتى تقدر بحوالى مائة مركز حربى لدرجة أنه لم يبق بيد الأسبان فى ذلك الوقت من حصون سوى حصن مليلة[١٩] وخسرت اسبانيا فى هذه المعركة سبعة عشر الف جندى فى أكبر هزيمة الحقها جيش

---

(١٥) جلال يحى : المغرب الكبير — الفترة المعاصرة وحركات التحرر والاستقلال ص ٩٥٧ .

(١٦) لاندو : المرجع السابق ص ١٤٩ .

(١٧) العرب : المقال السابق ص ٥٦٣ .

(١٨) صلاح العقاد : المغرب العربى — دراسة فى تاريخه الحديث وأوضاعه المعاصرة ، القاهرة ، الانجلو المصرية ١٤٠١ — ١٩٨٠م ص ٢٦٠ .

(١٩) جلال يحى : تاريخ المغرب الكبير حـ ٤ ، بيروت ، النهضة العربية ١٤٠١هـ / ١٩٨١م ص ١٣٦ .

عــربى بجيش اوربى فى العصر الحــديث[٣٠] واصبح محمد عبد الكريم الخطابى حاكم الريف بلا منازع من ابواب مليلة وحتى حــدود تطوان[٣١] مما اقلق الفرنسيين وجعل المــاريشال « ليوتى » المقيم العام الفرنسى فى المغرب يبرق الى حكومته برسالة يقول فيها « ان الجهات الواقعة تحت السيطرة الأسبانية والمتاخمة للمنطقة الفرنسية اصبحت مراكز للعصيان » وان « دولة اسلامية قوامها قومية الشمال الافريقى اخذت تنشىء نفسها فى شمال المغرب الفرنسى » وأن الأمير الخطابى اصبح لا يخفى هدفــه فى « مهاجمة المنطقة الفرنسية »[٣٢] .

وعلى كل حال فانه نتيجة للانتصارات التى حققها أهل الريف عــلى الأسبان بدأ الأمير محمد عبد الكريم فى تنظيم شئون بلاده بهدف الوصـول بها الى حالة اكثر تطورا تستطيع من خلالها التعاون على الجهاد والتكاتف من اجل تحقيق النصر الكامل على الأسبان ، ومقاومة الأخطار التى تتهددها ومن اجل ذلك رأى ضرورة تشكيل جمعية وطنية تدير البــلاد ، كما رأى تشكيل حكومة جمهوريــة دستورية عــلى اسس حديثــة وفقا للمنظور الاسلامى القائم على مبدأ الشورى فى الحكم ، والاهتمام بتقويــة الجيش وتنظيمه على اسس عصرية ، وتنظيم مالية بلاده وتنظيم أمورها الداخلية والاقتصادية ، وبناء المدارس والمستشفيات والعمل عــلى اقامة علاقات ودية مع جميع الدول دون تمييز[٣٣] .

ولـــا حاول الأمير محمد عبد الكريم التوصل مع الأسبان الى تفاهم على اساس عدم تدخلهم فى شئون منطقة الريف الداخلية تدخلت فرنسا فى الأمــر للحيــلولة دون ذلك[٣٤] خاصــة وانها بدأت تشعر بخطــورة

---

(٣٠) اسماعيل ياغى : المرجع السابق .
(٣١) شوقى الجمل : المرجع السابق ص ٣٥٢ .
(٣٢) لاندو : المرجع السابق ص ١٥٠ .
(٣٣) عمر أبو النصر : بطل الريف الأمير عبد الكريم الخطــابى ، بيروت المطبعة الوطنية ١٣٥٣هـ / ١٩٣٤م ص ١٣٤ .
(٣٤) اسماعيل ياغى ومحمد شاكر : تاريخ العالم الاسلامى الحديث والمعاصر — قارة افريقية ، حـ ٢ ، الرياض ، دار المريخ ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ص ١٥٥ .

استقلال منطقة الريف على تواجدها فى مراكش . كما اخذت تعمل على اثارة الحزازات القبلية فى منطقة الريف وتستميل بعض القبائل اليها[٢٥] وتتحرش بقوات الأمير محمد عبد الكريم فتذرعت بأحقية احتلالها لأحد الوديان التى تسيطر عليها قوات الريف ، وانتهى الأمر باشعال نيران الحرب بين الطرفين ، وقيام تحالف بين الفرنسيين والأسبان ، واتفاقهما على القيام بهجوم مشترك ضد الأمير وقواته بحجة أن أى انتصار للمسلمين فى الريف سيكون له أثره على الشعوب الاسلامية الخاضعة للنفوذ الأوربى ، ودارت رحى معارك غير متكافئة اضطر بعدها الأمير محمد عبد الكريم الخطابى الى الاستسلام بحكم نفاد السلاح والذخيرة وتفشى الأمراض بين أهل الريف ، وكان ذلك فى ٢٧ مايو ١٩٢٦ حيث تم نفيه الى جزيرة (ريونيون) فى المحيط الهندى ثم نقل بعد ذلك الى مصر حيث تم حصوله على حق اللجوء السياسى بها[٢٦] وظل هناك حتى توفى فى عام ١٩٦٣ م .

ونتيجة لنجاح فرنسا وأسبانيا فى ضرب المقاومة المسلحة فى المغرب لجأ الوطنيون الى النضال السياسى ، فبرزت أحزاب عديدة مالت الى اللين فى مطالبها ، كما تأسست صحف عديدة للدفاع عن مصالح الوطن فصدرت فى باريس مجلة « المغرب » وفى فاس صدرت جريدة « عمل الشعب » بالفرنسية ، وجريدة الحياة ، وفى تطوان صدرت « مجلة السلام » بالعربية ، كما أنشأ أول حزب مغربى باسم « كتلة العمل المغربى » فى أواخر عام ١٣٥٤هـ / ١٩٣٤م . وقد شكل هذا الحزب حركة عربية اسلامية تزعمها فى منطقة الاحتلال الأسبانى السيد عبد الخالق الطريسى ، كما شكل الوطنيون فى منطقة الاحتلال الفرنسى حزبهم برئاسة « علال الفاسى » وسموه الحزب الوطنى[٢٧] وقد تولى هذا الحزب قيادة الحركة الوطنية فى مراكش فى أواخر الثلاثينات من هذا القرن ، واعلن عن ميثاقه

---

(٢٥) لاندو : المرجع السابق ص ١٥١ .

(٢٦) العرب : المقال السابق ص ٩٥٧ .

(٢٧) ياغى وشاكر : المرجع السابق .

فى عام ١٩٣٧ والذى يلاحظ من بنوده أن الحزب لم يطالب باستقلال مراكش عن فرنسا استقلالا تاما[٢٨] .

وفى عام ١٩٤٣م تأسس حزب جديد حل محل الحزب الوطنى وهو حزب الاستقلال ، وكان تحت رئاسة محمد علال الفاسى وأمانة سر بلفريج وقد ضم هذا الحزب أعضاء الحزب الوطنى وأساتذة جامعة فاس ، وأصدر جريدة بالعربية أسماها « العلم » وجريدة بالفرنسية أسماها الاستقلال[٢٩] .

وقاد هذا الحزب الحركة الوطنية المراكشية بعد الحرب العالمية الثانية ووضع ضمن مبادئه الرئيسية الغاء الحماية الفرنسية التى فرضت على مراكش منذ عام ١٩١٢ ، واستقلال مراكش استقلالا تاما .

وخلال الحرب العالمية الثانية نزلت الجيوش الأمريكية فى مراكش عام ١٣٦١هـ / ١٩٤٢م ، وقد رحب بها السلطان محمد الخامس ، وعقد اجتماعا مع الرئيس الأمريكى روزفلت فى الدار البيضاء ، وخلال ذلك وعده الرئيس روزفلت بتأييد استقلال بلاده ، وفى أعقاب ذلك دخل النضال الوطنى فى مراكش مرحلة جديدة وهى المطالبة بالاستقلال التام ، واقرار الملكية الدستورية كنظام للحكم[٣٠] .

وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية اتصل زعماء الحركات الوطنية فى المغرب بالجامعة العربية ، وكان من مظاهر هذا الإتصال مؤتمر المغرب العربى الذى عقد فى القاهرة فى فبراير ١٩٤٧[٣١] وتم فيه تأييد موقف المغرب ، وشجب ممارسات فرنسا العدوانية ضده .

---

(٢٨) محمد فؤاد شكرى وآخران : نصوص ووثائق فى التاريخ الحديث والمعاصر ، القاهرة ، الانجلو المصرية ص ٥٢٤ .

(٢٩) باغى وشاكر : المرجع السابق .

(٣٠) باغى وشاكر : المرجع السابق .

(٣١) شكرى وآخران : المرجع السابق ص ٥٢٤ — ٥٢٥ .

وفى عام ١٩٥٠ قدم السلطان محمد الخامس مذكرة الى رئيس الجمهورية الفرنسية يطالبه بالغاء معاهدة الحماية على بلاده ، واعلان استقلال المغرب ، ولكن الفرنسيين اعترضوا على ذلك ، ولجأوا الى التهديد باستخدام القوة .

ونتيجة لذلك اثيرت قضية المغرب على الصعيد الدولى عند انعقاد الجمعية العامة للأمم المتحدة فى نيويورك فى خريف عام ١٩٥٢ .

واصرت الدول العربية على ادراج القضية المغربية فى جدول الاعمال وأيدتها فى ذلك الدول الآسيوية خصوصا الهند[٣٢] وقد تحقق لها مطلبها ، وفى اكتوبر من عام ١٩٥٣ اعربت الأمم المتحدة عن ثقتها فى قيام مفاوضات بين فرنسا والمغرب لحل الخلاف بينهما على اساس من حسن النية والثقة والاحترام المتبادل[٣٣] ، ولكن فرنسا قامت بتحدى الأمم المتحدة ونفت السلطان محمد الخامس ثم اضطرت الى الافراج عنه فى عام ١٩٥٥ وقررت اجراء مفاوضات مع المغاربة اسفرت فى نهايتها على عقد معاهدة فى مارس ١٩٥٦ اعترفت فيها باستقلال المغرب[٣٤] .

ونتيجة لذلك تغير لقب السلطان محمد الخامس الى لقب الملك محمد الخامس .

وقد نجح ملك المغرب فى قيادة بلاده الى بر الأمان ، وكان دائم الحرص على اضفاء روح النظام الديمقراطى على النظام الملكى فى المغرب ، فحاول ايجاد حكومة فى البلاد تتمثل فيها جميع الميول السياسية المختلفة[٣٥] كما نجح فى استرداد مدينة طنجة التى بقيت تحت نظام دولى حتى عام ١٩٥٧ ، واصبحت ضمن اجزاء بلاده .

واتخذت مراكش اسم المغرب رسميا للدولة ، وقبلت عضوا فى هيئة

---

(٣٢) لاندو : المرجع السابق ص ٤٤٣ .

(٣٣) نفسه ص ٤٤٩ .

(٣٤) ياغى وشاكر : المرجع السابق .

(٣٥) لاندو : المرجع السابق ص ٤٩٢ — ٤٩٣ .

الأمم المتحدة فى عام ١٩٥٦م ، ثم انضمت الى الجامعة العربية فى عام ١٩٥٨ م .

وقد اهتم الملك محمد الخامس بانشاء جيش وطني،وتعريب التعليم والقضاء ، والغاء القواعد الأمريكية الموجودة فى بلاده والسير فى خطط التنمية الاقتصادية ، وبعد أن وافته المنية فى ٢٦ فبراير ١٩٦١ خلفه ابنه الحسن الثاني وقد ادى المغرب فى عهده دوره كاملا فى خدمة القضايا العربية والاسلامية ، كما شارك فى معارك رمضان اكتوبر ١٩٧٣ ، ولا يزال يحرز تقدما فى المجالين الداخلى والخارجى[(٣٦)] .

---

(٣٦) ياغى : المرجع السابق .

ثبت المصادر والمراجع

اسماعيل ياغى ومحمود شاكر : تاريخ العالم الاسلامى الحديث والمعاصر ، قارة افريقية جـ ٢ ، الرياض ، دار المريخ ، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م .

جلال يحيى : (أ) المغرب الكبير — العصور الحديثة وهجوم الاستعمار ، الاسكندرية — الدار القومية للطباعة والنشر ١٩٦٦ .

(ب) المغرب الكبير — الفترة المعاصرة وحركات الاستقلال ، بيروت ، النهضة العربية .

رأفت الشيخ : فى تاريخ العرب الحديث ، القاهرة ، دار الثقافة ، ١٩٧٥ .

روم لاندو : تاريخ المغرب فى القرن العشرين — ترجمة نقولا زيادة ، بيروت ، دار الثقافة ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٠هـ ١٩٨٠ م .

شوقى الجمل : المغرب العربى الكبير فى العصر الحديث ، القاهرة ، الانجلو المصرية ، الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ / ١٩٧٧م .

صلاح العقاد : المغرب العربى — دراسة فى تاريخه الحديث واوضاعه المعاصرة ، القاهرة ، الأنجلو المصرية ١٩٨٠م .

عبد الكريم الفيلالى : المغرب ملكا وشعبا ، القاهرة ، دار الطباعة الحديثة ١٩٥٧م .

عمر أبو النصر : بطل الريف الأمير عبد الكريم الخطابى ، بيروت ، المطبعة الوطنية ، ١٣٥٣هـ / ١٩٣٤م .

محمد فؤاد شكرى وآخران : نصوص ووثائق فى التاريخ الحديث والمعاصر ، القاهرة ، الانجلو المصرية .

الدوريات :

العرب : الجزءان السابع والثامن فى محرم وصفر ١٣٩٨هـ .

(٨)

ليبيا في التاريخ الحديث والمعاصر

أولا : ليبيا فى ظل الحكم العثمانى :

دخلت ليبيا ضمن دائرة الدولة العثمانية منذ منتصف القرن العاشر الهجرى ، السادس عشر الميلادى ، وذلك بعد ان ارسل الأهالى الى السلطان العثمانى يستنجدونه ، ويطلبون منه تخليصهم من فرسان القديس يوحنا الذين اتبعوا معهم سياسة التعصب الدينى ، وقد استجاب السلطان لطلبهم[1] وأرسل جيشا بقيادة الصدر الأعظم سنان باشا الى طرابلس تمكن من اقتحام أبوابها ودخولها عنوة فى ١٨ سبتمبر ١٥٥١م واجبار فرسان القديس يوحنا على مغادرتها لتصبح منذ ذلك الوقت تابعة للسيادة العثمانية ، وقاعدة للأسطول العثمانى فى البحر المتوسط[2] . وقد استمرت هذه المنطقة تحت ظلال الحكم العثمانى ثلاثمائة وستين عاما بين ١٥٥١ — ١٩١١م .

ويقسم المؤرخون الحكم العثمانى فى ليبيا الى ثلاثة اقسام هى :

١ — عهد الولاة العثمانيين قبيل اسرة القرمانلى[3] ١٥٥١ — ١٧١١ وفيه تسلطت الانكشارية على كافة امور البلاد مما أدى الى سوء الأحوال وفساد الادارة ، وقد بلغ عدد ولاة هذه الفترة ثلاثة واربعين واليا[4] .

---

(١) د. عبد العزيز الشناوى : الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها حـ ٣ ص ٩٢٩ .

(٢) د. محمد فؤاد شكرى : ميلاد دولة ليبيا الحديثة ، المجلد الأول القاهرة ، مطبعة الاعتماد ١٩٥٧ ص ٧٧ ، ومحمد الراقد : الغزو العثمانى لمصر ونتائجه على الوطن العربى الاسكندرية ، مؤسسة شباب الجامعة ١٩٦٨ ص ٢٤٦ — ٢٤٩ .

(٣) نسبة الى مدينة قرمان فى الأناضول .

(٤) حسن سليمان محمود : ليبيا بين الماضى والحاضر ص ١٨٢ .

٢ — عهد اسرة القره مانلى الذى انفرد فيه احمد القره مانلى — احد اعيان الجند — بالسلطة فى عام ١٧١١[٥] وفرض وجوده هو واسرته على الباب العالى مائة واربعة وعشرين عاما وهى الفترة الممتدة من ١٧١١ — ١٨٣٥م وذلك بسبب ضعف الدولــة العثمانيــة ، وتفكك الروابط التى تربطها بولاية طرابلس الغرب مما ادى الى سيطرة القرمانليين على السلطة هناك[٦] خاصـــة بعد ان تمكن احمد القره مانلى من القضاء عـــلى فتن جنود الحامية وتدخلهم فى شئون الولاية ، وذلك بعد أن تخلص منهم بمكيدة دبرهـــا لهم حيث اقـــام لهم وليمة فى بيتـــه ، وقـــام بذبح ثلاثمائـــة من كبارهم[٧] هذا بالاضافة الى تمكنه من القضاء على الفتن والثورات التى اعترضت سبيل الاستقرار فى ولايته .

وبعد ذلك اعتمد القره مانلى على العنصر الوطنى فى الجيش وادارة شئون البلاد ، فأوكل جميع الأعمال الادارية لأبناء البلاد وجعـــل اللغة العربية اللغة الرسمية فيها .

ونظراً لبروز دور القره مانليين فى طرابلس عقدت العديد من الدول الأوربية والولايات المتحدة الأمريكية المعاهدات معهم[٨] حتى يمتنعوا عن التعرض لسفنها فى نظير دفع الاتاوات اللازمـــة لهم مما أكد استقلاليتهم الواضحة عن العثمانيين .

وقد وافقت الدولة العثمانية على سيطرة هذه الأسرة على طرابلس لدرجة ان اصبحت العلاقة بينهما مجرد علاقة اسمية تتسم بالولاء للسلطان خليفة المسلمين ، وترتبط بالصلات الروحية مع العثمانيين[٩] .

وقد تمكن احمد القره مانلى تبيل وفاته فى جعل ليبيا وراثية لأبنائه من بعده فخلفه ابنه محمد باشا ثم اخذت الأسرة القره مانلية تتوارث الحكم

---

(٥) لتفاصيل ذلك انظر محمد فؤاد شكرى : المرجع السابق ص ٧٨ .
(٦) جلال يحى : المغرب الكبير حـ ٣ ، العصـــور الحديثـــة وظهور الاستعمار ، بيروت ، دار النهضة العربية ، ١٩٨١ ص ٥٨ .
(٧) حسن سليمان : المرجع السابق ص ١٨٣ .
(٨) شكرى : المرجع السابق ، المجلد الأول ص ٧٨ .
(٩) جلال يحى : المرجع السابق حـ ٣ ص ٥٩ .

ابنا عن أب . وقد بلغت هذه الأسرة عصرها الذهبى فى عهد على القره مانلى ثم لم تلبث الأمور أن تدهورت بين أفراد هذه الأسرة نتيجة لاهمالهم وسائل الانتاج ، وربط نظامهم بالنشاط البحرى فى وقت تطورت فيه وسائل الانتاج فى أوربا[١٠] ، ونتيجة لذلك انتشرت الفتن وشملت الاضطرابات كافة انحاء البلاد[١١] حتى تم القضاء على حكمهم فى عام ١٨٣٥م[١٢] ، وسرعان ما اضطرت الدولة العثمانية الى اعادة فرض حكمها المباشر على هذا الاقليم[١٣] .

٣ — عهد الولاة العثمانيين بعد أسرة القره مانلى ١٨٣٥ — ١٩١١م وقد بلغ عدد ولاة هذه الفترة ثلاثة وثلاثون واليا كان من ابرزهم « أحمد راسم » الذى حرص على ترقية شئون هذه الولاية ، بتوسيع نطاق الزراعة والتعليم ، والعمل على اعادة هيبة الحكومة فيها وضبط أمورها[١٤] و « سليمان نامق » الذى استطاع تأمين احتياجات الأهالى من المياه ، وظهرت فى عهده أول جريدة تصدر فى طرابلس الغرب وهى صحيفة الترقى[١٥] ومنهم « المشير رجب باشا » الذى عين فى عام ١٩٠٤م بهدف معالجة وتحسين الحالة العسكرية والأمنية فى ليبيا وقد نجح فى ذلك الى حد كبير[١٦] ، كما عمل على تحسين النظام القضائى بها ، وتحسين أحوالها الاقتصادية ، والحد من امتيازات قناصل الدول الأجنبية التى حصلوا عليها فى عهد أسرة القره مانلى والوقوف فى وجه الأطماع الايطالية فعارض بشدة تأسيس فرع لبنك دى روما فى طرابلس ،

---

(١٠) نفسه ص ٦١ .

(١١) شكرى : المرجع السابق : المجلد الأول ص ٧٩ .

(١٢) عبد الكريم رافق : العرب والعثمانيون ص ٣٧٧ .

(١٣) جلال يحى : المرجع السابق ج ٣ ص ٦٩٣ .

(١٤) أحمد صدقى الدجانى : ليبيا قبيل الاحتلال الايطالى ، أو طرابلس الغرب فى أواخر العهد العثمانى الثانى ١٨٨٢ — ١٩١١ ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٩٧١ ص ١١٤ .

(١٥) نفسه ص ١٤٥ .

(١٦) انتونى جوزيف كاكيا : ليبيا فى العهد العثمانى الثانى ١٨٣٥ — ١٩١١م ، ترجمة يوسف العسلى — القاهرة ، دار احياء الكتب العربية ١٩٤٦ ص ٦٠ .

واعترض على بيع الأراضى اليه مما دفع ايطاليا الى المطالبـــة بتنحيته ، وأنشىء البنك رغم أنفه وبدون استصدار مرسوم من الآستانة[١٧] وظـل الحال على ذلك حتى وصول الاحتلال الايطالى الى ليبيا فى عام ١٩١١م .

وقبل أن نتطرق الى احتلال ايطاليا لليبيا ينبغى أن نذكر أن الحكم العثمانى لهذه الولاية كان فاسدا وضعيفا وغـــير قادر عـــلى ادارة هذه البلاد بطريقة صحيحة خاصـــة وأن جل هم العثمانيين كان جمـــع الضرائب فى وقت قلت فيه الأموال فى أيدى دافعيها . يضاف الى ذلك أن الدولـــة العثمانية لم تقم باصلاحات تذكر فى هذه الولاية لتحســـين المواصلات أو التعليم أو غيره[١٨] وفضلا عن ذلك فان النظام الادارى فى البلاد صـــار موزعا بين رؤساء الأسر الكبيرة والشـــيوخ وكان من هؤلاء السنوسيين الذين اختصوا بالأمور المحلية فى المناطق المتعددة التى قامت بها الزوايـــا السنوسية خصوصا فى فترة العهد العثمانى الثانى[١٩] .

ثانيا : الاحتلال الايطالى لليبيا والمقاومة الوطنية :

نزلت ايطاليا الى ميدان الاستعمار بعد أن أتمت وحدتها السياسية فى عام ١٨٧٠م ، وتزايد عدد سكانها بسرعة لدرجة أن الأراضى الزراعية فيها لم تعد قادرة على استيعابهم[٢٠] ، ومن هنا تطلعت ايطاليا للاستيلاء على تونس ، ولمـــا سبقتها فرنسا فى ذلك حـــاولت استرضاءها باتفاق أطلقت فيه يدها فى ليبيا فى نظير أن تطلق ايطاليا يد فرنسا فى مراكش[٢١] يضاف الى ذلك ان روسيا اتفقت مع ايطاليا على مساندة أطماعها فى ليبيا فى نظير اعتراف ايطاليا بحق مرور سفنها فى المضايق[٢٢] ونتيجـــة لذلك بدأت ايطاليا تمهد للسيطرة على ليبيا اقتصاديا وثقافيا قبل القيام بعملياتها

---

(١٧) الدجانى : المرجع السابق ص ١٦٣ .
(١٨) يحى : المرجع السابق ص ٦٩٩ .
(١٩) شكرى : المرجع السابق ، المجلد الأول ، ص ٨٥ .
(٢٠) الدجانى : المرجع السابق ص ٣٢٥ .
(٢١) أنتونى جوزيف : المرجع السابق ص ٥٩ .
(٢٢) شوقى الجمل : المغرب العـــربى الكبير فى العصر الحـــديث ص ٣٧١ .

العسكرية فحصلت على امتياز بفتح فــرع لبنك روما فى كل من طرابلس وبرقة عام ١٩٠٥ ذلك البنك الذى لم يقتصر دوره على الأعمـــال البنكية بل نشط فى عمليات الرهن والتسليف مع الأهالى ، وقرض الأموال لأصحاب الأراضى الزراعية ثم سلبها منهم كما فتحت ايطاليا المدارس المجانية فى ليبيا بقصد نشر الثقافة الايطالية وأنشـــأت المستشفيات والملاجىء للمرضى والفقراء ، وانشأت مكتبا للبريد فى بنغازى(٢٣) والى جانب ذلك قـــامت بارسال البعثات العلمية لاكتشاف المناطق الداخلية فى ليبيا ومسح اراضيها هذا فى الوقت الذى لم تقم فيه الدولة العثمانية باى عمل جدى لوقف التوغل الايطالى فى ليبيا .

ولكى تبرر ايطاليا اهدافها الاستعماريـــة فى ليبيا بدأت فىمهاجمـــة الأتراك ، ونددت بسياستهم فى ليبيا ، وطالبت بضرورة اصلاح أحوال هذه البلاد ، والنهوض بها(٢٤) .

وبعد ان تهيأت الأذهان امام سيطرة الايطاليين على ليبيا طـــالبت ايطاليا الدولة العثمانية فى سبتمبر ١٩١١ بعدة مطالب لها فى ليبيا هى :

١ — خروج العساكر العثمانية من طرابلس وبنغازى ودرنـــة .

٢ — تشكيل قوات عسكرية فى هذه المنـــاطق تحت قيادة ضـــباط ايطاليين .

٣ — أن تكون ادارة الجمارك فى ليبيا تحت أيدى موظفين ايطاليين .

٤ — أن يتم تعيين والى طرابلس بموافقة ايطاليا ورضاها(٢٥) .

ولم تكتف ايطاليا بذلك بل وجهت انذارا الى الدولة العثمانية تتهمها فيه بعدم النهوض بليبيا ، وتجاهل رغائبها فيها ، ومعارضة مشروعاتها

---

(٢٣) يحى : المرجع السابق جـ ٣ ص ٧١٥ .
(٢٤) زاهية قدروة : تاريخ العرب الحديث ، بيروت ، دار النهضة العربية ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ص ٤١٨ — ٤١٩ .
(٢٥) شوقى الجمل : المرجع السابق .

هناك رغم مصالحها الحيوية فى هذه البلاد هذا الى جانب قيامها بتحريض الأهالى على الرعايا الايطاليين بخاصة وعلى الرعايا الأجانب على إختلاف جنسياتهم بعامة مما جعلهم يخشون على حياتهم ، ويشرعون فى الهجرة من هذه البلاد .

ونتيجة لذلك فان الحكومة الايطالية مضطرة حرصا على مصالحها وشرفها الى احتلال طرابلس وبنغازي احتلالا عسكريا .

وقد صدرت الأوامر الى السفير الايطالى فى الآستانة بالحصول على رد من الحكومة العثمانية على هذا الانذار فى مدة أربع وعشرين ساعة والا فان الحكومة الايطالية مضطرة الى احتلال ليبيا(٢٦) .

وعند تحليلنا لهذا الانذار نجده يثير الدهشة والاستغراب ولا نجد سببا واحدا معقولا من الأسباب التى وردت فيه يدعو ايطاليا الى القيام بهذا العمل العدائى . فهل من المنطقى أن تهدد ايطاليا باحتلال المدن الليبية لأن الدول العثمانية لم تعمل فى النهوض بهذه البلاد ، وهل من المنطقى ان تهدد ايطاليا بالاستيلاء على ليبيا لأن الدولة العثمانية لم تمنحها امتيازات اقتصادية ، وحقوق فى هذه البلاد .

وللاجابة على ذلك نجد ان ايطاليا استغلت ضعف الدولة العثمانية وانشغالها ، وسوء احوالها فى تحديها والافتراء عليها ، كما انها أرادت أن تحول انظار الشعب الايطالى الى الخارج حتى تبعده عن التفكير فى مشاكل بلاده الداخلية .

وقد كان رد الدولة العثمانية على هذا الانذار ضعيفا حيث حاولت التنصل من اتهامات ايطاليا لها ، واظهرت حسن نيتها تجاه الايطاليين ومشروعاتهم الاقتصادية فى طرابلس وبرقة(٢٧) ودعت الى اجراء مفاوضات بين البلدين بهدف تجنب الحرب ، وحسم النزاع بينهما بطرق سلمية مقابل أن تعطى لايطاليا مركزا ممتازا فى ليبيا كما قامت الدولة العثمانية بارسال

---

(٢٦) الجمل : المرجع السابق ص ٤٣٨ .
(٢٧) يحى : المرجع السابق حـ٣ ص ٧٣٨ .

برقيات الى الدول الأوربية تطلب منها التوسط فى الأمـر ، ولكن ايطاليا رفضت هذه المحاولات واعلنت الحرب على الدولة العثمانية فى ٢٩ سبتمبر ١٩١١ وبدأت فى محاصرة طرابلس مدة ثلاثة أيام حتى سقطت بعد قتـال غير متكافىء[٢٨] بعد مجزرة بشرية تمثلت فيها أفظع أدوار الهمجية[٢٩] وبعـدها تم للايطـاليين احتـلال الموانى والنقط السـاحلية فى ليبيا فى اكتوبر ١٩١١[٣٠] أما باقى المناطق فقد ظلت فى ايدى القوات الوطنيـة التى وقفت للايطاليين بالمرصاد ، وقاومت الجيش الايطالى المدجج حاملـة لواء الحرب ضد جنود الاحتلال والادارة الايطالية تقاومهم بالعتاد والسلاح مقاومــة عنيفــة فى كل مكان مما دفـع بالايطـاليين الى بذل الكثير من التضحيات ، ودفع بشعوب العالم الاسلامى الى تكوين الجمعيات لجمـع الاكتتابات اللازمة للمشاركة فى نفقات هذه الحـرب ، وامـداد المقاتلين بالمـال والعتاد[٣١] .

ولعل من المفيد أن نذكر أن المقاومة ضد الايطاليين والتى لاقى فيها الكثيرون من الأهالى حتفهم ، وقضى آخرون حياتهم داخل السجون كانت موزعة فى أربع مناطق هى اقليم برقة ، ودرنة ، وبنغازى ، وطرابلس .

وقد واجه المجاهدون الجيش الايطـالى فى معارك طاحنة وقويـة استبسلوا فيها خصوصا وانهم يناضلون عن قضية من أشرف القضـايا وهى الدفـاع عن وطنهم ، والذود عن حياضـهم[٣٢] ولكن الفـارق فى التسليح والاعداد والامكانات كان له اكبر الأثـر فى حسم المعركة لصالح ايطاليا[٣٣] .

---

(٢٨) ياغى وشاكر : تاريخ العالم الاسـلامى الحـديث والمعاصر حـ ٢ ص ٧٢ .

(٢٩) لوثروب ستودارد : حاضر العالم الاسلامى — ترجمة عجـاج نويهض ، المجلد الثانى ، الجزء الثالث ، بيروت دار الفكر، ص ٣٧٦ .

(٣٠) انتونى جوزيف : المرجع السابق ص ٦٥ .

(٣١) يحى : المرجع السابق حـ ٣ ص ٧٧٧ .

(٣٢) ستودارد : المرجع السابق حـ ٣ ص ٣٧٧ .

(٣٣) الجمل : المرجع السابق ص ٣٧٦ .

وقد استغل الايطاليون فى ذلك ارتكاب أخطـــاء جسيمة فى معاملتهم للأهالى ، ومحاولة فرض وجودهم بالقوة ، وبطريقة تتنافى مع قوانين الحـــرب[٣٤] .

وبعد أن عجزت الدولة العثمانيـــة عن مد يد المعونـــة الفعلية الى الأهالى ، وفشلت قواتها فى مواجهـــة الموقف اضطرت الى عقد معاهدة أوشى لوزان مع ايطاليا ، والتى انسحبت بمقتضاها من ليبيا فى ١٨ أكتوبر ١٩١٢ ، وتركتها لقمة سائغة للايطاليين ، كما تركت أهلها يقاومون الجيش الايطالى بمفردهم مقاومة عنيفة لأكثر من ثلاثين ســـنة[٣٥] .

وبهذه المعاهدة خرجت الدولة العثمانيـــة من ليبيا تاركة الزعامـــة السنوسية تقف بمفردها فى مقاومة الاستعمار الايطالى[٣٦] مما كان لـــه أكبر الأثر فى ظهور العديد من النتائج السلبية ومنها :

١ — أنها أثرت تأثيرا سيئا على حـــركة الكفاح الليبى نظرا لأن آمـــال الليبيين كانت معقودة على الدولة العثمانية .

٢ — وقوع عبء الكفاح ضد الايطاليين على الســـنوسيين الذين اعتبروا أن تنازل السلطان العثمانى عن ليبيا بمثابة اعلان الاســـتقلال للامارة السنوسية فى برقة[٣٧] .

٣ — اعتراف الدول الكبرى بسيادة الايطاليين على طرابلس وبرقة .

٤ — هجرة الكثير من الايطاليين الى ليبيا بقصد الاستيطان[٣٨] .

وفى أعقاب ذلك أخذ الايطاليون فى دعوة أهالى ليبيا الى الســـكينة ، كما أخذوا فى اظهار حسن النية لهم . ونتيجة لانخداع الأهالى بأقوالهم

---

(٣٤) يحى : المرجع السابق حـ ٣ ص ٧٦٢ .
(٣٥) الدجانى : المرجع السابق ص ٤٥٠ .
(٣٦) خطاب : قادة فتح المغرب العربى ص ٢٨٥ .
(٣٧) الجمل : المرجع السابق ص ٣٧٧ .
(٣٨) جوزيف : المرجع السابق ص ٢٠٣ .

وضعت الحرب أوزارها والقى العديد من المجاهدين السلاح . وما كــاد الايطاليون يظفرون بتجريد الأهالى من سلاحهم حتى قلبوا لهم ظهر المجن يسومونهم سوء العذاب ، ويزجون بعضهم فى أعماق السجون مما أثـــار ثائرة الأهالى[٣٩] ، وجعل قادة وزعماء الحركة الوطنية فى طرابلس يعقدون عدة اجتماعات لدراســـة الموقف وبعدها قرروا اعلان استقلال منطقـــة طرابلس ، وتشكيل حكومة وطنية برئاسة « سليمان البارونى » وكان أهم عمل لهذه الحكومة هو انشاء خط دفاعى لعرقلة تقدم الايطاليين[٤٠] .

كما انزعج اهل برقة بعد أن سمعوا بأنباء معاهدة « أوشى لوزان » واعلنوا عن رفضهم تسليم بلادهم للايطاليين . وقد قام الايطـــاليون فى أوائل ١٩١٤ بهجوم كبير على السنوسيين فى الجبل الأخضر واحتلوا العديد من الأماكن ، كما استطاعوا احتلال ولاية فزان ، وعلى الرغم من ذلك فقد استطاعت حركة المقاومة الليبية هزيمـــة الايطاليين فى عدة معارك منها معركة « القرضابية » القريبة من سرت والتى فقد فيها الايطاليون ما يزيد على ثمانية آلاف جندى مما كان له اكبر الأثر فى رفع الروح المعنوية لدى أفرادها ، وزيادة روح الحقد على الايطاليين فانهالوا على الأهالى رميـــا بالرصاص ، واخذوا يقتلون الأبرياء والشيوخ والأطفـــال من النســـاء والرجال[٤١] ، وعندما قامت الحرب العالمية الأولى فى عام ١٩١٤م انضمت ايطاليا الى دول الحلفاء فى نوفمبر عام ١٩١٥ فى حين انضمت الدولـــة العثمانية الى المـــانيا فى ديسمبر من نفس العام الأمر الذى زاد من قـــوة المقاومة الليبية حيث كانوا يتلقون الدعم من تركيا والمـــانيا فى اثناء الحرب العاليـــة الأولى[٤٢] ، واستطاعوا استرداد العديد من المواقـــع من يد الايطاليين ، ونتيجة لذلك تقلص النفوذ الايطالى فى ليبيا ، واقتصر عـــلى سواحل برقة وطرابلس ، كما نشطت حركة المقاومة الليبية وخلال ذلك اتبعت ايطاليا سياسة المراوغة والخداع فأعلنت عن رغبتها فى التفاوض مع المجاهدين ، وبدأت عمليات التفاوض بين السنوسيين وايطاليا ، وعلى

---

(٣٩) ستودارد : المرجع السابق حـ ٣ ص ٣٧٧ .
(٤٠) خطاب : المرجع السابق ص ٢٩٤ .
(٤١) ستودارد : المرجع السابق حـ ٣ ص ٣٧٧ .
(٤٢) رافق : المرجع السابق ص ٤٧٩ .

أثرها عقدت « معاهدة عكرمة » فى ١٦ من ابريل ١٩١٧ والتى اشتملت على ثلاثة عشرة مادة نصت على اعلان رغبة الفريقين فى انهاء القتـــال . وفتح الطرق للتجارة بكل حرية فى بنغازى ودرنة وطبرق بشكل دائم كما التزم الايطاليون بالوقوف عند نقطهم التى كانوا يحتلونها وقت ابرام هذا الاتفاق على أن يفعل السنوسيون مثل ذلك من جانبهم ، وتعهدت ايطاليا بابقاء المحاكم الشرعية فى الأماكن التى يلزم وجودها فيها ، وأن ينشأ فى برقة مدرسة للعلوم والصناعات ، ويكون بها رجال دين لتعليم القرآن ، ونصت هذه الاتفاقية ايضا على اعادة الزوايا والأراضى التابعة لها الى سلطة السنوسيين[٤٣] .

وعلى الرغم من أن هذه المعاهدة قد حققت للسنوسيين شروط انهـاء الحرب ، وفتحت طرق التجارة امام الأهالى ، وخلصت الزوايا السنوسية من قبضة الايطاليين ، ودعمت سلطة السنوسيين على المستوى الدولى ، فانه يجب علينا الا ننسى ان هذه الاتفاقيـــة كانت فى نفس الوقت مكسبا للايطاليين الذين استفادوا من وقف العمليات الحربية ، وتمكنوا من الاتفاق مع قيادة وطنية ودينية مما ادى الى ترسيخ نفوذهم هناك .

وعلى الرغم من عقد هذه المعاهدة فقد حاولت ايطاليا بث روح الفرقة بين المجاهدين ، واستعمال دهائها وقدرتها لتعميق روح التنــافر ، وبث الفوضى[٤٤] فقد حاولت تفتيت وحدة الأمة الليبية ، وبذلت كل ما فى وسعها لتفريق كلمة ابناء البلاد ، ولكن المجاهدين تنبهوا لذلك ووجدوا أن أمانيهم القوية لن تتحقق الا بتأسيس حكومة دستورية يكون على رأسها أمــير مسلم يجمع فى يده السلطات الثلاث الدينية والسياسية والعسكرية ، مع اقامة مجلس نيابى تنتخب الأمة الليبية اعضاءه ، لذلك وقـــع اختيارهم على الأمير « محمد ادريس السنوسى » فذهب اليه وفد من قادة المجاهدين

---

(٤٣) جلال يحى : المغرب الكبير — الفترة المعاصرة وحركات التحرر والاستقلال ، ﺣ ٤ ، بيروت ، دار النهضة العربية ١٩٨١ ص ٤٤ .

(٤٤) لتفاصيل ذلك انظر : بشير السعداوى : فظائع الاســـتعمار الايطـــالى الفاشستى فى طرابـــــلس — برقـــة ، القـــاهرة ١٩٤٩ ، ص ١٨ — ٢١ .

فى يوليو ١٩٢٢ لابلاغه بما تم الاتفاق عليه(٤٥) وقد قبل السنوسى هذه البيعة شاكرا ، ولكن ظروفه الصحية اضطرته الى ترك برقة الى مصر للعلاج ، وترك مجال قيادة الحركة الوطنية امام قيادات وطنية أخرى .

وخلال تلك الفترة تمكن الفاشست من الوصول الى الحكم فى ايطاليا عام ١٩٢٢ ، واعتبروا ان السنوسية هى عدوتهم الأولى ومن الضرورى وضع حد لنشاطها(٤٦) .

ونتيجة لذلك نقض الحاكم الايطالى فى ليبيا معاهدات بلاده مع المجاهدين فى مايو ١٩٢٣ واعلن بطلانها ، وحشد جيوشه فى مواجهة المجاهدين من اجل تحويل ليبيا الى مقاطعة ايطالية . وكان ذلك بمثابة اعلان لبداية حرب جديدة بين الطرفين ، ونتيجة لذلك نشطت الحركة الوطنية من جديد خصوصا بعد أن تسلم عمر المختار قيادة الكفاح ضد الايطاليين فى برقة .

وكان اختيار « عمر المختار » لهذه المهمة اختيارا موفقا لما تحلى به من قوة الشكيمة وصدق العزيمة ، ورباطة الجاش وقوة الايمان بالله ، والاخلاص للوطن(٤٧) .

اما فى طرابلس فقد اصبح « بشير السعداوى » مسئولا عن المجاهدين فى اقليم طرابلس ، وقد تشكلت لجنة مركزية فى برقة من رؤساء القبائل لمواصلة الجهاد ضد الايطاليين وشارك بشير السعداوى فى أعمالها(٤٨) .

وخلال ذلك برز دور « عمر المختار » بشكل واضح فى تاريخ حركة النضال الليبى فى الفترة من ١٩٢٣ الى ١٩٣١م فى وقت بعثت فيه ايطاليا بامداداتها العسكرية ، وحشدت اسطولها امام ميناء بنغازى فأخذ يطلق قذائفه بدون سابق انذار بقصد استفزاز الوطنيين فى محاولة للقضاء

---

(٤٥) يحى : المرجع السابق حـ ٤ ص ٧٠ .
(٤٦) يحى : المرجع السابق حـ ٤ ص ٧٣ .
(٤٧) حسن سليمان : المرجع السابق ص ٢٣٨ .
(٤٨) يحى : المرجع السابق حـ ٤ ص ٧٢ — ٧٣ .

عليهم وابادتهم ، مما أدى الى قتل عدد كبير من الأهـالى ودفنهم تحت الأنقاض[٤٩] .

ونظرا لخطورة الموقف حرص « عمر المختار » على عدم الدخول مع الايطـاليين فى معـركة فاصلة خصوصا وانهم يمتلكون أسلحة متطورة لا توجد فى يد المجاهدين بل اتبع طريقة الكر والفر والهجـوم الليلى كما سافر الى مصر بقصد التشاور مـع السيد « محمد ادريس السنوسى » هناك ، وترتيب استمرار الجهـاد ، وطلب ارسال المؤن والذخـائر من مصر[٥٠] .

ونتيجة لهذا التكتيك الجديد فى المقاومة واجه الايطاليون صعوبـة بالغة فى السيطرة عـلى الموقف عبر عنها القائد الايطالى بقولـه « اننا نحارب عدوا ليس له شكل متماسك يجعلنا دائما على أهبة الاسـتعداد للدفاع ، وكان الثوار مثل النار يمكن أن يظهروا اليوم فى مكان وغدا على بعد خمسين كيلو منه وهكذا » .

لقد نظم عمر المختار قوات المجاهدين على حسب قبائلهم وجعـل لكل قبيلة فرقة مقاتلة باسمها يساعدها عدد من المتطوعين ، وعلى رأس كل فرقة قائد[٥١] وكان يجتمع بهم ويخطب فيهم مشعلا فى صدورهم نيران الحماس ، ويستحثهم على مواصلة القتال ضد أعدائهم حتى أصبح كل فرد منهم يؤمن أن الموت فى سبيل الوطن شهادة فى سبيل الله وان الشهداء لهم أرقى المراتب فى الجنـة .

وقد اختـار « عمر المختار » منطقـة الجبـل الأخضر لتكون مقـرا لقيادة جيشه ، كما نظم معسكرات المجاهدين فيها ، وعلى الرغم من محاولات المدرعات والدبابات الايطالية اقتحـام هذه المنطقـة فقد باءت محاولاتها بالفشل وكان « عمر المختار » بالرغم من كبر سنه وضعف بصره يشترك بنفسه فى المعارك حتى ذاع صيته داخل ليبيا وخارجها . وكان المجاهدون

---

(٤٩) حسن سليمان : المرجع السابق ص ٢٣٨ .
(٥٠) جلال يحى : المرجع السابق حـ ٤ ص ٧٣ .
(٥١) الجمل : المرجع السابق ص ٣٨٩ .

في كفاحهم يعتمدون على طريقة حرب العصابات[٥٢] حيث يهاجمون القوات الايطالية بطريقة خاطفة في المناطق الوعرة المسالك التي يصعب سير المصفحات فيها ثم يرتدون الى مواقعهم بشكل سريع وهم على ظهور خيولهم مما القى الرعب في قلوب أعدائهم[٥٣] .

وقد استمرت المعارك بين المجاهدين والقوات الايطالية في منطقة الجبل الأخضر طوال عامي ١٩٢٤ ، ١٩٢٥ حاول الايطاليون خلال ذلك بث روح الانقسام بين المجاهدين فكانت الطائرات الايطالية تقوم بالقاء المنشورات المليئة بالوعود الكاذبة للمجاهدين ، ولكن تأثير ذلك كان ضعيفا خصوصا على رجال عمر المختار .

ونظرا لخطورة الموقف بالنسبة لمستقبل ايطاليا في ليبيا فقد توصل الايطاليون الى أن قطع طرق الإمدادات عن عمر المختار في الجبل الأخضر ، والتي كانت تصل الى قواته من الشرق والغرب هي أفضل وسيلة لاضعافه واجباره على الاستسلام وتحقيقا لهذه الخطة قامت ايطاليا باحتلال مناطق « الجغبوب » و « فزان » و « الكفرة » وغيرها من المواقع الاستراتيجية .

ولكن ذلك لم يزد رجال المقاومة الليبية الا تصميما على مواصلة القتال ، فقد اشتبك « عمر المختار » ورجاله مع الايطاليين في معارك دامية طوال شهر يوليو ١٩٢٧ حققوا فيها العديد من الانتصارات ، ولكن استمرار تدفق السلاح من ايطاليا لقواتها في ليبيا عاق المجاهدين عن تحقيق انتصارات حاسمة ضدهم[٥٤] .

ولكي تمنع ايطاليا تدفق الأسلحة والذخائر التي كانت تصل الى المجاهدين من مصر ، قامت بانشاء حاجز من الأسلاك الشائكة المكهربة بين مصر وليبيا بطول ثلاثمائة كيلو مترا تبدأ من البحر شمالا الى واحة جغبوب جنوبا ، كما سعت لدى الحكومة المصرية حتى لا تزود الليبيين

---

(٥٢) حسن سليمان : المرجع السابق ص ١٩٢ .

(٥٣) يحى : المرجع السابق حـ ٤ ص ٧٤ .

(٥٤) خطاب : المرجع السابق ص ٢٩٨ .

بالسلاح ثم قامت بحرب ابادة وقتل ضد الوطنيين بضربهم بالطائرات من الجو واتلاف مزروعاتهم وقتل مواشيهم ومصادرة بعضها .

ولمـــا حاولت القوات الايطالية الاستيلاء على منطقة فزان فى يناير ١٩٢٨ التحمت معها قوات « عمر المختار » فى معركة حامية الوطيس انهزم فيها الجيش الايطالى بقيادة « جرازيانى » شر هزيمة .

ولمـــا استمرت انتصارات المجاهدين قامت ايطاليا بتضييق الحصار عليهم فى منطقة الجبل الأخضر كما اسند موسولينى قيادة قواته الى القائد « بادوليو » الذى طالب المجاهدين بالاستسلام دون قيد أو شرط . الا أن تهديداته لم تجد استجابة لدى المجاهدين الذين صمموا عـــلى مواصـــلة الجهاد[٥٥] ، ولكن الايطاليين تمكنوا من الاستيلاء على فزان فى يناير من عام ١٩٢٩ بعد مقاومة عنيفة استمرت حوالى ثمانية شهور .

فى أعقاب ذلك تفاوض « بادوليو » مع « عمر المختار » وتم الاتفاق على ما يلى :

١ — عدم تدخل الحكومة الايطالية فى شئون الدين الاسلامى .

٢ — الاعتراف باللغة العربية فى دواوين الحكومة .

٣ — أن تدرس اللغة العربية وأمور الدين فى المدارس .

٤ — الغاء التفرقة فى الحقوق بين الليبيين والايطاليين .

وعلى الرغم من تظاهر « بادوليو » بقبول هذه الشروط فسرعان ما نكث بوعوده[٥٦] وحاول اغراء « عمر المختار » ببعض المناصب منها أن يكون نائبه فى سبيل تخليه عن المقاومة ، ولكن عمر المختار رفض هذه المساومات وأصر على استمرار الجهاد وانهاء الهدنة مع الايطاليين بعد أن اتضـــح له أن هدفهم من المفاوضات هو محاولة كسب الوقت لصالحهم .

---

(٥٥) الجمل : المرجع السابق ص ٣٩٠ .

(٥٦) خطاب : المرجع السابق ص ٢٩٩ .

وفى عام ١٩٣٠ حاولت ايطاليا وضع حد لحـركة المقاومة الليبيـة فقام « جرازيانى » بمحاصرة المجـاهدين فى الجبـل الأخضر ومنـع كافة الاتصالات بهم ، وسجن كبار المشايخ السنوسيين ورجال الأوقاف وأئمة المساجد ، وقـام بتعذيبهم ، كما أغلق الزوايا السنوسية وصادر جميـع أملاكها ، وملأ معسكرات الاعتقال بالمتعاطفين مع المجاهدين[(٥٧)] ، والقى بالمجاهدين من الطائرات فوق قراهم وعـلى مرأى من ذويهم كما أقـام الأسلاك الشائكة حول برقة ، ومنع أهلها من التنقل خارجها وقام بحرق المنازل والمزارع والأغنام .

والى جانب ذلك أنشأ « جرازيانى » ما يسمى بالمحكمة الطائرة ، وهى محكمة عرفية سيارة تتنقل فى أرجاء البلاد على متن طائرة ، وتقـوم بمحاكمة من يقع أسيرا من المجاهدين فى دقائق معدودة ، وتحكم عليهم غالبا بالموت ومصادرة املاكهم دون أن تسمح لهم بالدفاع عن أنفسهم[(٥٨)] .

كما قام « جرازيانى » بمحاصرة سكان الجبل الأخضر وملأ السجون برجالها حتي سقطت « الكفرة » آخر معاقل السنوسية فى أيدى قواتـه عام ١٩٣١م فاستباحها الايطاليون مدة ثلاثة ايام وارتكبوا فيها العديد من المـآسى والجرائم .

وكان لسقوط « الكفرة » فى ايدى الايطاليين اسوأ الأثر على حـالة المجاهدين الليبيين حيث حرموا من مراكز تموين رئيسية ، ومن قواعد هامة كانوا يستندون عليها فى عملياتهم العسكرية[(٥٩)] .

وترتب على هذه التطورات أن أخذ الايطاليون فى ارتكاب العديد من الجرائم فى حق الشعب الليبى ومن ذلك :

١ — امعانهم فى قتل وتعذيب الأهالى والعمل على تجويعهم .

٢ — محاولاتهم القضاء على اللغة العربية ، وفرضهم اللغة الايطالية

---

(٥٧) الجمل : المرجع السابق ص ٢٩٠ .
(٥٨) شكرى : المرجع السابق ، المجلد الثانى ص ٧١٦ .
(٥٩) يحى : المرجع السابق جـ ٤ ص ٨٠ .

كلغة للتدريس فى المدارس حتى أصبحت بمثابة اللغة الرسمية للتعامل فى ليبيا .

٣ — محاولاتهم تنصير المسلمين فى ليبيا واضعاف اخلاقهم دون النظر الى احترام شعور الأهالى ومعتقداتهم .

٤ — اكثارهم من دور الفسق والفاحشة بهدف اضعاف روح المقاومة لدى الليبيين[٦٠] .

٥ — قيامهم بنزع الاراضى من أيدى الأهالى بدعوى اتصالهم بالمجاهدين أو بتهمة دفعهم الزكاة والعشور للسنوسيين[٦١] .

٦ — محاولة اهانة المسلمين فى دينهم ، ومن أمثلة ذلك قيام « بادوليو » برصف صالة قصره ببلاط نقش عليه اسم نبى المسلمين محمد صلى الله عليه وسلم حتى يمشى الغادى والرائح عليه .

٧ — جمع الأهالى فى المعسكرات والقيام بتجويعهم وتعذيبهم .

٨ — مشيهم على المصاحف ، وانتهاك حرمة المساكن وسبى النساء ، وذبح الشيوخ والأطفال[٦٢] وقذفهم فى البحر .

وعلى الرغم من أن موقف المجاهدين قد أصبح فى حكم الميئوس منه من الناحية العسكرية فقد استمر « عمر المختار » فى المقاومة يزود عن وطنه ويدافع عن كيانه حتى أصيب برصاصة وهو على ظهر جواده وقع على أثرها جريحا[٦٣] فأوثقه أعداؤه بالحديد وساقوه اسيرا فى ١١ سبتمبر ١٩٣١ حيث شكلت له محكمة برئاسة « بادوليو » لمحاكمته . وقد دافع

---

(٦٠) حسن سليمان : المرجع السابق ص ٢٣٨ .

(٦١) يحى : المرجع السابق حـ ٤ ص ٨٥ .

(٦٢) على حسون : تاريخ الدولة العثمانية وعلاقاتها الخارجية ، دمشق ، المكتب الاسلامى ص ٢٤١ .

(٦٣) خطاب : المرجع السابق ص ٣٠١ .

« المختار » عن نفسه وعن بلاده واتهم الاستعمار الايطالى بالقرصنة وسفك الدمـــاء . وفى ١٥ سبتمبر ١٩٣١ صدر الحكم باعدامه شنقا(٦٤) .

وهكذا انتهت حياة مناضل دافع عن بلاده دفاع الأبطال وكانت آخر كلماته لبنى وطنه لا تيأسوا من رحمـــة الله ، وان الله سينصركم عـــلى المستعمر الغاصب وينتصر الاسلام .

وعلى الرغم من تخـــلص الايطاليين من خصمهم العنيد والقوى « عمر المختار » فقد إثار استشهاده ضجة شديدة فى شتى الأقطار الاســـلامية والعربية فأقيمت المـــآتم فى جميع مدن بلاد الشام وصلى الناس عليه صلاة الغائب فى الجامع الأموى ، كما رثاه العديد من الشعراء العـــرب ومنهم « أحمد شـــوقى » و « خليل مطران » فى مصر ، و « محمود أبو رقيبة » فى تونس(٦٥) .

ولم تتوقف حركة الجهاد بعد موت « المختار » فقد ترك أثرا خـــالدا من البطولة فى قومه(٦٦) ، توارثه الأحفاد جيلا بعد جيل ، فلم تهدأ حركة المقاومة فى ليبيا حتى قامت الحرب العالمية الثانية التى انهزمت فيها ايطاليا وبعدها دخلت القضية الليبية فى طور جديد يتلخص فى ان ايطاليا دخلت الحرب بجانب المـــانيا ، وضد قوات الحلفاء الأمر الذى جعـــل بريطانيا تقدم مساعداتها لليبيين ، فبعد مفاوضات بين الأمير السنوسى والانجليز تم الاتفاق على تأسيس جيش ليبى بمساعدة الانجليز فى اغسطس ١٩٤٠ وقـــد شارك هذا الجيش فى المعـــارك التى دارت من أجـــل طرد جنود المحور من شمالى افريقية ، واخراجهم من ليبيا وقد تحقق ذلك فى يناير ١٩٤٣ حيث تم اخراج آخر جندى ايطالى من ليبيا .

وبعد خروج القوات الايطالية من ليبيا بدأت بريطانيا وفرنســـا فى

---

(٦٤) ذكرت بعض الكتابات ان الايطاليين قذفوا به من طائرة بعد شنقه .

(٦٥) شكرى : المرجع السابق ص ٧١٦ .

(٦٦) يحى : المرجع السابق حـ ٤ ص ٨٢ .

السيطرة عليها وقسمتها الى اقسام تولت بريطانيا ادارة اقليمى برقة وطرابلس ، وتولت فرنسا ادارة اقليم فزان[٦٧] .

وكان من المنتظر أن يتغير ذلك الموقف بعد انتهاء الحرب ويتاح للشعب الليبى الحصول على استقلاله ولكن بريطانيا وفرنسا لم يبديا أى استعداد للجلاء . ونتيجة لذلك بدأت الحركة الوطنية فى الظهور ، وشهدت ليبيا نشاطا سياسيا كبيرا واخذت الجبهات الوطنية والأحزاب والأندية والجمعيات[٦٨] تطالب بوحدة ليبيا واستقلالها على أن يكون الأمير محمد ادريس السنوسى ملكا على البلاد . كما قامت جامعة الدول العربية بمساندة قضية الشعب الليبى والدفاع عن حقوقه فى الاستقلال ووحدة اراضيه[٦٩] وبذل « عبد الرحمن عزام » الأمين العام لجامعة الدول العربية آنذاك كافة المساعى بشأن المسألة الليبية ، وندد بمحاولات التقسيم ، وطالب باجراء استفتاء تحت اشراف هيئة الأمم المتحدة والجامعة العربية حتى يعرب الشعب الليبى عن ارادته فى اختيار الحكومة التى يريدها .

ونجحت الجامعة العربية فى لم شمل الأحزاب السياسية فى ليبيا وتوحيد كلمتها .

وفى عام ١٩٤٦ قامت فى طرابلس مظاهرات صاخبة للمطالبة بالاستقلال ، ونتيجة لذلك اجتمع وزراء خارجية الدول الأربع الكبرى لبحث مصير المستعمرات الأيطالية ومن بينها ليبيا ، ونتيجة لعدم توصلهم الى قرار موحد أحالوا الموضوع على هيئة الأمم المتحدة . وخلال ذلك حدثت مناورات من أجل تقسيم ليبيا حيث اجتمع وزير الخارجية البريطانى بيفن مع وزير الخارجية الايطالى سفورزا واتخذا قرارا باعطاء حق الوصاية

---

(٦٧) أحمد رمزى : فزان بين يدى الأتراك والطليان والفرنسيين ، القاهرة ، ١٩٥٢ ، ص ٤٩ — ٥٥ .

(٦٨) عن هذه الأحزاب والأندية والجمعيات انظر : نقولا زيادة : ليبيا فى العصور الحديثة ، القاهرة ، ١٩٦٦ ، ص ١٤٠ .

(٦٩) سيد نوفل : العمل العربى المشترك ماضيه ومستقبله ، القاهرة ١٩٧٤ ص ٧٧ — ٧٨ .

لايطاليا على طرابلس ولانجلترا على برقة ، ولفرنسا على فزان على أن تتحول ليبيا الى دولة مستقلة بعد عشر سنوات[٧٠] ولكن الشعب الليبى رفض هذا القرار وقاومه ، وتوجه وفد ليبى الى الأمم المتحدة ليشرح قضية بلاده أمام اعضاء المنظمة الدولية ، وكان من نتيجة ذلك أن رفضت الأمم المتحدة قرار الوصاية .

وخلال ذلك الوقت قررت الأحزاب الطرابلسية تشكيل هيئة تحرير ليبيا فى ١٣ مارس ١٩٤٧[٧١] وضمت الهيئة « بشير السعداوى » و « احمد السويحلى » و « محمود المنتصر » و « منصور قداره » و « طاهر المريض » ولعب عبد الرحمن عزام الأمين العام لجامعة الدول العربية وتنذاك دورا هاما فى العمل على تشكيل هذه الهيئة .

وقد تم توسيع نطاق هذه الهيئة فى عام ١٩٤٩م وضمت مفتى طرابلس وغيره من الشخصيات واصبح اسمها : المؤتمر الوطنى الطرابلسى ، وأرسل المؤتمر وفدا الى بنغازى للاجتماع بالأمير السنوسى والاتفاق معه على قيام وحدة فيدرالية تحت رئاسته ، وعلى الرغم من أن السنوسى قد عارض هذه الوحدة فى بداية الأمر فانه لم يلبث أن وافق عليها[٧٢] .

وفى ٢١ نوفمبر من عام ١٩٤٩ قررت هيئة الأمم المتحدة استقلال ليبيا ، وقد سارت الأمور موضع التنفيذ حيث تم فى ٢٤ ديسمبر ١٩٥١ الاعلان عن استقلال ليبيا باقسامها الثلاثة ، وطرابلس ، وفزان ، تحت اسم المملكة الليبية المتحدة ، واعلان « محمد ادريس السنوسى » ملكا عليها وفى الوقت الذى أعلن فيه ذلك كانت القوات البريطانية والأمريكية المتمركزة فى ليبيا تنفخ الأبواق تحية لليبيا فى عيد استقلالها[٧٣] .

---

(٧٠) مجيد خدورى : ليبيا الحديثة ، بيروت ، ١٩٦٦ ، ص ١٥٢ .

(٧١) شكرى : المرجع السابق ، المجلد الثانى ، ص ١٠٢٣ وما بعدها .

(٧٢) ياغى وشاكر : المرجع السابق ص ٨٤ — ٨٥ .

(٧٣) سامى حكيم : استقلال ليبيا ، القاهرة ، الأنجلو المصرية ، الطبعة الثانية ١٩٧٠ ص ٢٤٥ — ٢٤٦ .

وفى عام ١٩٥٣م انضمت ليبيا الى جامعة الدول العربية كما انضمت الى هيئة الأمم المتحدة فى عام ١٩٥٥ .

وعلى الرغم من عهد الوحدة الذى أطل على ليبيا فقد كانت الحاجة ماسة الى فك قيدها بعد أن كبلت بثلاث معاهدات أمريكية وانجليزية وفرنسية ولما كانت عملية الاستقلال والوحدة لا تتم الا اذا تساقطت قيود هذه المعاهدات غير المتكافئة وقيود النفوذ الأجنبى والشركات الاحتكارية فقد وافق البرلمان الليبى بالاجماع فى ١٦ مارس ١٩٦٤م على انهاء معاهدة الصداقة والتحالف بين ليبيا وبريطانيا ، والاتفاقيتين العسكرية والمالية الملحقتين بها ، والاتفاقية العسكرية المعقودة بين ليبيا وأمريكا تصفية كاملة ، وجلاء جميع القوات المسلحة لهاتين الدولتين عن الأراضى الليبية جلاء تاما ، واعطاء الفرصة للحكومة تمكينا لها من اتخاذ الخطوات التنفيذية لانهاء تلك المعاهدة والاتفاقات ، وتصفية القواعد عن طريق المفاوضات مع الدولتين المتعاقدتين ، مما أحرج موقف الحكومة والملك ونتيجة لذلك بدأت المباحثات المطلوبة بين الجانبين البريطانى والأمريكى فى أبريل ١٩٦٤ ، وفى ٢١ أغسطس من نفس العام أذاع « محمود المنتصر » رئيس الوزراء الليبى بيانا أعلن فيه موافقة الحكومة البريطانية والأمريكية على مبدأ الجلاء والغاء القواعد الأجنبية فى ليبيا[٧٤] . ثم توالت بعد ذلك عملية انفكاك ليبيا من قيود السيطرة الأجنبية خاصة بعد أن تولى العقيد معمر القذافى زمام الأمور هناك .

---

(٧٤) سامى حكيم : المرجع السابق ص ٢٨٣ — ٢٨٥ .

ثبت المصادر والمراجع

احمـد رمـزى : فزان بين يدى الأتراك والطليان والفرنسيين ، القاهرة ، ١٩٥٢ .

احمد صدقى الدجـانى : ليبيا قبيـل الاحتـلال الايطـالى أو طرابلس الغرب فى أواخر العهد العثمانى الثانى ١٨٨٢ — ١٩١١ ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٩٧١ .

اسماعيل ياغى وشاكر : تاريخ العالم الاسلامى الحديث والمعاصر جـ ٢ .

انتونى جوزيف كاكيا : ليبيا فى العهد العثمانى الثانى ١٨٣٥ — ١٩١١ ، ترجمة يوسف العبـلى — القاهرة ، دار احياء الكتب العربية ، ١٩٤٦ .

بشيـر السـعداوى : فظائع الاستعمار الايطالى الفاشستى فى طرابلس برقة ، القاهرة ، ١٩٤٩م .

جـلال يحى :

(أ) المغرب الكبير ، الجزء الثالث ، العصـور الحديثة وظهور الاستعمار ، بيروت ، دار النهضة العربية ، ١٩٨١ .

(ب) المغـرب الكبير ، الجـزء الرابع ، الفترة المعاصرة وحركات التحرر والاستقلال ، بيروت دار النهضة العربية ، ١٩٨١ .

حسن سليمان محمود : ليبيا بين المـاضى والحـاضر .

زاهيـة قدورة : تاريخ العرب الحديث ، بيروت ، دار النهضة العربيـة ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .

سـامى حكيم : استقلال ليبيا ، القاهرة ، الأنجـلو المصرية ، الطبعـة الثانية ١٩٧٠ .

سـيد نوفـل : العمل العربى المشترك ماضيه ومسـتقبله ، القاهرة ، ١٩٧٤ .

شـوقى الجمـل : المغرب العربى الكبير فى العصر الحديث ،

عبد العزيز الشـناوى : الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها حـ ٢ القاهرة ، الأنجلو المصرية ، ١٩٨٠ .

عبد الكريم رافق : العرب والعثمانيون ، ١٥١٦ — ١٩١٦ ، دمشق ، ١٩٧٤ .

عـلى حسـون : تاريخ الدولة العثمانيـة وعلاقتها الخارجية ، دمشق ، المكتب الاسـلامى .

لوثروب سـتودارد : حـاضر العالم الاسلامى — ترجمة عجـاج نويهض المجلد الثانى ، الجزء الثالث ، بيروت ، دار الفكر الطبعة الرابعة ١٣٩٤هـ / ١٩٧٣م .

مجيد خـدورى : ليبيا الحديثة ، بيروت ١٩٦٦م .

محمـد الراقـد : الغزو العثمانى لمصر ونتائجـه على الوطن العـربى ، الاسكندرية ، مؤسسة شباب الجامعة ١٩٦٨ .

محمد شيت خطـاب : قـادة فتح المغرب العربى ، بيروت ، دار الفكر ، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م .

محمد فؤاد شـكرى : ميلاد دولة ليبيا الحديثة ، المجلدان الأول والثانى ، القاهرة ، مطبعة الاعتماد ١٩٥٧ .

نقـولا زيـادة : ليبيـا فى العصور الحديثة ، القاهرة ١٩٦٦م .

(٩)

جامعة الدول العربية

نشأتها ودورها في خدمة القضايا العربية

من المعروف أن فكرة الأمة العربيــــة القائمة على وحدة اللغـــة والتاريخ والثقافة والدين والمجتمع والتقاليد اقدم من كل الأقطار العربيـــة الجديدة التي يغلب عـــلى نشأتها وجـــود الحـــدود المصطنعـــة ، وليس التكوين العضوى .

ونتيجة للحركات التحررية التي ظهرت في العالم العربي في أعقـــاب الحرب العالمية الثانية ، وخشية من غدر الدول المنتصرة في هذه الحـــرب بالعالم العربي كما حدث في أعقاب الحرب العالمية الأولى — عندما فرضت بريطانيا وفرنسا على العرب تسويـــة تناقض العهـــود التي قطعت لهم بصراحة ، كما تناقض المبادىء التي وضعها الحلفاء كأســـاس للســـلم المقبل[1] — برزت الرغبة في تحقيق حلم طالما داعب خيـــال الشـــعوب العربية ، وهو توثيق الصلات بين الدول العربية ، وتحقيق التعاون بينها وتنسيق خططها السياسية بهدف صيانة استقلالها وسيادتها والظهور أمام القوى الكبرى كمجموعة واحدة مترابطة حتى تستطيع الحصـــول عـــلى حقوقها . ونتيجة لذلك وجهت الحكومة المصريـــة الدعوة إلى رؤســـاء الحكومات العربية المستقلة في يوليو ١٩٤٣ للتباحث والتشـــاور في هذا الأمر ، وقـــد أسفرت المباحثات عن توقيـــع بروتوكول الاسكندريـــة في السابع من اكتوبر ١٩٤٤م والذى نتج عنه تأسيس جامعة الدول العربية في

---

(١) جورج انطونيوس : يقظة العرب — ترجمة على حيدر الركابي — دمشق مطبعة الترقي ، ١٣٦٥هـ ، ١٩٤٦م ، ص ٣٠٥ .

٢٢ من مارس ١٩٤٥[٢] من سبع دول عربيــة هى مصر ، وســورية ، ولبنان ، والسعودية ، واليمن ، والعراق ، والأردن[٣] .

عضويــة الجامعــة :

وقد نصت المــادة الأولى من ميثــاق الجامعة على : أنه — بالاضافة الى الدول المؤسسة — يحق لكل دولة عربية مستقلة أن تنضم الى الجامعة اذا طلبت ذلك[٤] ووافق مجلس الجامعة على طلبها .

ونتيجة لذلك تزايد عدد الأعضاء الى ثلاث وعشرين دولة حيث أضيف الى الدول السبع المؤسسة الدول التالية :

الســودان وقــد انضــمت الى الجامعــة فى عــام ١٩٥٦ وتونس والمغــرب فى عــام ١٩٥٨ ، وليبيــا والكويت عــام ١٩٦١ ، والجزائر فى عــام ١٩٦٢ ، واليمن الديمقراطيــة فى عــام ١٩٦٧ ، والبحرين وقطر وعمان واتحاد الامارات العربية فى عام ١٩٧١ ، وموريتانيا فى عام ١٩٧٣ ، والصومال فى عام ١٩٧٤ وفلســطين[٥] فى عام ١٩٧٦ ، وجيبوتى فى عــام ١٩٧٧ ثم جزر القمر .

اهداف الجامعة العربيــة :

جامعة الدول العربية منظمة اقليمية عربية قامت استجابة للشــعور العربى العام المتمثل فى أهداف واحدة ، وخصائص لغوية ، وثقافيــة ، واجتماعية واحدة ، ويعتبر ميثاقها المبرم فى ٢٢ من مــارس ١٩٤٥ اطارا

---

(٢) محمد اسماعيل على : الوجيز فى المنظمات الدولية ، القاهرة ، دار الكتاب الجامعى ، ١٩٨٢م ص ٣٨٢ .

(٣) على صادق ابو هيف : القانون الدولى العام ، الاسكندريــة ، منشأة المعارف ص ٦٨٦ .

(٤) بروتوكول الاسكندرية : ميثاق جامعة الدول العربية ص ٢١ .

(٥) بالنسبة لوضع فلسطين فقد تم قبولها بناء على مذكرة قدمتها مصر الى الأمين العام للجامعة العربية فى ٣١ من مايو ١٩٧٦ تقترح فيها تصحيح وضع عضوية فلسطين فى الجامعة بحيث يكون على قدم المساواة مع باقى الدول الأعضاء وقد وافق مجلس الجامعة على هذا الاقتراح .

واضحا لهذه الأهداف، ويؤكد ذلك ما ورد فى ديباجة ميثاقها من أن الجامعة قامت « تثبيتا للعلاقات الوثيقة والروابط العديدة بين الدول العربية حرصا على دعم هذه الروابط وتوطيدها على أساس احترام استقلال تلك الدول وسيادتها وتوجيهها لجهودها الى ما فيه خير البلاد قاطبة ، وصلاح أحوالها وتأمين مستقبلها وتحقيق امانيها وآمالها ، واستجابة للرأى العام فى جميع الأقطار العربية »[٦] .

ونتيجة لذلك فقد حددت الجامعة اهدافها فيما يلى :

١ — تحقيق التعاون فى المسائل السياسية :

ولما كان القصد من انشاء الجامعة هو توثيق العلاقات والصلات بين الدول المشتركة فيها ، وتنسيق خططها السياسية وتحقيقا للتعاون بينها والنظر بصفة عامة فى شئون البلاد العربية ومصالحها ، فانها تعمل بكافة أجهزتها من أجل تأمين مستقبل أعضائها ، وتحقيق امانيهم وآمالهم ، وتحاول توجيه جهودهم الى ما فيه الخير للأمة العربية[٧] .

٢ — صيانة استقلال الدول الأعضاء فى الجامعة :

نص ميثاق الجامعة الذى وقع عليه الأعضاء على أن الجامعة ليست سلطة مركزية تباشر سلطانها على البلاد العربية ، وانما هى منظمة اقليمية دولية تقوم على التعاون الادارى بين الدول الاعضاء دون التدخل فى شئونها ، لذلك فانها تهدف الى صيانة واستقلال أعضائها[٨] .

٣ — المحافظة على السلام والأمن العربيين :

نص ميثاق الجامعة : أن على اعضائها عدم الالتجاء الى القوة لفض المنازعات التى تنشب بينهم ، ونتيجة لذلك فان الجامعة تعمل على منع

---

(٦) محمد عبد الوهاب الساكت : الأمين العام لجامعة الدول العربية ، القاهرة ، دار الفكر العربى ١٩٧٣م ص ٥٦ — ٥٧ .

(٧) محمد عزيز شكرى : جامعة الدول العربية ، الكويت ، منشورات دار السلاسل ١٩٧٥م ص ١٥ .

(٨) حسن ابراهيم وآخرون : جولة فى السياسة الدولية ، القاهرة ، ١٩٨٨م ص ١٧٠ — ١٧١ .

ما يهدد السلام والأمن فى المنطقة العربية ، واستئصال كافة المنازعات التى تمس الدول الأعضاء فيها وذلك باحالتها الى مجلس الجامعة لحلها اما بالوساطة او بالتحكيم ، فاذا كان النزاع القائم لا يتعلق باستقلال الدول المعنية أو سيادتها أو سلامة اراضيها ، ووافق المتنازعون على عرض مشكلتهم على المجلس ، يقوم المجلس بدور المحكم فى النزاع واصدار قرارات ملزمة ونافذة[٩] .

٤ — تحقيق التعاون العربى فى المسائل الاقتصادية والثقافية والاجتماعية ويشمل :

(أ) الشؤون الاقتصادية والمالية ويدخل فى ذلك التبادل التجارى والجمارك ، والعملة ، وامور الزراعة والصناعة[١٠] .

(ب) شؤون المواصلات ويدخل فى ذلك السكك الحديدية ، والطرق والطيران ، والملاحة ، والبرق ، والبريد .

(ت) الشؤون الثقافية ويدخل فى ذلك توحيد نظم التعليم وبرامجه والكتب والمراجع ، وبرامج محو الأمية .

(ث) شؤون الجنسية والجوازات والتاشيرات وتنفيذ الأحكام وتسليم المجرمين .

(ج) الشؤون الاجتماعية .

(ح) الشؤون الصحية .

والى جانب ذلك فقد ادى تشعب المصالح العربية الى التعاون فى مجالات اخرى كالنفط ، وحقوق الانسان وغيرها[١١] .

---

(٩) بروتوكول الاسكندرية : ميثاق جامعة الدول العربية ص ٢٥ .

(١٠) للتفاصيل انظر : بروتوكول الاسكندرية — ميثاق جامعة الدول العربية ، وسامى حكيم : ميثاق الجامعة والوحدة العربية ، القاهرة ، الانجلو المصرية ١٩٦٦م ص ٢٠٧ .

(١١) حسن ابراهيم وآخرون : المرجع السابق ص ١٧١ .

٥ ـ النظر فى مصالح البلدان العربية بصفة عامة :

وذلك بهدف مراعاة امانى الأقطار العربية ، والعمل على اصلاح احوالها وتأمين مستقبلها بكل الوسائل والأسباب الممكنة[١٢] .

مبادئ الجامعة العربية :

يمكن استخلاص المبادئ التى تقوم عليها جامعة الدول العربية التى تتحدد بها حقوق وواجبات الدول الأعضاء فيها من خلال مواد ميثاقها وهى على النحو التالى :

١ ـ مبدأ التساوى فى السيادة بين الدول الاعضاء :

ويتمثل ذلك فى أن كل الدول الأعضاء يمثل اعضاؤها فى مجلس الجامعة ، وفى لجانه المختلفة ، ولكل منها صوت واحد مهما كان عدد ممثليها . وعلى الرغم من انه ليس للجامعة اختصاصات مستقلة تمارسها بعيدا عن هذه الدول فان لها شخصية قانونية ، وارادة ذاتية مستقلة[١٣] .

٢ ـ مبدأ عدم التدخل فى الشئون الداخلية للدول الأعضاء :

وهو نتيجة طبيعية لمبدأ المساواة فى السيادة بين الدول وقد ورد ذلك صراحة فى المادة الثامنة من الميثاق التى نصت على أن تحترم كل دولة من الدول المشتركة فى الجامعة نظام الحكم القائم فى دول الجامعة الأخرى وتعتبره حقا من حقوق هذه الدول ، وتتعهد بألا تقوم بعمل يهدف الى تغيير ذلك النظام فيها[١٤] ومع ذلك فقد اشترط أن تودع الدول الأعضاء فى الجامعة نسخا من جميع المعاهدات والاتفاقات التى عقدتها أو تعقدها مع دول أخرى فى الأمانة العامة للجامعة .

٣ ـ مبدأ منع الالتجاء الى القوة لفض المنازعات بين الدول العربية :

نصت المادة الخامسة من ميثاق الجامعة على منع الدول الأعضاء فى الجامعة من الالتجاء الى القوة لحل المنازعات التى قد تنشأ بينها ، بل تتم تسوية المنازعات التى قد تنشب بينها عن طريق الوساطة والتحكيم .

---

(١٢) شكرى : المرجع السابق ص ٣٩ ـ ٤٠ .
(١٣) نفسه ص ٣٩ .
(١٤) محمد اسماعيل على : المرجع السابق ص ٤٠٢ .

٤ — مبدأ المساعدة المتبادلة « الدفاع المشترك » :

اقر مجلس الجامعة هذا المبدأ ، وكفل التدابير اللازمة لدفع العدوان الواقع على اى دولة عضو فى الجامعة . علما بأن ميثاق الجامعة لا يلزم الدول الأعضاء بتقديم المساعدة مباشرة للدول المعتدى عليها لكنه يجيز ذلك ، ولما كان ميثاق الجامعة يشترط صدور قراره فى شأن الدولة المعتدية بالاجماع فان الاجماع فى معظم هذه الحالات ليس سهلا ، يضاف الى ذلك ان نصوص الميثاق لا يتضح منها طريقة تنفيذ التدابير الجماعية التى يمكن ان تتخذها الجامعة فى حالة اجماع الأعضاء على مساعدة الدول المعتدى عليها[١٥] .

أما عن مجلس الدفاع المشترك فهو يمثل قمة الهرم التنظيمى فى التحالف العربى ، وهو يتكون من وزراء الخارجية والدفاع فى الدول المتعاقدة او من ينوبون عنهم . ويختص المجلس بالاشراف على كيفية تنفيذ كافة الالتزامات المتعلقة بالدفاع المشترك ، وعلى وجه الخصوص الاشراف على أعمال اللجنة العسكرية ، وهو الذى يملك سلطة اصدار قرارات ملزمة فى ذلك . وما يقره المجلس باكثرية ثلثى الدول يكون ملزما لجميع الدول المتعاقدة[١٦] .

٥ — عدم تعارض ميثاق الجامعة مع اهداف ومبادىء الأمم المتحدة :

ويستند هذا المبدأ على ما تؤكده المادة ٥٢/١ من ميثاق الأمم المتحدة والتى تبيح قيام تنظيمات أو وكالات اقليمية ما دامت هذه التنظيمات او

---

(١٥) شكرى : المرجع السابق ص ٢٢ .

(١٦) محمد عزيز شكرى : الأحلاف والتكتلات فى السياسة العالمية ، الكويت ، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م ص ٩٧ — ٩٨ .

الوكالات متلائمة فى انشطتها مع اهداف الأمم المتحدة ومبادئها كما يجد سنده ايضا فى المادة ١٠٣ من ميثاق الأمم المتحدة والتى تنص على انه اذا تعارضت الالتزامات التى يرتبط بها اعضاء الأمم المتحدة وفقا لميثاقها مع اى التزام دولى آخر يرتبطون به ، فالعبرة بالتزاماتهم المترتبة على ميثاق الأمم المتحدة[١٧] .

احكام العضوية فى الجامعة العربية :

للحصول على عضوية الجامعة العربية يجب توافر شرطين هما :

أولا : شرط الاستقلال :

تنص المادة الأولى من ميثاق الجامعة على أن تؤلف من الدول العربية المستقلة ، ومن هنا فلابد للدولة التى تطلب العضوية أن يتوافر فيها وصف الدولة المستقلة بحيث تكون لها كافة اختصاصات السيادة الداخلية والخارجية فى ادارة امورها دون أن يقيدها قانون دولة اخرى[١٨] .

ثانيا : شرط العروبة :

ان تكون جنسية الدولة المنضمة الى الجامعة عربية ، ولما كان ميثاق الجامعة لا يتضمن تعريفا لماهية العروبة ، فقد رأى البعض أن اللغة العربية هى معيار العروبة ، واعتبرها شرطا اساسيا لدخول الجامعة ، كما رأى البعض الآخر أن حقيقة شعور شعب الدولة طالبة الانضمام بانه جزء من الأمة العربية يعتبر من الأسس الهامة لمعيار العروبة ، ومن هنا انضمت الصومال الى الجامعة رغم أن شعبها لا يتكلم العربية[١٩] .

---

(١٧) محمد اسماعيل على : المرجع السابق ص ٤٠٥ .

(١٨) نفســــه ص ٤١٨ .

(١٩) محمد عزيز شكرى : المرجع السابق ص ٢٤ .

منظمات الجامعة :

أولا : مجلس الجامعة :

يتكون من ممثلى الدول الأعضاء ، ولكل دولة صوت واحد وهو يجتمع عادة فى مقر الجامعة فى دورتين عاديتين احداهما فى مارس والأخرى فى سبتمبر ، وله أن ينعقد فى دورة استثنائية أو أكثر بناء على طلب دولتين فأكثر كما يجوز له أن ينعقد فى أى مكان آخر غير مقره الأصلى[٢٠] .

ويتوسط مجلس الجامعة فى الخلافات التى تنشب بين أعضائه والتى يخشى منها وقوع حرب بين دولتين من أعضائها أو غيرها ، وذلك للتوفيق بينهما ، وفى حالة وقوع اعتداء من دولة على دولة من أعضاء الجامعة أو خشية وقوعه فللدولة المعتدى عليها أو المهددة أن تطلب دعوة المجلس الى الانعقاد فورا ، ويقرر المجلس التدابير اللازمة لرفع هذا الاعتداء ، ويصدر القرار بالاجماع ، وما يقرره المجلس بالاجماع يكون ملزما لجميع الدول الأعضاء ، وما يقرر بالأكثرية يكون ملزما لهذه الأكثرية .

ثانيا : اللجان الفنية :

وتتكون من عشر لجان وهى اللجنة السياسية ، واللجنة الثقافية الدائمة ، واللجنة الدائمة للمواصلات ، واللجنة القانونية الدائمة ، واللجنة الاجتماعية الدائمة ، ولجنة خبراء البترول العربى ، واللجنة الدائمة للاعلام العربى ، واللجنة العسكرية الدائمة ، واللجنة الصحية الدائمة ، واللجنة الدائمة لحقوق الانسان .

وتتولى هذه اللجان وضع قواعد التعاون العربى ومداه ، وصياغتها فى شكل مشروعات اتفاقات تعرض على مجلس الجامعة لاقرارها ، وعرض ما يحتاج منها على الدول الأعضاء للارتباط بها بشكل معاهدات ، ويجوز لهذه اللجان الفنية انشاء لجان فرعية مرتبطة بها[٢١] .

---

(٢٠) حسن ابراهيم وآخرون : المرجع السابق ص ١٧٦ .

(٢١) محمد اسماعيل على : المرجع السابق ص ٤٣٥ .

ثالثا : الأمانة العامة :

وهي الجهاز الادارى للجامعة ، ويتألف من أمين عام ، وأمناء مساعدين ، وبعض المتخصصين(٢٢) .

ويعين الأمين العام لمجلس الجامعة بأكثرية ثلثى الأعضاء ، ويقوم هو بدوره بتعيين الأمناء المساعدين ، والموظفين الرئيسيين ، كما يتولى دعوة مجلس الجامعة للانعقاد ، ويقوم باعداد مشروع ميزانية الجامعة ، ويعرضه على المجلس قبيل بداية كل سنة مالية(٢٣) .

وقد تعاقب على أمانة العامة خمسة أمناء هم :

١ — عبد الرحمن عزام (مصر)

٢ — عبد الخالق حسونة (مصر)

٣ — محمود رياض (مصر)

٤ — الشاذلي القليبي (تونس)

٥ — أحمد عصمت عبد المجيد (مصر)

انتقال مقر الجامعة من مصر الى تونس :

نتيجة لردود الفعل العربية تجاه توقيع معاهدة السلام بين مصر واسرائيل(٢٤) عقد مجلس الجامعة العربية على مستوى وزراء الخارجية والاقتصاد والمال العرب اجتماعا فى ١٩٧٩/٣/٢٧ وقرر سحب سفراء الدول العربية من مصر ، وقطع العلاقات السياسية والدبلوماسية معها ،

---

(٢٢) حسن ابراهيم وآخرون : المرجع السابق ص ١٧٦ — ١٧٧ .

(٢٣) ابو هيف : المرجع السابق ص ٦٨٧ .

(٢٤) عن ردود فعل توقيع هذه المعاهدة انظر : مؤسسة الدراسات الفلسطينية : المعاهدة المصرية الاسرائيلية نصوص وردود فعل بيروت ، ١٩٧٩م ، ص ٤ .

وتعليق عضويتها فى جامعة الدول العربيــة[٢٥] ونقل مقر الجامعة من القاهرة الى تونس ، وابلاغ جميع المنظمات والهيئات الدولية والاقليمية بذلك ، وبأن التعاون مع الجامعة يتم مع أمانتها فى مقرها الجديد المؤقت واتخاذ كافة التدابير اللازمة ضد أى اجراء قد تتخذه الحكومة المصريـــة لعرقلة نقل مقر الجامعة أو المساس بحقوقها وممتلكاتها .

ونتيجة لذلك تم نقل مقر الجامعة الى تونس . وبعد أن عادت الأمور الى مجراها الطبيعى بين مصر وشقيقاتها العربيات عرضت على المجلس مســألة عودة مقر الجامعـــة الى مكانه الأصـــلى بالقاهرة ، وقد وافق المجلس على ذلك . وانتقلت الجـــامعة الى مقـــرها الدائم فى القاهرة فى الحادى والثلاثين من أكتوبر ١٩٩٠ بعد غياب أحد عشر عاما .

المشكلات التى ساهمت الجامعة فى حلها :

من الصعب على أحد أن ينكر الدور البارز الذى لعبتــه الجامعــة العربية من أجل تحـــرير بعض البلدان العربية التى كانت رازحـــة تحت الاستعمار وذلك اما عن الطريق الدبلوماسى أو بالوسائل المادية والمعنوية وفيما يلى نعرض لأهم المشكلات التى ساهمت الجامعة فى حلها :

١ — فى المجالات العربيـــة :

بذلت الجامعة جل جهودها لدعم الاستقلال الوطنى لأعضائها وللدول العربية التى كانت رازحة تحت الاحتلال ، وقد برز ذلك فى مساندتها للشعب السورى واللبنانى للحصول على استقلاله عن فرنسا[٢٦] ، ودعمت الجامعة مطالب مصر بجلاء الجنود البريطانيين عن أراضيها ابتداء من عرض القضية على مجلس الأمن فى صيف ١٩٤٧ وحتى توقيع اتفاقية الجلاء عام ١٩٥٤ .

---

(٢٥) عبد الرازق أسود : الموسوعة الفلسطينية ، الدار العربيـــة للموسوعات الطبعة الأولى ١٩٧٩م ص ١٢٣٦ .

(٢٦) دروزيل : التاريخ الدبلوماسى — ترجمة نور الدين حاطوم — دمشق ، دار الفكر ، ١٩٧٨ ص ١٥٤ ، وأيضا شاكر الدبس . الدول العربية فى منظمة الأمم المتحدة ، دمشق ، مطبعة الانشاء ١٩٤٨ ص ٩١ .

وساندت الجامعة العربية الشعب الليبى فى الحصول على استقلاله ، وطالبت بسحب القوات الأجنبية من ليبيا[٢٧] كما سعت الجامعة لمساعدة شعوب منطقة الخليج العـربى فى المحافظة عـلى عروبتها واستقلالها ، وساندت فى عام ١٩٦١ الكويت ووقفت بجانبه فى وجـه تهديدات الرئيس العراقى عبد الكريم قاسم وأرسلت قوات طوارئ عربيـة للدفـاع عن استقلال الكويت ، وكذلك سعت الجامعة دوما لابراز الكيان الفلسطينى ، والدفاع عن حقوق الفلسطينيين فى العودة الى وطنهم[٢٨] لدرجـة يمكن معها القول بأن التاريخ السياسى للجامعـة ارتبط بالقضـية الفلسطينية منذ نشأة الجامعة وحتى الآن .

٢ — فى المجـال الدولى :

قامت الجامعة العربية بتوثيق صـلاتها بالأمم المتحدة منذ نشـأتها فلها وفد فى الأمم المتحدة ، وهى عضو فى منظمة التربية والعلوم والثقافـة (اليونسكو) وفى منظمة الأغذيـة والزراعـة ، وفى منظمـة الصحـة العالمية يضاف الى ذلك أن الجامعة وقعت مع الأمم المتحدة إتفاقا ينص على اعتبارها منظمة اقليمية دولية لها امتيـازات وحصانات منظمة الأمم المتحـدة .

٣ — فى مجـال التضامن الآسيوى الأفريقى :

اهتمت الجامعة منذ مطلع عام ١٩٤٦م بقضية استقلال أندونسيا ، واتخذت عدة قرارات أيدت فيها حق الشعب الأندونيسى فى تقرير مصيره ، كما بادرت بالاعتراف بالجمهورية الأندونيسية منذ قيامها وتشارك الجامعة بصفة مراقب فى مؤتمرات عدم الإنحياز ، كما تشارك فى اجتماعات منظمـة

---

(٢٧) سامى حكيم : استقلال ليبيا بين جامعة الدول العربية والأمم القاهرة ، الأنجلو المصرية ، ١٩٧٠ ، ص ٢٤٨ .

(٢٨) شكرى : المرجع السابق ص ٧٠ — ٧٢ .

الوحدة الأفريقية ، وتسعى الى تنمية الاتصالات بينهما لخدمة الأهداف الدوليــة[٢٩] .

المشكلات التى لم تتمكن الجامعة من ايجاد حلول لها :

عجزت الجامعة غير مرة فى حل العديد من المنازعات العربية منها انها عجزت عن معالجة الأزمة اللبنانية فى عام ١٩٥٨ وفى عام ١٩٧٥ ، وكــان موقفها ضعيفا خلال النزاع المصرى السعودى حول اليمن .

وفى أعقاب الغزو العراقى للكويت فى الثانى من أغسطس ١٩٩٠ تعرضت الجامعة العربية لهزة عنيفة والى اختبار عسير تكشف خلاله عن وجود خلل كبير فى العلاقات العربية العربية ، وعن وجود ثقوب عميقة فى أســاليب العمل المشترك بينها فقد عجزت الجامعة كاطار أساسى للنظام الاقليمى العربى عن القيام بدورها فى الوقت الذى كان فيــه الجميع يرغب فى أن يستظل بظلها من قيظ الأزمة الحالك .

مما يؤكد على أهمية النظر فى ميثاق الجامعة لتحقيق تطلعات العرب واعادة الحياة الى مؤسسات العمل العربى المشترك وبخاصة فى المجالين الاقتصادى والثقافى والعسكرى حتى تتواكب مع المتغيرات العربية والاقليمية والدولية ولتسهم فى تحقيق تطلعات العرب فى التكافل والتضامن والأمن المشـــترك .

ومما سبق يتضح ان الجامعة العربية وأن لم تحقق العديد من اهدافها فقد ساهمت بدور واضح فى استقلال بعض الدول العربية ، وفى توحيد

---

(٢٩) نفسه ص ٧٣ ـ ٧٤ .

نظم التعليم والتقريب بين القوانين ، والتخطيط المشترك بين اعضائها فى شئون المواصلات ، والطرق ، والغرف التجارية والصناعية والزراعية .

ومع ذلك فالمأمول من الجامعة ان تكون منظمة قوية ذات أهداف طموحة وممكنة التنفيذ لا ان تبقى بأهداف تقليدية تتلاعب بها العواصف وتتقاذفها التيارات .

ان المطلوب هو بعث الجامعة العربية فى ثوب جديد يعيد النظر فى الحسابات بدقة ، وقد يسهل القيام بهذه المهمة عندما تتحول الجامعة من جامعة للحكومات الى جامعة للشعوب .

ثبت المصادر والمراجع

بروتوكول الاسكندرية : ميثاق جامعة الدول العربية ، القاهرة ، دار النشر للجامعات المصرية .

جورج انطونيوس : يقظة العرب — ترجمة على حيدر الركابى — دمشق ، مطبعة الترقى ، ١٣٦٥هـ / ١٩٤٦م .

حسن ابراهيم وآخرون : جولة فى السياسة الدولية ، القاهرة ، ١٩٧٨م .

دروزيل : التاريخ الدبلوماسى — ترجمة نور الدين حاطوم — دمشق ، دار الفكر ، ١٩٧٨م .

سامى حكيم :

(أ) استقلال ليبيا بين جامعة الدول العربية والأمم المتحدة ، القاهرة ، الأنجلو المصرية ، ١٩٧٠م .

(ب) ميثاق الجامعة والوحدة العربية ، القاهرة ، الأنجلو المصرية ، ١٩٦٦م .

شاكر الدبس : الدول العربية فى منظمة الأمم المتحدة ، دمشق ، مطبعة الانشاء ١٩٤٨م .

عبد الرازق اسود : الموسوعة الفلسطينية ، الدار العربية للموسوعات ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٩م .

على صادق أبو هيف : القانون الدولى العام ، الاسكندرية ، منشأة المعارف د . ت

محمد اسماعيل على : الوجيز فى المنظمات الدولية ، القاهرة ، دار الكتاب الجامعى ، ١٩٨٢ .

- محمد عبد الوهـــاب الساكت : الأمين العام لجامعـــة الدول العربيـــة ، القاهرة ، دار الفكر العربى ، ١٩٧٣م .

- محمد عزيز شـــكرى :
  (أ) الأحلاف والتكتلات فى السياسة العالميـــة ، الكويت ، المجلس الوطنى للثقافـــة والفنون والآداب ، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م .
  (ب) جامعة الدول العربية ، الكويت ، منشورات دار السلاسل ، ١٩٧٥م .

- مؤسسة الدراسات الفلسطينية : المعاهدة المصرية الاسرائيلية ، نصوص وردود فعل ، بيروت ، ١٩٧٩م .

فهـــرست

مطبعة الجبلاوى
٢٠٢ شارع الترعة البولاقية

رقم الايداع بدار الكتب ٧٦٣٨ / ١٩٩١
T. S. B. N. 977 — 00 — 2099 — 5